



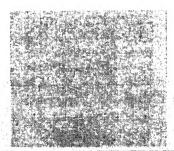


تطاع الثقافة



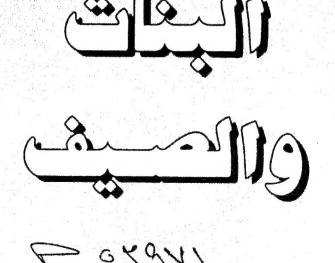
رئيس مجلس الإدارة:

إبراهيم سسعده





دارأخباراليـوم قطاع اللقافة جمهورية مصر العربية ٢ ش الصحافة القاهرة تلييضون وهاكس ، ٥٧٩٠٩٣٠ إحسان عبد القدوس







عندنا ، لا نقول : الربيع !!

إننا نقول: الصّيف!!

إحسان

البنان والهيف ____



COMERIN.

كانت تسير وحدها على شاطىء سيدى بشر ساعة الغروب،مرتدية بنطلونا من قماش « لاستكس » في لون الليل ، و « بلوز » في لون قشر البرتقال ، وفي قدميها « صندل » بلا

كعب .. والبنطلون ضيق .. ضيق .. كأنها ترتديه تحت جلديها.. و « البلوز » تنسدل فوق صدرها في إهمال كأنها ارتدتها بلا قسصد .. ارتدتها لأنها نسيت ألا ترتديها .. وخطواتها سريعة قصيرة يهتز معها جسدها .. كل قطعة من حسدها تهتز كأنها تلهث في اللحاق بها ..

وكان يبدو عليها الملل .. شفتاها المكتنزتان منفرجتان نصف انفراجة كانها تتنهد في ضيق .. وعيناها المسروطتان مفتوحتان نصف فتحة كانها لا تجد حولها ما يستحق أن تنظر إليه بكل عينيها .. وشعرها الأسود كخيوط الأبنوس يهتز في رفق مع خطواتها القصيرة السريعة ، كأنه يتثاءب فوق راسها ..

إنها ملولة .. يكاد يختفها الملل ..

وهى تعلم أنها جمعيلة .. إنها أجمل فتاة على شاطىء ميامى ..

إنها فستاة عام ١٩٥٨ .. ولكنها تشعر بالملل من جمالها ..

والملل من عام ١٩٥٨ .. والملل من كل سنوات عمرها العشرين. وهي تعلم أن العيون تلاحقها في سيرها ، والرقاب تكاد تنخلع وهي تلتقت إليها .. ولكنها ملت هذه العيون ، وملت هذه الرقاب .. إن مظاهر الإعجاب بها أصبحت كوجبة طعام من لون واحد تقدم لها طوال اليوم .. إنها تفطر بمظاهر الإعجاب ، وتتغدى بها ، وتتعشى بها .. وكلها مظاهر واحدة لها طعم واحد .. وقد ملت طعمها .. إنها تريد شيئا جديدا في حياتها .. شيء ينبعث منها هي لا من الناس .. شيء يمال صدرها ويمال عقلها ، ويمال يومها ..

واستوقفتها في سيرها صديقة لها:

- های ماسی!

ووقفت مايسة مرة واحدة كانها ضغطت على فرملة فى ساقها ، ثم مالت بخصرها إلى ناحية ، وارتكزت باحد قدميها على اطراف أصابعها .. وقالت فى صوت كسول :

- أزيك يا ديدي .. مش رايحه الحفلة!

وقالت ديدى كأنها على وشك البكاء:

- لا .. مامي ما ريضيتشي !

وابتسمت مايسة ابتسامة ضيقة ، كانها تسخر من أم ديدى ، وقالت وابتسامتها لا تزال تشق شفتيها :

- ياخسارة .. تحبى اسلم لك على حسين !!

ونظرت ديدي إلى مايسة نظرة شك وتردد ، ثم قالت :

- أنا لسبه مسلمة عليه دلوقت .. وكان مش عايز يروح الحفلة علشان خاطرى .. إنما أنا اللي اتحايلت عليه يروح ..

وقالت مايسة وقد اتسعت ابتسامتها:

- والنبى أنتى عبيطه .. وحاتفضلى طول عمرك عبيطه .. باى باه !

ولم تنتظر أن تسمع إجابة صديقتها ، واعتدات مرة واحدة في وقفتها وأطلقت ساقيها في خطواتها السريعة القصيرة .. واختفت ابتسامتها من بين شفتيها ، وعادت خطوط الملل ترتسم فوق شفتيها وبين جفنيها ..

واعترضها خمسة شبان ، وقفوا في مواجهتها كالحائط متعمدين أن يقطعوا عليها الطريق ..

ولم تبطىء فى خطواتها .. ولم تتردد .. ولكنها نظرت إليهم فى قرف وتحد، وتنهدت فى ضيق كأن صوتا فى داخلها يصيح :

« يارب خلصنى من المصايب دى » .. ثم أقبلت عليهم دون أن تنحرف عن خط سيرها .. وقبل أن تصطدم بهم ، أفسحوا لها الطريق كأنها شهاب شق صفهم .. واستداروا كلهم وراءها يطلقون صفيرا حادا ، كأنه أزيز نار تنطلق من صدورهم .

ووصلت إلى صخور « دير مسعود » ..

وأبطأت في خطواتها قليلا .. شم قفرت فوق الحاجز الحجرى الذي يفصل بين صخور الشاطيء وصف الكبائن .. وأخذت تنظر إلى الموج وهو يرتطم بالمسخر .. نظرت إليه طويلا .. واحست أن الموج في داخلها ، والصخر في داخلها ..

ثم جلست على صخرة ، وهى لا تزال تحدق فى الموج المرتطم بالصخر .. وتمنت ألا تذهب إلى الحفلة .. إن كل البنات يحسدنها لأن أملها تسمح لها بالذهاب وحدها إلى مثل مذه الحفلات .. ولكنها اليوم تتمنى لو كان لها أم تمنعها من الذهاب .. تتمنى لو امتدت يد الموج واختطفتها وغاصت بها فى البحر .. تتمنى أى شيء .. أى شسىء جديد لم يحدث للها سن قبل ..

إنها تعلم بالضبط كل منا سينصدث في هذه الصقة

سترقص الروك اندرول مع مدحت وسمير ونبيل .. وسيختار ماجد أن يراقصها التانجو والفوكس .. وسيضمها إلى صدره اثناء الرقص، ويخطو بها خطوات بطيئة جدا .. يكاد لا يتحرك من مكانه .. وستشب على أصابع قدميها وهي تراقصه حتى تلحق بقامته الطويلة .. وستتركه يضع خده على خدها، وينفث أنفاسه في أذنيها .. وسيخيل إليه أنها استسلمت، ولكنها لن تحس به .. لقد حاولت من قبل أن تحس به ، ولكنها فشلت .. إن خده لن يترك أثرا على خدها، وأنفاسه لا تحرك أعصابها، وصدرها عندما يلامس صدره كأنه لامس لوحا من الخشب .. ولكنها تحب أن تتركه في خياله ، وأن تسعده بوهمه .. إنه ولد طيب يستحق منها أن تمنحه الأوهام .

وسيفنى فكرى أغانى أمريكية مقلدا الفيس بريسلى وفرانك سيناترا .. وستاكل ـ كعادتها ـ قطعتين من السندويتش وتشرب كأسين من عصير الليمون .. إنها تعرف كل التفاصيل .. كلها تفاصيل مرت بها في كل حفلة حضرتها .. نفس الوجوه .. ونفس الحركات .. ونفس الكلام .. لا شيء جديد .. لا شيء جديد !

وسقطت الشمس فى البحر ، كانها ضاقت بالدنيا فقررت الانتحار .. واحتقنت السماء بلون الدم .. وقامت مايسة من جلستها فى يأس .. لا شىء جديد يمكن أن يحدث لها .. ليس أمامها إلا أن تذهب إلى الحفلة .. وعادت تقفيز فوق الحاجز الحجرى ، ووقفت برهة تشد بنطلونها الضيق فوق ساقيها .. ثم عدلت قامتها وأخذت تسير فى خطواتها السريعة الضيقة ، كأنها أدارت فى قدميها زنبركا يسير بها .

كانت الحقلة في إحدى الكبائن المقامة على صخور بير مسعود .

بنات وأولاد بين سن الثامنة عشرة والخامسة والعشرين .. أغلب البنات يرتدين البنطلونات ، واثنتان ترتديان توبين واسعين ، تحت كل ثوب ثلاثة « جيبونات » وقد شدت كل منهما حزاما حول وسطها يكاد يقصمها إلى نصفين .. وثلاث بنات يرتدين الشوال ، وقد برزت مفاتنهن حتى اختلط بعضها بالبعض ، فلا تدرى إن كانت نهودهن في أعلى صدورهن ، أم في أسفل ظهورهن .. والأولاد فتحوا القمصان ليكشفوا عن جلد في لون البن المحروق ، وعلق كل منهم في رقبته سلسلة ذهبية تتدلى منها حلية مكتوب عليها « ماشاء الله » ! وترك خصلة من شعره تتدلى فوق جبينه كأنها الراية السوداء التي ترتفع على الشاطىء عندما يهيج البحر .. وجرامفون يتوسط الكابين .. وكشير من زجاجات البيرة .. والكوكاكولا .. والليمنجو .. وقطع السندويتش ..

وجاءت مايسة تشق الغروب ، وقد انعكس لون الشفق فوق بشرتها السمراء ، فبدت كملاك من البرونز جاء يبشر بالليل .

وصاح البنات والأولاد:

- های ماسی .. هاللو ..

وأشارت مايسة اليهم بيدها وحركت أصابعها في الهواء .. ثم قفرت داخل الكابين ، وألقت نفسها بجانب ماجد ، وجلست وقد ابتعدت ما بين ساقيها وارتكرت بذراعيها فوق فخذيها .. وصاح مدحت :

واحد روك اندرل علشان خاطر مايسة!
 وصاح نبيل وهو يقرب كاس البيرة من وجهها:

- في صحة التقل ..

وقالت مايسة وهي تضحك:

- بس يا عيال .. اتلموا !!

وقال ماجد وهو يصطنع صوتا غليظا كصوت يول برينر ممثل السينما:

- اتأخرتي ليه ؟!

وقالت مايسة وهي لا تنظر إليه

- اصلى جيت ماشية .. مامي خدت العربية !

وسكت ماجد .. وظل جالسا بجوارها وقد مد ذراعه ووضعه فوق سور الكابين حتى يستطيع أن يبرز عضلات صدره .. وضم شفتيه بعد أن وضع بينهما ابتسامة صغيرة .. وارتسمت على وجهه إمارات صلابة صبيانية .. واكتفى بهذا .. اكتفى بأنه يمكن أن يكون يول برينر المثل السينمائي !!

وأخذت مايسة تدير عينيها بين أفراد الشلة .. إنها يجب أن تنجح في هذا الحفلة كما نجحت في كل حفلة .. والنجاح في الحفلات مهمة شاقة تقتضى أن تحتفظ بابتسامتها طوال الليل .. وأن ترقص كل رقصة .. وأن تكون منتبهة لكل كلمة حتى ترد عليها بنكتة .. وأن تجذب إليها كل الشبان .. وأن تحسب حساب كل حركة من حركاتها حتى تبدو رشيقة دون أن يلحظ أحد إنها تتعمد الرشاقة .. يجب أن تعيش في كل دقيقة حتى تنتهى الحفلة دون أن يتهمها أحد بثقل الدم ، أو بالعنطرة ، أو بالبرود .. إنها مهمة شاقة .. ولكنها تعودتها ونجحت في كل الحفلات التي دعيت إليها .. ولكنها اليوم لا تريد أن تكون نجمة .. ولا تريد أن تنجع .. لا تريد أن تسعى وراء شيء تعرفه .. تريد شيئا لا تعرفه .. شيء يأتي تسعى وراء شيء تعرفه .. تريد شيئا لا تعرفه .. شيء يأتي

إليها من الليل ، أو من البحر ، أو من السماء المحتقنة بلون الدم ..

وعادت تدير عينيها بين المدعوين .. إن زيزى القت براسها فوق صدر فستحى .. وتكاد تبكى .. إنها فى كل حفلة تلقى براسها فوق صدره وتكاد تبكى .. هذه المغفلة .. كيف تسمح لها كرامتها بأن تضعف كل الضعف أمام شاب .. إنها تكاد تجن كلما رأت فتاة بهذا الضعف .. ولكن ريما كانت تحسدها .. وربما كانت تتمنى فى قرارة نفسها أن تضعف إلى هذا الحد ..

وحسين انتهز فرصة غياب ديدى واخذ يغازل تاتى .. الكلب .. لماذا لا تصفعه تاتى .. لماذا لا تهجره ديدى .. لو كان معها مسدس لأطلقته عليه .. ولكن .. إن ديدى أسعد منها ، إنها على الأقل تتألم الأن لأنها ليست مع حسين وغدا ستسعد بلقائه .. حتى لو كان يخدعها .. إنها تجد ساعات من السعادة وساعات من الألم .. أما هى فتعيش فى فراغ .. لا سعادة ولا ألم .. لا شيء لها .. لا شيء تملكه .. ليس لها فتى يخدعها ويكذب عليها ، ويمنحها السعادة بخداعه وكذبه .. لماذا هى ذكية إلى هذا الحد ، ولماذا هى قوية إلى هذا الحد .. لماذا لا يهبها الله الغباء والضعف حتى ترضى لنفسها بواحد من هؤلاء الشبان ، وتتركه يخدعها وترضى بخداعه ، ويكذب عليها وترضى بخداع وكذب .. وهى ليست اولاد يخدعون البئات ، والبئات يخدعون الأولاد .. وهى ليست سعيدة لأن احدا لم يستطع أن يخدعها أو يكذب عليها ..

وقامت فجأة من جلستها ..

يجب أن تقاوم هذا الملل الذي يسرى في عروقها .. يجب أن تبدو مرحة .. يجب أن تنجح في هذا الحفلة كما نجحت في كل

حفلة . إنها قد لا تكون سعيدة ، ولكنها لن تدع الأمواج تحطمها على صخور الياس ..

وصاحت بعد أن وضعت بين شفتيها ابتسامة كبيرة :

- حسين .. حافان !!

وقفز حسين من جانب تاني وهو يصيح:

- في عرضك .. ولا أقول لك .. افتنى بس ارقصى معايا الرقصة دي !

ووضعت ذراعيها فوق كتفيه قائلة:

- حارقص معاك .. بس على شرط تقعد مؤدب!

وقال حسين وهو يخاصرها:

- أنا نفسى حد يفتن على أنا وأنت .. تيجى نخلى الناس كلها تفتن علينا !

وقالت وهي تضحك:

- اتلهی .. دی دیدی برقبتك .. أنت ما تستاهلش ضفرها !
ودار بها علی أنغام « الكالیبسو » .. وارتفع صوت فكری
یغنی أغنیة « زورق الموز » .. وأغمضت عینیها واتسعت
ابتسامتها .. كأنها تحلم .. وأخذت تتمایل كعود الورد .. إن كل
قطعة فی جسدها ترقص فی نشوة .. كل قطعة ترقص كأنها
ترقص وحدها .

وفتحت عينيها لتلتقى بنظرات الإعجاب والحسد التى تحيط بها .. إعجاب تشوبه حسرة ، وحسد تخفف منه ابتسامات نفاق ...

وفجأة لمحته .. شيء جديد !

إنها لا تعرفه ..

إنها لم تره من قبل!

كان واقفا على رصيف الشاطىء مستندا بظهره إلى سور الكابين وفي يده كأس من البيرة .. ولم يكن ينظر إليها!

ودارت دورة أثناء الرقص ، ثم عادت تنظر إليه .. إنه أسمر في لون لفحة الشمس .. طويل .. برتدي ثبابه كاملة .. بنطلون وجاكيت ورباط عنق .. ولا تتدلى على جبينه خصلة من شعيره .. إن شعره قصير خشن .. گنشعر فرشياة البلاط .. ويبدو أكبر سنا من باقي الأولاد .. لعله في التاسسعة والعشرين .. في الشلاثين .. أكثر .. قد يكون في الشانية والثلاثين .. ولم يكن ينظر إليها .. كان يتحدث مع سمير ـ صاحب الحقلة ـ وييدو متحمسا في حديثه .. ولكن صوته خفيض .. إنها لا تستطيع أن تسمع صوته ..

إنها تريد أن ترى عينيه ..

ولكنه لا ينظر إليها ..

لماذا لا ينظر إليها ؟

وحاولت ألا تجيب على هذا السؤال .. حاولت أن تنهمك في الرقص .. ولكنها ما كادت تدير ظهرها له حتى أحست بعينيه تلسعان قفاها .. فاستدارت بسرعة لعلها تلتقي بعينيه .. ولكن ، لا .. إنه لا ينظر إليها ، ولا يزال منهمكا في حديثه ، دون أن تسمع صوته ..

وعسادت ترقص .. ولم يكن يهسمسهسا منه إلا أنه شيء جديد ..لعله يستطيع أن يضبع في الحفلة شيئا جديدا .. لعله يستطيع أن يحكى حكاية جديدة .. لعله يستطيع أن يراقصها بأسلوب جديد ..لعله يستطيع أن يعرض عليهم لعبة جديدة ..

أي شيء جديد!

وانتهت من البرقص ، ومنا كنادت تهم بالجلس بجنانب

ماجد ، حق التقت بعينيه .. عينان فى لون العسل ، فوقهما حاجبان كثيفان .. وكان ينظر إليها ولم يكن فى نظرته إعجاب ولا اشتهاء ولا حسرة .. لا شيء مما تعودته فى نظرات الناس .. كان ينظر إليها كأنه يفحصها .. كأنه عالم يدرس طباع حيوان جميل ..

ولم تغضب من نظرته .. إنها على الأقل نظرة من نوع جديد.. ووقفت قبالته تواجه عينيه بعينيها ، كأنها تعينه على دراستها وفحصها .. وطال لقاء عيونهما ، دون أن يخفض عينيه ، ودون أن تخفض عينيها ... ثم وجدت يفسها تبتسم له .. كأن ابتسامتها أضعف منها فلم تستطع أن تقاوم طويلا .. ورد ابتسامتها بابتسامة بخيلة ، لا تكاد تبين بين شفتيه الغامقتين .. ثم أدار عينيه عنها واستطرد في حديثه مع سمير.

وعادت تحاول أن تتشاغل عنه .. ولكن لم يكن في الحفلة شيء تستطيع أن تتبشاغل به .. دائما نفس الكلمات .. ونفس الصراخ .. ونفس الحركات ..

وساولت أن تلتقى بعينيه مرة ثانية .. ولكن عينيه كانتا للجميع .. لم يكن يشترك في الحفلة ولكنه كان يتفرج على للحنفلين كأنه يشاهد مسرحية مسلية ..

لعله ينطلبها للرقص .. ولكنه لا يرقبص .. إنه واقف فى مكانه لا يتضرك .. لا ينتقل إلى أحد ولكن البعض ينتقل إليه . إنه يحادث الآن نبيل .. وقد جاءت سمية ووقف معهما .. إن سمية تضحك .. تضحك من قلبها .. تزى ماذا قبال لها .. إنها لا تستطيع أن تسمع صوته ..

وقامت من مكانها ، وأخذت تدور داخل الكابين وتقترب

بخطواتها منه ، وتحاول ألا تبدو متعمدة .. ثم وقفت خلفه ونظرت إلى نبيل وقالت :

- بطلت الرقص ليه يا نبيل ؟!

والتفت إليها ، والتقت عيونهما مرة ثانية .. وابتسمت ابتسامة واسعة ، وابتسم ابتسامة بخيلة ..

وقال نبيل وهو يقدمه إليها:

- ما تعرفیش آبو بکر ..

ثم نظر اليه قائلا :

- طبعا تعرف مايسة ..

ولم يبدو أنه يعرفها .. وقال دون أن يمد يده إليها :

-- أهلا وسهلا ! ---

لم يقل « هاى » ولا « هاللو » .. قال « أهلا وسهالا » .. شيء جديد .. شيء لم تسلمه من قبل .. وأحست أن في صوته رنة صعيدية .. لم يكن يبدوعليه أنه من الصعيد .. ولكن في صوته الخفيض رنة الصعيد .. وأحست عندما قال لها « أهلا وسهلا » أن وجهها يحمر حياء كبنات الصعيد .. وإنها يجب أن تسدل على وجهها برقعا كنساء الصعيد .. أحست بالحرج لأنها ترتدى أمامه هذا البنطلون الضيق .. ولفت ساقا على ساق كانها لا تريد أن يراها وهي في البنطلون ..

وصمتا برهة ..

لم تجد ما تقوله ، ولم يجد مايقوله .. وأخذت تستعيد اسمه تحت لسانها ، كأنها تتذوق قطعة من الحلوى .. أبو بكر .. إنه اسم طويل .. يخيل إليها أنها تستغرق نصف ساعة لتنطقه كاملا .. يجب أن تضتصره .. ماذا تسميه .. بكر .. بيكر .. بكر .. باكى ؟!

وقال نبيل:

- عن اذنك لما ارقص مع مايسة ..

وكرهت نبيل في تلك اللحظة .. كانت تريده أن يتركها لأبي بكر ، حتى لو طال بينهما الصمت طوال العمر .. لا بد أن وراء صمته شبئا جديدا .

ولكنها كانت مضطرة أن ترقص مع نبيل .. وعندما انتهت من الرقص كان أبو بكر قد انشغل عنها في حديث آخر .. إنه لا يفعل شيئا إلا أن يتحدث ، وكأس البيرة لا ينتهى في يده ..

وأبت أن تسعى إليه مرة ثانية .. وبدأت تشعر بالضيق .. إن الحفلة تكاد تنتهى دون أن يحدث جديد !

وظلت تقاوم ضيقها ، وتضفيه، تحت ضحكاتها ، ونكاتها ورقصاتها .. حتى تحتفظ بنجاحها في الحقلة .

وانتهت زجاجات البيرة والكوكاكولا والليمنجو .. وانتهت قطع الساندويتش .. وتعب الجرامفون .. وبدأ الأولاد والبنات ينصرفون .. وهي لا تزال باقية في انتظار أن يحدث شيء جديد .. وأبو بكر متشاغل عنها وكاس البيرة في يده لا ينتهي ..

...

وانصرفت في الساعة الحادية عشرة مع آخر دفيعة من البنات والأولاد ، مسعهم أبو بكر .. وخرجوا إلى شارع الكورنيش ...وكانت هناك سيارتان .. سيارة سمير ، وسيارة أبو بكر ..

وقال أبو بكر بلهجة مهذبة وهو يهم بفتح باب سيارته: - حد يحب أو صله ..

وقال سمير وهو يعد الحاضرين:

- وصل أنت اللي رايحين ناحية ميامي .. في سكتك .. وأنا

اوصل اللي رايصين ناحية جليم!

ونظر الجميع بعضهم إلى بعض ، ثم قالت سمية :

- ما حدش رايح ناحية ميامي إلا مايسة .

وقال سمير ضاحكا:

- من بختك!

ووقفت مايسة مرتبكة .. وسمعت أبو بكر يقول وفى صوته رنة الصعيد :

-- أتفضلي يا أفندم!

ونظرت مايسة فى وجوه الحيطين بها كأنها تستغيث بهم ، ثم لمعت عيناها كأنها تتحداهم ، وصاحت وهى تحاول أن تضع فى صوتها رنة مرح :

- بونسوار کلکم .. مرسی سمیر!

واحست أن صوتها لم يخرج من بين شفتيها مرحا كما أرادت .. أحست به يخرج خفيضا مرتبكا .. ثم استدارت ، وسارت نحو سيارة أبو بكر .. وفتح لها الباب .. وركبت بحانه !

ترى ماذا سيقول لها .. كيف سيبداها بالحديث .. لو قال لها أنها كانت أجمل من فى الحقلة .. أو لو قال لها أنها أرشق من رقص .. لو قال لها مثل هذا الكلام الذى تعودت أن تسمعه من كل الناس ، فستصفعه .. ستقتله .. إنها تريده أن يقول لها كلاما لم تسمعه .. كلاما جديدا .. أن يبدأها بحديث لم يبدأها بعد من قبل ..

وطال صمته ،، وصمتها ..

وهى لا تزال تنتظر .. قد تبدد ارتباكها ، ولم يعد فيها إلا لهفتها على سماع أول كلمة تخرج من فمه .. ترى ماذا تكون ..

وأخذت تقلب في رأسها كل الكلام الذي يمكن أن يبدأ به رجل حديثه .. وفجأة التفت إليها ، وقال في هدوء :

- انتى متضايقه ليه ؟!

وشهقت .. هذه بداية جديدة فعلا .. ونظرت إليه في دهشة ، وقالت :

- متضايقة !! مين قال لك إنى متضايقة ؟!

قال وهو ينظر أمامه:

-- ما حادش قال لي ..

قالت وهي تميل برأسها إلى الأمام لتتمكن من رؤية عينيه:

- أمال عرفت منين ! --

قال ونبرات صوته لا تتغير:

-- ما عرفتش .. ده مجرد إحساس!

قالت كأنها ضاقت ببروده :

- أقدر أعرف الإحساس ده ، جالك منين ؟!

ونظر إليها نظرة سريعة ، ثم عاد ينظر أمامة قائلا :

- انتی زعلتی منی ؟

قالت وفي صوتها نبرة احتداد :

- ما زعلتش .. بس عايزة أعرف إيه اللى فى شكلى ممكن يخلى الناس تفتكر إنى متضايقة !!

ونظر إليها وبين شفتيه ابتسامته البخيلة ، وقال :

- مافیش حاجة فی شکلك .. لو كانت المسألة بالشكل كان لازم تكونی اسعد بنت فی العالم .. إنما الشكل حاجة والنفس حاجة تانية .. وأنا حاسس إن نفسك مستضايقة .. ما اعرفش ليه .. يمكن علشان كنت بتضرحكی دائما .. ضرحكتك ما استريحتش ولا تانية .. ويمكن علشان بترقصی كويس .. كويس قوى .. ويترقصى الروك والكالييسو والسامبا أحسن من التانجو والفوكس ..

قالت تقاطعه :

- يعنى لازم أرقص وحش علشان أبقى سعيدة ؟! قال كأنه يشرح نظرية :

- لا .. إنما حاييجى يوم حاتلاقى فى نفسك بتفضلى التانجو على الروك .. وتلاقى خطواتك فى الرقص بقت أبطأ وأهدأ .. وتلاقى نفسك بتضحكى بعينيكى أكثر ما بتضحكى بشفايفك ..

قالت كأنها تحاول أن تسخر منه:

- قصدك لما اعجز ؟!

قال في هدوء:

- لأ .. لما تبقى سعيدة !

قالت وهي لا تزال تحاول أن تسخر منه:

-- اطمئن .. أنا سعيدة .. سعيدة قوى .. قوى .. قوى .. وسكت .. لم يرد عليها ..

وفوجئت بسكوته .. واضطرت أن تسكت معه .. ثم خيل إليها أنها أغضبته .. لقد كذبت عليه .. إنها ليست سعيدة .. إنها متخايقة فعلا .. إن الضيق يخنق أيامها .. وهو يعلم ذلك .. ويعلم أنها تكذب عليه .. كأنه يعيش في نفسها .. إنها تحس به في نفسها ..

وبحثت فى ذهنها عن شىء تقوله لترضيه .. لتعتذر عن كذبها ، وتخرجه عن صمته .. وقالت فجاة كأنها تلقى سؤالا قبل أن تفكر فيه :

- انت عندك كام سنة ؟

ونظر إليها مبتسما ، وقال :

- تلاتين .. تلاتين إلا شهرين !

قالت وهي تضحك ، كأنها تغريه أن يضحك معها :

-- مش معقول .. على الأقل عندك خمسين سنة !

قال وقد اتسعت ابتسامته قليلا:

-- ليه ؟

قالت:

- لأنه باين عليك سعيد .. لا بترقص ، ولا بتضحك .. تبقى عجوز ، وعلى حسب كلامك تبقى سعيد !!

ولم يضحك .. إنما التفت إليها بكل راسه ، ونظر إليها بكل عينيه العسليتين كانه يحاول أن يغرقها في بحر من العسل ، وقال في صوت جاد ورنة الصعيد تتساقط من فوق شفتيه :

- ائتی ہتمبی ؟

وفوجئت.. واستدارت كتفيها على باب السيارة كأنها ذعرت ..كانه اطلق عليها رصاصة .. إنه سؤال جرىء ، القاه بلا مقدمات ، ولكنها بعد برهة أحست بأنه سؤال عادى ، من حق أى واحد أن يسأله .. من حقه هو أن يسأله .. وتبدد إحساسها بالمفاجأة ، ولكنها ظلت تحس بالارتباك .. ارتباك يشوبه حياء .. وقالت وهي تبتعد بعينيها عن عينيه وتنظر في راحة يديها الموضوعتين فوق حجرها :

.. ¥ -

ما باحبش ا

قال وهو لا يزال ينظر إليها يصاول أن يغرقها في بصر العسل:

- ولا عمرك حبيتم!

- قالت:
- .. Y -
 - قال:
- ولا افتكرت يوم أنك حبيتي .. مجرد وهم !
 - قالت:
- الحب مش وهم .. إذا كان وهم ما يبقاش حب ، وإذا كان حب ما يبقاش وهم ؟
 - قال وقد عاد ينظر إلى الأمام ، كأنه ينظر إلى سراب :
- بالعكس .. كل أحاسيسنا أرهام .. الحب وهم ، والسعادة وهم .. مافيش حاجة مش وهم إلا الحاجة اللي تقدري تمسكيها بايديك .. والحب مايتمسكش بالايد .. الحب إحساس ، وكل إحساس وهم !
 - ونظرت إليه كانها تحاول أن تفهمه:
 - يعنى قصدك كل اللى بيحبوا دول ، عايشين في وهم !
 قال كأنه بقرر حقيقة :
- فعلا .. عايشين فى وهم .. والشاطر فيهم هو اللى يفضل عايش فى وهمه عايش فى وهمه يبقى سعيد لو دور على الحقيقة ولقاها ، حيضسر الحب ويخسر السعادة ..
 - قالت كأنها تعانده:
 - لأ .، فيه حقيقة في الحب ؟
 - قال كأنه يخاطب طفلة:
 - إيه هي الحقيقة دي!
 - قالت في حماس:
 - الجوان!

واتسعت ابتسامته ، وقال :

- الجواز مالوش دعوة بالحب .. ومالوش دعوة بالسعادة .. الجواز ده معمول علشان الناس .. علشان المجتمع .. مش علشان الناس اللي متجوزين !!

وسكت قليلا ، وهي تنظر إليه مبهورة الأنفاس كأنها تقاوم الغرق في بحر العسل .

ثم استطرد قائلا في صوت بطيء كأنه يضع كلامه في رأسها كلمة ، كلمة :

- انتي مش تعرفي اتنين كانوا بيحبوا بعض جدا، واتجوزوا ، وبعد الجواز كرهوا بعض موت .. تعرفي كرهوا بعض ليه .. علشان افتكروا إن الجواز حقيقة .. افتكروا إن الجواز هو الحَب وهو السعادة .. كل واحد فيهم اتكل على الجواز وما بقاش يعمل مجهود علشان يفضل عايش في الوهم اللي كان عايش فيه مع التاني .. الرجل ما بقاش يقول الكلام اللي كان بيقوله للست .. مابقاش يحلق لها ذقنه ، ويلبس كويس ويتحاسب في كل حتركة من حتركاته .. والست كتمان مابقتش تعمل مجهود .. مابقتش تتزوق ، ومابقتش تهرب معاه بعيد عن الناس .. الاتنين فرحوا بالجواز أكثر من فرحتهم بالحب .. اعتقدوا إن الجواز هو الحب .. إن الورقة اللي كتبها المأذون كفاية علشان يعيشوا في السعادة اللي كانوا عايشين فيها .. وبعد كام يوم ، ولا كام شهر ، بيكتشفوا إنهم غلطانين .. يكتشفوا أن الحب مالوش دعوة بالجواز .. يكتشفوا أنهم فقدوا الوهم .. الوهم الجميل .. ويندموا .. ويبكوا .. ويضونوا بعض كل واحد من الاتسنين يروح يدور له على وهم

وأحست بمنطقه يلف رأسها .. وأحست كأن دخسانا معطرا

يسرى فى عروقها ويضدرها .. وبدأت تطبق كلامه على حياتها .. إن الفترات السبعيدة فى حياتها كانت كلها فترات وهم .. وكانت سعيدة بهذا الوهم .. لقد أحبت أول مرة وهى فى الرابعة عشرة من عمرها .. أحبت فتى التقت به على الشباطىء ، ثم ما كاد الصيف ينتهى حتى تبدد وهمها .. وتبددت سبعادتها .. وبدأت تعانى الضيق والفراغ .. وأحبت للمرة الشانية وهى فى السادسة عشرة .. فتى التقت به على الشاطىء أيضا .. إن قلبها لا يفتح للأوهام إلا على الشاطىء .. فى الصيف .. كانها تصطاد أوهامها من البحر .. وأحبت للمرة الشالشة .. والرابعة .. وكانت كلها أوهاما .. ولكنها أوهام جميلة .. أوهام سعيدة .. إن الحقائق لا تجلب السعادة ..

الحقائق! أين هي الحقائق في حياتها .. إنها تعرف أنها جميلة .. وهذه حقيقة .. ولكن جمالها لا يجلب لها السعادة .. وهي غنية .. وهذه حقيقة أخرى ، ولكن غناها لا يستطيع أن يشترى لها السعادة .. إن السعادة في الأحاسيس .. في الأوهام .. وهي تفضل أن تعيش في وهم سعيد ، عن أن تعيش في حقيقة شقية ، أو أن تعيش في فراغ ليس فيه حقيقة ولا وهم ..

وأطلت من نافذة السيارة كأنها تبحث عن وهم جديد .. واكتشفت أنها تعدت بيتها ، ولكنها لم تقل شيئا .. لم تطلب منه أن يعود بها .. خيل إليها أنها لم تركب معه صدفة إنما ركبت معه بناء على موعد يطول العمر كله .. وهو أيضا لم يقل شيئا .. لم يسألها أين يقع البيت .. إنما ظل يقود سيارته في هدوء كأنه من حقه أن يأخذها معه إلى آخر الدنيا .. وانتهى طريق الكورنيش ، وتعدت السيارة قصر المنتزه ، ودخلت في

الطريق المؤدى إلى ضاحية أبى قير!

التفتت إليه قائلة ، وفي صوتها رنة ارتباك كأنها تتخبط بين الغيوم !

- ویا تری انت سعید ؟!

وقال في صوته الخفيض كأنه يحلم:

- انا سعید باوهامی .. وطول عصری احاول اتمسك باوهامی علشان افضل سعید .. حیاتی ملیانة حقائق كتیر .. اینا الحقائق عمرها ما قدرت تسعدنی .. انا مثلا مهندس .. واول حاجه بنتها ، كانت فیلا فی المعادی .. فیلا جمیلة .. فیلا بتمثل حقیقة اقدر المسها بایدی .. طوب فوق بعضه عملت منه حاجه حلوه .. ورغم كده ما كنتش سعید .. كان لازم ادور علی وهم اعیش فیه .. وهم احس بیه من غیر ما المسه بایدی .. واتوهمت إنی بنیت ناطحة سحاب .. او اتوهمت إنی اقدر ابنی ناطحة سحاب .. وعشت فی الوهم ده .. ولغایة دلوقت مابنتش ناطحة سحاب ، ویمكن مش حا بنیها طوال عمری .. إنما طول ما انا فاكر انی حابنیها وانا سعید .. سعید باعتزازی بنفسی ویمهنتی !!

ونظرت إليه مبهورة بمنطقه ، وقالت :

- وبقية حياتك .. برضه كلها أوهام ؟

ونظر إليها قائلا:

- كلها أوهام .. ولما ما لقيش وهم أعيش فيه ، أروح السينما علشان أتوهم إنى بطل الفيلم ، ولا أقرأ قصة علشان أتوهم إنى بطل القصة ، ولا أقرأ كتاب في السياسة ولا في العلم ، علشان أتوهم إنى زعيم سياسي ، ولا عالم من العلماء .. انتى ما بتقريش كتب ؟!

قالت كأنها لا تستطيع أن تكذب عليه:

- لأ .. مش كتبر !!

قال كأنه يشفق عليها:

-- يا خساره .. ده مافيش أجمل من قراية الكتب .. أنا عندى مجموعة قصص مدهشة حاديها لك تقريها وتدعى لى ..

وادار سيارته دون أن يستاذنها وعاد بها إلى طريق الكورنيش .. ولم تسأله شيئا .. إن كل ما فيها منساق معه .. إنه يقدم لها عالما جديدا مشيرا .. وهي تريد أن تعرف هذا العالم .. تريد أن تدخله وتعيش فيه .. قد يكون عالما خطيرا .. ولكنها تريد شيئا خطيرا .. شيئا يبدد هذا الملل والضيق الذي يجثم على صدرها ..

وأوقف سيارته أمام عمارة كبيرة قريبة من شاطىء ميامى .. ثم نزل وهو يقول لها ببساطة :

تعالى !

ونظرت إليه بعينين مفتوحتين كأنها تريد أن تشق رأسه وتقرأ أفكاره .. ولكنه كنان بسيطا ، طبيعيا ، لا يبدو عليه الارتباك ، ولا يبدو عليه أنه يحاول أن يخدعها ..

ووقف برهة ينتظرها إلى أن تنزل من السيارة ، كأن ليس لديه شك في أنها ستنزل ، كأن ليس هناك ما يثير في صدرها شكا أو ترددا ..

وزمت شفتيها ، وجمعت شجاعتها ، ثم نزلت من السيارة ، كأنها تلقى بنفسها في بحر الليل .

وسارت بجانب صامتة .. ودخلا المصعد .. ورأت إصبعه يمتد ويضغط على الزر الخاص بالدور التاسع .. آخر دور .. وسمعته يتكلم .. لعله كان يتكلم عن الكتاب الذي اختاره لها ..

ولكنها لم تكن تعى كالمه كله .. كان قلبها يضفق ، ويثير في صدرها ضجيجا يطغى على صوته .. كانت خفقات قلبها

تسالها: ماذا سيحدث .. ماذا سيحدث .. ماذا سيحدث ؟!
إنها ليست المرة الأولى التى تذهب فيها مع شاب إلى شقته
الخصوصية ، أو تنفرد معه فى سيارة .. وهى تعلم ما يحدث
عادة .. ولكنها فى هذه المرة تنتظر شيئا جديدا .. شيئا
لم يحدث لها من قبل .. وهى تستطيع دائما الدفاع عن
نفسها .. إن أحدا لم يستطع أن يأخذ منها أكثر مما أرادت أن
تعطيه .. ولكنها فى هذه المرة لا تفكر فى الدفاع عن نفسها ..
إنها تفكر فيما سيحدث لها .. شىء جديد .. جديد !

ووقف بهما المصعد .. وفتح لها الباب ..

وسمعت صوت سلسلة مفاتيحه وهو يخرجها من جيبه .. صوت كصليل سلسلة غليظة يهم أن يقيدها بها ..

وفتح لها الباب وسبقها في الدخول قائلا:

استنى لما افتح لك النور .. أحسن تتكعبلى فى حاجة !
 وفتح لها النور .. ودخلت .. وأغلق وراءها الباب !

إنها شعة صغيرة حجرتان مطلتان على البحر .. وفيها أشياء جميلة .. إنها تستطيع أن ترى فيها أشياء جميلة .. المقاعد .. وتحف صغيرة .. وصور معلقة على الحائط ..

وتقدمها إلى إحدى الحجرتين .. حجرة مردحمة بأشياء كثيرة .. ريكوردر .. وجرامفون .. وراديو .. وأدوات شاى .. وكل شيء في فوضى .. والكتب .. عشرات الكتب .. ملقاة على الأرض ، وفوق المائدة ، وفوق المقاعسد ، وفوق الأرفف .. وزجاجة قديمة مثبت في فوهتها شمعة متآكلة ، كأنها امراة عجوز بيضاء ملتفة بدموعها ..

ووقف ينظر إلى الكتب كأنه ينظر إلى قطط اليفة تمرح حوله ، وقال :

- المشكلة دلوقت إزاى حلاقي لك الكتب!

وجلس على الأرض ، بين الكتب ، وهي لا تزال واقفة فوق رأسه .. وتنظر إليه .. وسقطت عيناها من فوق يديه .. يديه بالذات .. إن في يديه شعرا .. شعر ضفيف .. وأحست كانها تريد أن تنزع شعرتين من شعر يديه .. نزوة عجيبة ، ولكنها تحس بها وتتملكها .. إنها تبذل مجهودا كبيرا حتى لا تمد يديها وتنزع شعرتين من فوق يديه ..

وسمعته يقول:

- حقه لو قدرت يوم ترتبي لى الأوده دى .. تبقى ست الستات !!

قالت وهي تبتسم:

- دى عايزه واحده تقعد فيها طول عمرها لغاية ما ترتبها!
 ورفع إليها نظره، قائلا:
 - تعرفي واحده مستغنية عن عمرها ؟!
 - ولم ترد .. وبين شفتيها ابتسامة بلهاء!
 - وقال ، وهو يشير إليها لتجلس بجانبه على الأرض:
- تعالى دورى معايا على كتاب أصفر مكتوب عليه: قصص من الصين!!
- وجلست بجانبه .. بعيدة عنه .. وأخذا يبحثان عن الكتاب .. وكل كتاب يلتقطه بيديه يحدثها عنه ..
- وتضايقت من حديث الكتب .. إنه حديث لذيذ .. ولكن لا بد أن هناك شيئا آخر .. شيء يفعله .. أو على الأقل يحاول أن بفعله !

وصرخ كأنه وجد الدنيا:

-- أهو الكتاب ..

ورفع الكتاب بيده ، قائلا :

- أنا حاديه لك بس على شرط ترجعيه تاني .

وأخذت الكتاب بلا حماس ..

وقام من على الأرض ، وخرج من الغرفة .. وخفق قلبها .. ماذا سبحدث بعد ذلك ؟!

وعاد بعد دقيقة ، وقال وابتسامته البخيلة قد اتسعت قليلا :

-- آسف ا

وقالت في دهشة:

- آسف على إيه ؟!

قال :

كنت عايز أقدم لك قزازة كوكاكولا .. مالقتش حاجة في الفرجيدير!

وقالت وهي تحاول أن تبتسم:

معلهش .. باللا بینا ننزل بأه .. ده أنا اتأخرت قوی !
 ولم یعترض ..

وتقدمته .. وفتح لها الباب .. شم فجأة أمسكها من ذراعها ،

وقال ورنة الصعيد تتساقط من شفتيه :

– مايسة !

واستدارت بوجهها إليه .. ولم يتكلم .. نظر في عينيها طويلا .. وأحست بأنها تغرق في بحر العسل .. وظل ينظر إليها .. ثم خيل إليها أنه يقترب منها بشفتيه الغامقتين .. نعم ، إنها تريد أن تجرب هاتين الشفتين .. لعل فيهما جديدا .. وسقطت شفتاه فوق زاوية

شفتیها .. نعم ، إن فیهما شیئا جدیدا .. إنهما قاسیتان .. إنهما ترشفانها .. كأن فیها شوكا .. إن الشوك یقترب من شفتیها .. یملاً شفتیها .. إنها تحس به فی دمها .. یدغدغها .. لا .. لیس فی شفتیه شیء جدید .. إن الجدید فیها هی .. إنها تحس أنها إنسانة أخرى .. تحس إنها امرأة !!

وابتعدت للشفاه .. وظل ينظر إليها ، والعسل يغرقها وقالت ميهورة الأنفاس وهي لا تنظر إليه :

عملت كده ليه ؟

قال في صوت أجش:

- ما أعرفش .. ما أعرفش يا مايسة! .

قالت:

- یا تری ده وهم جدید!

قال وهو لا يزال ممسكا بكتفيها:

- ما تسالیش نفسك إذا كان ده وهم ولا حقیقة .. اسألی نفسك إذا كنت سعیدة ولا مش سعیدة به عمرك ما حاتعرفی الوهم من الحقیقة ، إنسا حاتعرفی دایما إذا كنت سعیدة ولا لا ..

وقالت وهي تستدير ناحية الباب:

- أنا مضطرة أنزل دلوقت!

قال وهو لا يطلقها من بين يديه:

- قوليلي إنك سعيدة .. إني ماغلتطش معاكى !

وابتسمت ابتسامة كبيرة .. وفهم إنها سعيدة !!

وخرجت نصو المسعد .. إن خطواتها لم تعد سريعة

ضيقة ..

إنها تسير في خطوات بطيئة هادئة .. كانها تنزلق على قطع

من السحاب .. وجسدها لا يهتز ، ولكنه يسبح في القضاء .. وركبا السيارة .. وقال لها وقد وقف بها أمام بيتها :

- حاشوفك بكره ؟

قالت وفي عينيها ضحكة هادئة:

- في ميامي ؟!

قال :

- لا .. في المعمورة .. أنا مسا بقدرش أروح مسامي .. بيتهيالي أن كل حاجة هناك بشرقص روك اندرول .. البنات والأولاد والشماسي والكباين والكلام والأفكار ، والجرسونات والغطاسين .. كل حاجة هناك بشرقص روك اندرول .. البنات ماشيين يقولوا « روك » .. والأولاد ما شيين يقولوا « رول » .. وأنا ما باحبش الروك ولا الرول !

قالت وابتسامتها تملأ وجهها:

- المعمورة بترقص تانجو .. مش كده!

قال وهو يكاد يضحك:

- أيوه !

قالت:

- أنا نفسى بكرة أرقص تانجو!

والتقت عيونهما .. كأنهما تواعدا في الغد ، على قبلة !

...

وكذبت على أمها .. قالت لها إنها ذاهبة لقضاء اليوم مع صديقاتها على شاطىء المنتزه .. ولا تدرى لماذا كذبت عليها .. إن أمها لم تكن لتعارضها لو قالت لها إنها ذاهبة إلى المعمورة .. ولكنها أحست لأول مرة أن هناك شيئا لها وحدها.. شيء لا تحب أن يشاركها فيه أحد ، حتى أمها .. شيء كالسر كوهم كبير!

وذهبت إليه .. وكان ينتظرها في كابينه .. وبدلت ثيابها هناك .. ونزلت معه إلى البحر .. إنه يعوم كانه يستحم في « البانيو » .. إنه لا يجيد السباحة .. ولم تكن تعتقد أنها في يوم من الأيام سستعجب بشاب لا يجيد السباحة .. ولكنه أعجبها.. بل إنها بدأت تسبح مثله .. كأنها نسيت كيف تسبح .. كانها فتاة من الصعيد .. لم يكونا يسبحان ، ولكنهما كانا جالسين على مقعدين من الماء .. وكان يتكلم .. يتكلم دائما .. وكلامه لذيذ .. لقد قضت معه في البحر أكثر من ساعتين .. يتكلمان ..

وقبلة أخرى .. لا شيء أكثر من قبلة .. إنه لم يحاول شيئا أكثر ، ولم تكن تريد منه شيئا أكثر ..

وتعدد اللقاء ..

كان كلما ارادها ، يمر امام كابينها على شاطىء ميامى .. وينظر إليها بطرف عينيه .. ثم يسبقها إلى سيارته ، وتلحق به .. كان كلاهما لا يريد أن يعرف أحد سرهما .. كانا لا يريدان أن يشركا أحدا في وهمهما الكبير ..

وكان كل يوم يفتح أمامها بابا جديدا .. ولكن الجديد لم يكن فيه هو .. كان الشيء الجديد كل يوم في نفسها .. وجدت في شفتيها شيئا جديدا .. وفي أفكارها شيئا جديدا .. وفي قطعة من جسدها شيئا جديدا .. لقد أعطته كثيرا .. لا .. لقد اعطت نفسها .. لم تحس أبدا أنها تعطيه .. ولم تحس منه أنه يأخذ .. كانا يخطوان ساويا ، ويفتحان أبوب عالمهما الجديد ، بابا بعد باب ..

وكانت سعيدة ..

هل هي حقا سعيدة ؟!

إن هناك شيئا يشوب سعادتها ، لا تدرى ما هو ..

إنها دائما تسال نفسها هل هى سعيدة .. مجرد تساؤلها يهز إيمانها بسعادتها ..

وهى دائما تحس إنها تعيش فى وهم .. وتقتات من الوهم .. والذين يسعدون بالوهم ، يجب ألا يحسوا بأنه وهم .. وهى تحس به .. تحس بأنه مجرد وهم!

هناك شيء ينقصها .. ولا تدرى ما هو ؟

إنها تحس أحيانا أنها تائهـة .. غارقة في بحر من العسل ..

بل إنها تحس أحيانا أن هناك ناحية في أبو بكر لا تفهمها ..

ولا تعرفها .. تحس أنها لا تستطيع أن تمسك به بيديها .. تحس أنه هو الآخر وهم .

كانت تشعر بالخوف .. الخوف من أن تصحو يوما من النوم فلا تجد في أبو بكر شيئا جديدا ، ثم تعود كما كانت غارقة في الضيق والملل ..

إلى متى تستطيع أن يشعرها بجدته .. إلى متى يستطيع أن يحتفظ بها ويحتفظ بلهفتها على الأشياء الجديدة .. لا تدرى .. ولكنها تحس فى أعماق نفسها بأنها لا تستطيع أن تعيش طول حياتها على الأشياء الجديدة .. تحس إنها في حاجة إلى شيء قديم تحبه ويملأ عمرها رغم أن ليس لها فيه جديد ..

ومر من أمام كابينها يوما ، ونظر إليها بطرف عينيه .. وكان بجانبها بعض صديقاتها ..

فقالت سميحة وهي تتبعه بعينين تتمنيانه:

- ياختى عليه .. جنان .. أنا مستعدة أمشى وراه الأخر الدنيا .. بس ياخسارة !

وقالت مايسة في دهشه:

- خسارته إيه ؟
 - قالت سميحة:
- بيحب .. بقاله أربع سنين بيحب واحدة متجوزة ..و..
 - وقاطعتها مايسة وعيناها تبرقان:
 - متجوزة ؟
 - قالت سميحة :
 - أيوه .. متجوزه وما حدش قادر ياخده منها أبدا!
 - قالت مايسة وكأنها تدافع عن نفسها:
 - كدب .. كدب .. حرام عليكي بلاش تشنيع ..
 - قالت سميحة :
 - أبدا والله مش تشنيع ..
 - قالت مايسة :
 - -- طيب اسمها إيه ؟
 - قالت سميحة :
- ما عرفش .. إنما أعرف أنها بتقعد في بلاج نمرة ٢ مكرر
 مم شلة طنط فريده ..

وسكتت مايسة .. ثم قامت بعد فترة ، ولحقت به فى سيارته .. كانت تحس بجرح فى قلبها .. تحس أنها أهينت تحس أن الناس كلهم يخرجون لها السنتهم ويعايرونها برجلها إنها لا تريد أن يتحدث الناس عنها وعن أبو بكر .. ولكنها لا ترضى أن يتحدث الناس عن أبو بكر وأمرأة أخرى ..

وقالت له كانها لم تعد تستطيع أن تصبر على إهانتها:

- انت بتعرف واحدة يا بكر؟

ونظر إليها كانه بواغت بالسؤال .. ثم عقد ما بين حاجبيه ونظر أمامه وقال بعد صمت برهة :

~ أيره !

ولم تكن تنتظر اعترافا . كانت تنتظر منه أن ينكر حتى لو كان كاذبا في انكاره ..

وعادت تقول كانها تتوسل إليه أن يكذب عليها:

- قصدك كنت بتعرف وأحدة ؟

قال:

- لا .. أنا بأعرف وأحدة !

قالت في مرارة:

وماسبتهاش ليه ؟

قال :

ما قدرش أسيبها !

وسكتت كأنما تحاول أن تلعق جراحها بلسانها .. وبدأت تبحث له عن حجة تبرر بها صراحته .. إنه على الأقل لم يكذب عليها .. لم يخف عنها شيئا من نفسه .. لم يخدعها .. إنه إنسان صادق .. حتى ولو كان صدقه مرا ..

وقالت بعد برهة وهى تصاول أن تبتسم ، وأصابعها تنقر على حافة مقعد السيارة كأنها تعد ضربات قلبها :

- أقدر أعرف اسمها إيه ؟

قال وهو لا يزال مقطب الجبين:

- لا .. مش من حقى أقول على اسمها ..

– امال من حق مين ؟

قال :

من حقها هي .. لو حد سالني عن اسمك برضه مش حاقول !

. 03--

قالت:

- مرسى .. يعنى خايف عليها .. زى ما بتخاف عليّ !

قال :

لازم تشجعيني على كده ..

قالت:

-- سمعت إنها متجوزة!

قال :

-- ما أقدرش أقول لك !

قالت:

- بيقولو إنها ..

قال في حدة :

- مایسة .. أرجوكی بلاش السیرة دی .. مش من حقك ولا من حقی نتكلم عن واحدة مش موجودة .. حكایتی معاها مش سری أنا لوحدی .. إنما سرها هی قبل منی علشان كده مش ممكن حاتكلم علیها .. ولا حا أسمح لك تتكلمی علیها ..

وقالت مايسة وهي تحاول أن تكتم نزيف قلبها:

- يا سلام .. بتحبها للدرجة دى ؟

قال في حرّم كانه يشهر سيفا فوق رقبتها:

- أرجوكي بلاش السيرة دى ..

وسكتت .. وسكت .. وطال بينهما الصمت .. وهي لا تزال تنقر بأصابعها على حافة المقعد كانها تعد ضربات قلبها ..

إلى أن التفت إليها قائلا:

- تحبى نروح فين ؟

ونظرت إليه طويلا كأنها تتحداه .. وقالت ساخرة :

- نروح الشقة!

وأدار سيارته نحو بيته ..

7

ودخلت مايسة إلى شقة أبى بكر وهى تحاول أن تخفى جرحها وراء تظاهرها بالاستهائة .. الاستهائة بهذه الفتاة الأخرى التي يعرفها بكر ، والتي اعترف لها بأنه لا يزال يعرفها ، وبأنه

لا يستطيع أن يهجرها ..

من تكون هذه الفتاة ؟

إنها لا يمكن أن تكون أجمل منها .. ولا يمكن أن تكون أرشق منها .. ولا يمكن أن تكون أرشق منها أنوثة .. ربما كانت تمتاز عنها بأنها زوجة .. والزوجات الخائنات يمنحن عشاقهن أكثر مما تستطيع الفتيات أن يمنحن .. أنهن على الأقل يعفين الرجال من مسئوليتهن !!

ولكن .. هل يحب هذه الأخرى ؟

مستحيل .. لو كان يحبها لاكتفى بها .. لاستغنى بها عن كل النساء .. ولكنه لا يحبها .. إنه يحبنى أنا .. أنا التى يحتاج إلى .. لو لم يكن يحبنى .. لاكتفى بالأخرى ..

ولكن لماذا لا يهجر الأخرى ؟

ربما كانت مجرد شهامة منه .. إنه يحتفظ لها بذكرى .. السنوات الأربع التى منحتها له من عمرها .. مجرد ذكرى ..

ومن أجل هذه الذكرى لا يزال يحتفظ بها على سبيل المجاملة .. على سبيل الشهامة .. ولكنها ستجعله يضحى بشهامته من أجلها .. يضحى بالأخرى .. إن أى رجل يرضى بتضحية كل النساء من أجلها .

وظلت مايسة تحاول أن تقنع نفسها بالاستهانة بهذه الأخرى. وأقبلت على أبى بكر كأن ليس فى حياته امرأة غيرها.. حاولت أن تكون معه كما تعودت أن تكون .. بل أكثر مما تعودت أن تكون .. واقتربت منه وبين شفتيها أجمل ابتسامتها .. ثم مدت ذراعيها ولفتهما حول عنقه ، وقالت فى دلال :

- أنا وحشتك ؟!

قال وهو يضمها إليه في قسوة:

- إنتى دايما وحشانى .. أبص فى عنيكى توحاشنى شفايفك ، وأبوس شفايفك توحشنى عنيكى ..

واستمعت إليه كأنها تشرب كلامه بأذنيها .. لقد سبق أن قال لها مثل هذا الكلام .. ولكنها في هذه المرة تحس في كلامه مبالغة لم تكن تحس بها .. تحس كانه يفتعل .. كانه يمثل .. ورغم ذلك فهي تريد أن تشرب من هذا الكلام .. تشرب كثيرا حتى تسكر .. لعلها عندما تسكر ، تنسى .. تنسى الأخرى ! وقالت في دلال أكثر :

- طب لما تبوسنى خللى عنيك مفتحة ، علشان تشوف عنيه! ورفع كفه ومسح به على شعرها ، وعيناه مفتوحتان نصف فتسحة كأنه يختار من أين يقبلها .. ثم جذب وجهها إليه في عنف وقبلها فوق شفتيها .. قبلة قاسية .. كالشوك .. وقد كانت هذه القبلة تثيرها ، كانت تشعرها بأنها امرأة .. ولكنها في هذه المرة تحس أنه يفتعل هذه القسوة .. كأنه يضغط على أعصابه

متعمدا .. كأنه هو الآخر يحاول أن ينسى الأخرى ..

ورغم ذلك استسلمت لقسوته .. استسلمت كما لم تستسلم من قبل .. وتركت يديه حرتين تمرحان فوق جسدها .. أنها تريد أن تغرق فيه .. تريد أن تحس أن كله لها .. لها وحدها ..

ولكن ، لا .. إنها ترى في عينيه العسليتين أشياء لم تكن تراها من قبل .. كان هناك امرأة أخرى غارقة معها في بحر العسل .. وتذوق من شفتيه طعما لم تكن تذوقه من قبل .. كأن فوق شفتيه شفتي هذه المرأة الأخرى .. وتشم فيه رائحة غريبة ، رائحة انثى غيرها .. وكلماته .. أنها لا تستطيع أن تنساق مع كلماته كما تعودت ، إنها تستمع إليه وهي تتساءل :

هل سبق أن قال مثل هذا الكلام للأخرى .. وشكله .. إن شكله تغير .. إنه يكاد يكون إنسانا جديدا .. إنسانا آخر ، تملكه أخرى ..

.. ¥

إنها لا تستطيع أن تستهين بهذه الأخرى .. إنها واقفة بينها وبين أبى بكر .. إنها تراها في كل ساعة ، وفي كل دقيقة ، وفي كل لحظة .. تراها في نظرته ، وفي قبلته ، وفي لمسات يديه ، وتراها فوق الجدران وقطع الأثاث ..

وجمعت أعصابها ، واستعانت بكل إرادتها ، ثم نزعت نفسها من بين ذراعيه ، وابتعدت عنه ..

ولحق بها وهو نصف مجنون ، فصدته بيديها .

وقالت وضيقها يكاد يخنق كلماتها:

-- لا يا بكر .. لازم انزل دلوقت!

وقال وأنفاسه لا تزال مبهورة:

- ليه إيه اللي حصل ؟

قالت وهي تساوي شعر رأسها وتشد أطراف ثويها:

- ولا حاجة .. بس افتكرت أن ماما مستنيائي في الكابين ! وسكت .. وأخذ ينظر إليها حتى هدأت أنفاسه .. ثم تقدمها صامتا وفتح لها الباب ..

وظلا صامتين وهما في المصعد .. ثم وهما في السيارة .. وكانت تحس بأنها صخيرة .. ضعيفة .. كأنها لا تساوى شيئا .. وكانت تبذل جهدا كبيرا لتستعيد ثقتها بنفسها .. لتقنع نفسها بأن تستهين بالأخرى ..

ووقفت السيارة أمام شاطىء ميامى ، ومدت يدها لتفتح الباب .. وفجأة أمسك بيدها .. أمسك بها بقسوة كأنه يمنعها من أن تهرب منه .. ونظر في عينيها بكل عينيه .. وقال كأنه يأمرها :

-- مايسة ..

ثم سکت ..

ونظرت إليه ، وتنهدت ، كأنها تطرد من صدرها دخانا ، وابتسمت ابتسامة صغيرة ، وقالت وهي تحاول أن تبدو هادئة:

- حاشوفك بكره امتى !!

وابتسم ابتسامة واسعة .. وأطلق يدها من يده .. وقال كأنه استرد عمره :

- بكره الساعة حداشر حافوت من قدام الكابين ..

وهزت رأسها موافقة .. ثم فتحت باب السيارة وما كادت تهم بالنزول حتى عاد يقول:

- مايسة .. حاولى تفهمينى .. أنا واثق إنك تقدرى تفهمينى ..

وعادت تبتسم ابتسامة صغيرة .. ونزلت من السيارة ..

...

ومرت أيام وهي تتعذب ..

عذاب جديد لم تجربه من قبل .. إنه شيء آخر جديد يقدمه لها بكر !

ترى ما شكلها .. هذه الأخرى .. هل هى شقراء أم سمراء .. إنها تعرف ذوق بكر .. إنه يحب الجسد الملفوف ، والساقين المليئتين ، والشفتين الغليظتين .. والعينين الواسعتين .. ويحب عمر العشرين .. أو الواحد والعشرين .. اثنين وعشرين على الأكثر .. والأنوثة المتفجرة .. أنوثة تكفى لتتجاوب مع فحولته .. فحولة الصعيد !!

ولكن هل هي أجمل منها !!

هل هناك فتاة أجمل منها !!

وأحست بشعور التصدى .. تحدى هذه الأضرى .. لم تعد تستهين بها .. إنما هي تتحداها ..

وأعترفت بينها وبين نفسها أن لها غريمة .. هى التى عاشت عصرها والدنيا تدللها ، والبنات كلهن يغرن منها ، أصبح لها غريمة .. وأصبحت تقضى أيامها تبحث عن غريمتها .. تنظر في وجه كل أمرأة صغيرة تمر بها ، وهي تتساءل : هل هذه هي غريمتها !!

وخيل إليها في هذه الأيام أنها تحب بكر أكثر .. لم يعد حبها مجرد وهم .. إنها تحبه .. وهي تريده .. تريده لها وحدها .. تريد أن تنتصر على غريمتها !! واندفعت في المعركة بكل أسلحتها ..

وفى سبيل الفوز به اعطته كثيرا .. اعطته من وقتها ، ومن حنائها ، ومن جسدها ، ومن مالها .. اعطته اكثر مما كانت تعتقد إنها تستطيع إن تعطى .. لعلها تغنيه عن الأضرى .. الأخرى المتروجة .. وكان يأخذ ما تعطيه في بساطة .. كانه يأخذ حقه .. إنه لا يحس بالمعركة العنيفة القاسية التي تخوضها .. لا يحس بالعذاب الذي يمزق قلبها ويشد اعصابها على اسياخ من نار .. لا يحس إنها تعطيه لتغريه بأن يترك الأخرى .. بل إنها لا تعطيه ، إنما تعطى الأخرى ، كانها ترشوها كي تتركه لها ..

وكانت قد قررت بينها وبين نفسها أن تتظاهر أمام أبى بكر بتجاهل الأخرى .. إنها لا تساله عنها .. ولا تذكرها أمامه .. ولا تشعره بأن لها شأنا بينهما .. إنها بذلك تستطيع أن تحفظ كرامتها .. تستطيع أن تخفى ضعفها .. تستطيع أن تبدو قوية ، واثقة بنفسها وبأنوثتها ..

وكانت فى أحيان كثيرة تهم بأن تذكر هذه الأخرى .. تهم أن تحدثه عنها .. فتشعر كأن لسانها قد انشق وينزف دما .. تحس بشىء فى داخلها يسيل ، كأن غلاف كرامتها قد ثقب .. فتسكت وتبتلع لسانها ونزيف كرامتها ..

ثم أفلت لسانها مرة وقالت وهي تخفي عنه عينيها حتى لا يرى عذابها:

- انت لسه بتشوفها ؟
 - وقال كأنه فوجيء:
 - مین ؟

قالت وقد رفعت عينيها إليه في لفتة سريعة ثم عادت وخفضتهما:

-- الثانية .. المتجوزة!

وصرخ وهو يضرب المائدة بيده:

- إحنا حنرجع تانى للسيرة دى .. إحنا مش اتفقنا إن مالناش دعوة بيها .. أرجوكى .. أرجوكى يا مايسة .. علشان خاطرى .. إذا كنت بتحبينى ، بلاش تتكلمى عنها ..

وضحكت ضحكة مرة ، وقالت :

أنا بس حبيت أفكرك بيها .. خفت لا تكون نسيتها !
 ثم بلعت المر وسكتت ..

وعادت تتعذب .. وقلب العذاب كل حياتها .. لم تعد تذهب إلى الحفلات .. ولم تعد تنزل البحر لتستحم مع الفتيان .. ولم تعد تذوق لكلمات الاعجاب والغزل طعما .. لم تعد تضحك .. بل خيل إليها أنها لم تعد جميلة .. إنها تنظر إلى المرآة فيضيل إليها أن هناك أجمل منها .. كثيرات .. كلهن يذهبن إلى بكر .. وتضع المساحيق على وجهها فيخيل إليها أنها لم تعد تعرف كيف تضعها .. إن يدها ترتعش وهي تضغط بأصبع الروج على شفتيها .. إن يدها ترتعش وهي تضغط بأصبع واحتارت مع تسريحة شعرها .. إن كل تسريحة يخيل إليها أنها بشعة .. فتفك شعرها وتعيد تصفيفه ، ثم تفكه من جديد.. وهي دائما مع بكر .. وإن لم تكن معه فيجب أن تعرف إين

وهى دائما مع بحر .. وإن لم تكن معه فيجب ان تعرف اين هو .. وإن لم تعرف فلابد أنه مع الأخرى .. وتتخيله مع الأخرى .. وتتخيله يقبلها .. وتتخيله يضمها .. وتتخيله يلوى شعرها بين أصابعه .. وتتخيله يخلع عنها ثيابها .. إن الزوجات الخائنات يخلعن دائما الثياب .. وتتخيله يضحك وهى تضحك معه .. و .. و .. و يشتد بها العذاب .. ورغم ذلك فهى مضطرة أن تبتلع عذابها .. إنها لا تستطيع أن تصرخ ، ولا

تستطیع آن تشکر .. حتی لو رأتهما بعینیها معا ، لا تستطیع آن تتکلم .. إنه لم یکذب علیها .. لقد اعترف لها .. قال لها إن له امرأة آخری .. وقد رضیت باعترافه .. رضیت به علی حاله .. رضیت بهذا العذاب .

ولم تكن تغار ..

إنه شيء أكثر من الغيرة .. إنه الغيظ ، إنه الاحساس بالكرامة الجروحة !

ولكن أين هي الأخرى ؟

من هي الأخرى ؟

لابد أن تعرفها .. لابد أن تراها .. إنها لا تستطيع أن تعيش وغريمتها هي كل زوجة صغيرة تمر بها ..

وعادت تسال صديقتها سميحة عما تعرفه عن هذه الأخرى.. وقالت سميحة وهي تنظر إليها كأنها تريد أن تكشف سرها:

- أنا شايفاك مهتمة قوى بالموضوع ده ، يكونش بينك وبين بكر حاجة ؟

وترددت مايسة قليلا ، ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة ، وقالت:

- تقريبا !!

وصاحت سميحة:

-- ياى .. يا بختك ..

وقالت مايسة:

- لسبه مافیش حاجة .. إنما أصلی شایفاه تاعب نفسه قوی .. وعایزة أعرف كل حاجة عنه !

وأحست مايسة كأنها تحمى كرامتها وهى تكذب على صديقتها .. تحمى قلبها وجسدها اللذين اعطتهما بسخاء لرجل له امرأة أخرى!

وقالت سميحة:

 وحياتك ما أعرف عنه حاجة ، إلا أنه بيعرف واحدة متجوزة بقاله أربع سنين ..

وقالت مايسة في لهفة:

ما تعرفیش اسمها .. ما تعرفیش حاجة عنها ؟

قالت سميحة وهي تنظر إليها في دهشة:

- أبدا زى ما قلت لك .. اللى أعرفه أنها بتقعد مع شلة طنط فريدة في بلاج نمرة اثنين مكرر ..

وهبت مايسة واقفة ، وقالت وهي تجذب سميحة من يدها :

- تعالى ندور عليها !!

وقالت سميحة وهي تنقاد لها:

ده يظهر حكايتك كبيرة قوى .. تكونيش بتحبيه !!
 وقالت مايسة وهي تحاول أن تضحك :

- تعالى بس ، وحا أحكى لك على كل حاجة !

...

ووصلت الفتاتان إلى شاطىء سيدى بشر « نمرة ٢ مكرر». وقلب مايسة يخفق .. ويشتد خفقانه كلما اقتربت أكثر .. من غريمتها !

حاولت أن تختار الصورة التى تبدو فيها .. حاولت أن تعود إلى مشيتها التى عرفت بها .. الخطوات السريعة الضيقة .. ولكنها وجدت نفسها تبطىء فى خطواتها .. ثم وضعت على شفتيها ابتسامة واسعة .. ابتسامة استهتار .. ثم عادت وغيرت ابتسامتها ، واختارت ابتسامة ضيقة .. ابتسامة محترمة .. ووضعت يدها فى جيب ثوبها ، ثم عادت ورفعتها والقتها بجانبها .. إنها مرتبكة .. وفى ارتباكها خوف وتردد .. وهى

تريد أن تتخلص من ارتباكها .. تريد أن تبدو أمام غريمتها ، ثابتة واثقة من نفسها .. ولكنها كانت كلما حاولت أن تتخلص من ارتباكها ارتبكت أكثر ..

واستوقفتها سميحة قائلة:

- أهي شمسية طنط فريدة .. تيجي نسلم عليها!

ورقفت مايسة وقد أحست بدمائها كلها تبرد كانها تواجه الموت ، ونظرت بعينين مترددتين إلى حيث أشارت سميحة كأنها تسرق بعينيها شيئا ..

وقالت سميحة:

-- مالك وقفت كده ، ما تيجى نسلم عليها ..

وقالت مايسة في صوت خفيض:

- لا .. روحى انتى سلمى عليها ، وأنا حاستناكى هنا !
وتركتها سميحة .. وعادت تسرق بعينيها .. أنها ليست
شمسية واحدة .. ثلاث شماسى متلاصقة .. وتحتها سيدات
وبنات كثيرات .. سيدات وبنات من كل الأعمار .. وكلهن
يتحدثن فى وقت واحد ، لا تدرى من منهن تحادث الأخرى
ولا من منهن تستمع للأخرى .. وبنت تلعق بلسانها قرطاسا
من « الكلو كلو » .. وسيدة تنادى على بائع اللب .. وفتاة
فتحت فوق ساقيها كتابا لا تقرأ فيه .. وغجرية تضرب الرمل
جالسة تحت أقدام سيدة عجوز تقرأ لها مستقبلها ، والسيدة

ثم سقطت عينا مايسة على واحدة ..

إنها هي ..

لابدأن تكون هي غريمتها!!

شابة شقراء جميلة .. نعم ، إنها جميلة .. لا تستطيع أن

تنكر جمالها .. شعرها تشده خلف رأسها في سبيكة من الذهب .. وبشرتها في لون اللبن المخلوط بعصير الورد .. وشفتاها كحبتى الكريز .. وعيناها الواسعتان كبحيرة زرقاء في وسط نهار مشمس .. إنها ناضجة ، متفتحة كحبة التين البرشومي .

القد عرف أبو بكر كيف يختار لها غريمتها ..

وجاءت إليها سميحة ، فبادرتها تسالها دون أن تنظر إليها :

-- هيه دی !!

وقالت سميحة في دهشة:

- مين ؟

قالت مايسة وهي لا تزال تسرق بعينيها:

- اللي بيعرفها بكر ..

وقالت سميحة وهي تنظر حيث تنظر مايسة:

- قصدك البنت البلوند اللى قاعدة مسجعوصة .. يجوز .. على كل حال دمها تقيل ..عرفونى بيها دلوقت .. اسمها زيزى .. ومدت لى طراطيف صوابعها .. باين عليها طالعة فيها قوى!!

وسارت مايسة بجانب سميحة على الشاطىء .. وصورة زيزى تهتز أمامها .. إنها « طالعة فيها » .. هل أحبها بكر لأنها « طالعة فيها » .. هل استطاعت أن تحتفظ به أربع سنوات لأنها « طالعة فيها » !!

وكانت تريد أن ترى بكر .. تريد أن تراه حالا .. لتبحث فيه من جديد عن أثر زيزى ..

ورأته ..

أخذت سيارتها وذهبت إلى المعمورة .. ووجدته جالسا على

الرمل يقرأ في كتاب .. وفرح لرؤيتها ، وقبل أن تتم فرحته بها م فاجأته قائلة ؛ : ..

∵-- شفتها!

وقال في دهشة:

- مین ؟

قالت:

- اللي بتعرفها .. اللي مش قادر تسيبها .. لك حق دى حاجة ما تتسابش ..

وسكت أبو بكر ، وعقد ما بين حاجبيه ، وضم شفتيه الغامقتين ، كأنه يكتم صرخة تنطلق في وجه مايسة ..

وعادت مايسة تقول:

وبالامارة هي بلوند .. شعرها أصفر يجنن .. مش كده ؟
 وقال أبو بكر في حدة :

- ما أعرفش !! - ما أعرفش !!

وقالت مايسة كأنها تغيظه:

- واسمها زيزي!

وقال أبو بكر:

- م**ا أ**عرفش !

وقالت مايسة :

- إنما أنا ما كنتش أعرف أنك تحب البلوند ..

وقال أبو بكر وقد بدأ صوته يرتفع ورنة الصعيد تنسكب من بين شفتيه:

-- مايسة .. و ..

وقاطعته مايسة قائلة:

- عارفة حاتقول إيه .. ما يصحش أجيب سيرتها ..

ما يصحش أتكلم عليها .. حاضر سمعا وطاعة .. أرفوار بأه .. أشوفك بكره ..

وتركته ، وهو ينظر خلفها دهشا كأنه يتهمها بالجنون .. وجاء الغد ..

ولم تكن تريد أن ترى بكر .. كانت تريد أن ترى زيزى .. شيء عنيف يدفعها إليها .. المعركة .. التحدى .. الغيظ .. الكبرياء المجروحة .. كل ذلك كان يدفعها إلى غريمتها .. فى ركن بعيد من قلبها ، كانت تشعر بالسعادة لهذه المعركة .. سعادة صفراء .. وكانت سعادتها لأنها وجدت غريمتها جميلة .. أنيقة .. ثرية .. وأكثر من ذلك متزوجة .. إنها غريمة ترضى غرورها .. إنها لا تحارب فتاة تافهة .. إنها تحارب امرأة رائعة.. وأحست كأنها تشكر بكر لأنه اختار لها زيزى لتحاربها فيه .. إنها ليست أى فتاة .. فتاة جديرة بأن تغار منها ، وأن تحتمل منها العذاب .

وأمرت سائق سيارتها بأن يحمل لها شمسيتها ، ثم أخذت معها سميحة وديدى وذهبت بهن إلى شاطىء سيدى بشر نمرة « ٢ مكرر » !

ووضعت شمسيتها بجانب شمسية زيزى ، وراتها فريدة هانم فنادتها :

- مش تیجی تسلمی یا مایسة .. ازیك یا حبیبتی .. وازای ماما .. البلاج بتاعنا نور .. یا تری ایه اللی خلاكی تسیبی میامی !

وقالت مايسة وهي تصافحها:

- أصل ميامى بأه زحمة قوى يا طنط .. الناس بتيجى تتفرج علينا زى ما نكون سينما ..

وقالت فريدة هانم:

- خلاص .. تبقى تيجى كل يوم هنا .. ويبقى عندنا أجمل بنتين في مصر .. انتى وزيزى !

وضرب قلب مايسة ضربة قوية في صدرها ، وقالت لنفسها : « إننا أجمل بنتين .. ولكني أجمل منها .. أنا أجمل منها الف مرة .. إن شعرها الأصفر لا يساوي شيئا .. وسآخذه منها .. سآخذ بكر » !

ولم تلتفت إلى زيزى .. خيل إليها أنها لو التفتت إليها فستنهار أمامها .. ستصرخ .. ستخرمش وجهها بأظافرها .. وقالت فريدة هانم :

- ما تيجوا تقعدوا معانا يا بنات ، وتنضموا للشلة ..

وقالت مايسة وهي تبتعد:

- معلهش يا طنط .. ما أحنا قاعدين جنبكم !

وابتسمت فريدة هانم كأنها تعلم أن للبنات أسرارا ، يفضلن أن يتداولنها فيما بينهن ..

وجلست مايسة ، وقد تعمدت أن يكون ظهرها لزيزي ..

ومرت فسترة طويلة وهي تنتظر أن تأتي زيزى بأي حركة ..

ولكن زيزى لا تتحرك .. إنها لا تحاول أن تنظر إليها ..

ولا تحاول أن ترفع صوتها لتسمعها .. كأنها لا تشعر بها .. ولا تأبه بها ، ولا تعتبرها غريمة ..

وتضايقت مايسة ، وفجأة رفعت صوتها بحيث تسمعها زيزى ، وقالت وهي تتظاهر بأنها تحادث سميحة :

- إمبارح أبو بكر قعد يكلمنى فى التليفون ساعة ونصف .. كلامه ما بيخلص .. وبيلقح نفسه تلقيح .. صحيح إنه راجل لذيذ .. إنما أنا ما باحبش الرجالة اللى يرموا نفسهم بالشكل ده!

ولم تتصرك زيزى .. ولم تدر راسها ناصيتها .. وأغ تاظت مايسة .. احست كأن شيئا فيها يحترق وتشم رائحة شياط ..

إن زيزى تتجاهلها .. إنها باردة .. ولكنها ستذيب هذا البرود بنارها .. ستجعلها تحترق .. ستجعلها تجن !

وقالت سميحة بصوت مرتفع كأنها تؤدى خدمة لمايسة :

- بيقولوا عليه بيحب واحدة متجوزة!

وقالت دیدی:

- حقبه ما حدش يستاهل الشنق إلا الست التي متجوزة وتعرف واحد!

وقالت مايسة:

- وبيقولوا عليها إنها بلوند!

وقالت سميحة:

- كل البلوندات باردين ، ودمهم تقيل ..

واصبح الثلاثة كانهن يكون جيشا يهاجم طبقا لخطة مرسومة ... مايسة قلب الهجوم .. وسميحة جناح أيسر .. وديدى جناح أيمن .. واشتد الهجوم .. قلب الهجوم يطلق طلقة والجناح الأيسر يعقبها بطلقة أخرى ، ثم طلقة ثالثة من الجناح الأيمن ..

ولكن زيزى لا تتحرك .. إنها لا تزال هادئة ، مبتسمة ، منتبهة بكل حواسها إلى أحاديث الشلة التى تجلس معها .. كأن كل هذه الطلقات تموت وتسقط تحت قدميها قبل أن تصل إلى أذنيها ..

وسمعت مايسة صوت فريدة هانم تصيح:

- اهلا فهمى بيه .. تعالى يا سيدى خد مراتك .. دى مابتتكلمش ولا بتضحكش إلا لما تشوفك .. مش كده يا زيزى!

والتفتت مايسة لفتة سريعة ، ثم شهقت في حدة ، كانها تلقت طعنة ..

لقد كانت تعتقد أن زوج زيزى لا بد أن يكون رجلا عجوزا.. له كرش ، وأصلع ، ويمسك فى يده عصا ، ويضع بين شفتيه سيجارا ضخما .. إن الزوجة لا تخون إلا زوجا من هذا النوع.. ولكنها رأت زوج زيزى .. إنه شاب .. ممتلىء شبابا .. إنه جميل .. إنه رائع .. لا يمكن أن يكون لها مثل هذا الزوج ، ويكون لها أبو بكر .. هذا كثير .. كثير ..

ورات الزوج الشاب وهو ينحنى فوق يد زوجته يقبلها .. ثم رأتها تمد له وجنتها وهى مغمضة العينين ، كأنها تستغيث بأنفاسه ليرد لها الحياة ..

ولم تحتمل مايسة ..

قامت ، وقامت معها صديقتاها .. والمعركة لا تزال تدور في صدرها .. إن زيزى امرأة خطيرة .. امرأة تستطيع أن تحصل على مثل هذا الروح ، ومثل هذا العشيق .. هل تستطيع هي أن تحصل على مثله ما .. هل تستطيع أن تنتصر عليها .. إنها إن لم تبتعد عن بكر ، فستأخذ منها زوجها ..

وعادت في اليوم التالي تسعى وراء غريمتها.

ولكن زيزى لم تكن تحت شمسيتها .. وانتظرتها .. إن الساعة الثانية عشرة ولم تأت .. لابد أنها معه .. مع أبو بكر ..

وبدأت صورة زيزى وهى فى أحضان بكر تلح على رأس مايسة .. صورتها وهو يفك شعرها من فوق رأسها كأنه يذيب بأصابعه سبيكة الذهب .. وصورتها وهو يقبلها ، وهو يحتضنها .. لا .. إنها لا تحتمل .. لا تحتمل ..

وانتقضت من مكانها وهرعت إلى سيارتها ، وصرخت في السائق :

 المعمورة يا أسطى .. قوام .. قوام .. فى دقيقة واحدة عايزة أكون هذاك !

وقال السائق:

مش نجيب الشمسية ! وصرخت :

- باقول لك اطلع على المعمورة .. قوام .. فاهم يعنى إيه قوام . دوس بنزين للآخر ..

وجنت السيارة في طريق المعمورة!

ولكن زيزى لم تكن هناك ..

ولا أبو بكر ..

أين هما .. لابد أنهما في الشقة .. وقفزت إلى سيارتها .. وعادت كالمجنونة إلى العمارة المواجهة لشاطيء ميامي ..

إنها أول مرة تذهب إلى الشقة دون سابق موعد مع بكر ..

ولكن لا يهم .. وضعت نفسها في المصعد ، وضعطت على الزر الخاص

بالدور التاسع .. وخيل إليها أن الصعد لا يصعد .. إنه واقف مكانه لا يصعد .. إنه واقف مكانه لا يتحرك .. ولكنها وصلت إلى الدور التاسع ، وضغطت على جرس الباب بلا تردد ..

كانت اعصابها أشد ثورة من التردد .. ولم يفتح أحد الباب ..

وخبطت على الباب بكلتا يديها ..

ولم يفتح أحد ..

ويئست وهي تكاد تبكى .. لابد أنهما في الداخل لا يجيبان

ونزلت وقد قررت أن تنتظر في سيارتها أمام باب العمارة حتى تراهما بعينيها ..

ولكن ..

لقد نسيت أن زيزى زوجة .. والزوجات يحتلن عند مقابلة عشاقهن .. إنها لا تستطيع أن تقابله على شاطىء المعمورة ، ولا تستطيع أن تقابله في شقته التي يعرفها كل الناس .. لابد أن لهما مكانا خفيا يلتقيان فيه .. ربما شقة في البلد ، تستطيع أن تذهب إليها محتجة لزوجها بأنها ذاهبة إلى الحلاق أو لقضاء بعض المشتروات ..

إنها ان تستطيع أن تجد هذه الشقة أبدا ..

وخطرت لها فكرة .. ذهبت إلى بيتها ، وبحثت فى دفتر التليفون ثم سألت الاستعلامات حتى وجدت نمرة تليفون زيزى .. وأدارت القرص .. ورد عليها صوت رجل .. لعله زوجها .. وقالت وهي تحاول أن يبدو صوتها هادئا :

- زیزی موجودة من فضلك ؟

وقال الرجل:

- لا .. حضرتك مين ؟

قالت:

- حضرتك فهمى بيه!

قال :

- أيوه يا أفندم!

قالت:

- ما تعرفش زیزی راحت فین ، اصلی عایزاها فی حاجة

مهمة!

قال:

- ميه نزلت البلد!

قالت في خبث :

- يا ترى بتعمل إيه في البلد؟

ثم ضحكت ضحكة كبيرة ، والقت سماعة التليفون من يدها وما كادت تلقى بها .. حتى سكنت ضحكتها ، وأحست أنها .. مجرمة ..

4 1

وقضت بقية يومها في عذاب .. وحاولت أن تخفف من عذابها بالبحث عن بكر .. إنها تريد أن تراه حتى لو كان يحمل فوق شفتيه بصمات شفتى زيزى .. تريد أن تراه ليقنعها بأن المعركة لم تنته بعد .. بانها لم تهزم .. بأن زيزى لم تنتصر عليها .. ولكنها لم تستطع أن تجد بكر ، كأن الأرض انشقت وابتلعته .. لم تجده إلا في اليوم التالي .. ذهبت إليه في الساعة التاسعة صباحا كأنها كانت تخاف أن تسبقها زيزى وتأخذه منها .

وقالت له وهو لا يزال ممددا في فراشه:

- انت عندك شقة في البلد يا بكر!

ونظر إليها كأنه لم يفق بعبد من نومه .. ثم قال بعد أن صمت برهة :

- وأنا باقول إيه اللى جابك بدرى كده .. كان لازم أعرف أن فيه تحقيق !

قالت وهي تجلس على حافة الفراش:

-- بس قولى لى يا بكر . صحيح عندك شقة تانية ؟

قال :

قولیلی انتی .. السؤال ده لازمته إیه!

قالت وهى تجسمع فى يدها طرفا من مسلاءة السريز ، وتعصره بأصابعها:

- سمعت أن عندك شقة!
- قال في بساطة تبلغ حد البرود:
 - -- لا .. ما عنديش !
- ونظرت إليه في حنق .. إنه يكذب .. يكذب من أجل زيزي .. وصاحت :
 - أنت كنت معاها امبارح ..
 - قال وهو يزفر:
 - حانرجع للسيرة دي تاني !
 - قالت في عصبية:
- أيوه حثرجع لها .. أنا خلاص ما بقتش قادرة استحمل !!
 قال وهو يحاول أن يبدو هادئا :
- ما تبقيش مجنونة يا مايسة .. ما تبقيش زى العيل الصغير اللى يكسر لعبته علشان يشوف جواها إيه .. وبعدين يندم ويعيط لأنه كسرها ..
 - قالت وعيناها تخرشفان وجهه:
- أنت مش لعبة .. أنت راجل .. أنت الراجل اللي باحب ولازم أعرف جواك إيه .. لازم أتأكد من إنك بتحبني ..
 - قال في صوت حنون:
 - أنا باحبك يا مايسة !
 - قالت:
 - والتانية ؟!
 - قال:
 - إنتى حاجة .. وهي حاجة تانية !
 - قالت وهدوؤه يكاد يمزقها:
- أنا ما أقبلش إنى أكون .. حاجة .. وإذا كنت حاجة ، ما أقبلش أن يكون في حياتك حاجة تأنية ..

قال كانه يرجوها:

- أرجوكي يا مايسة .. ما تضعيعيش السعادة اللي إحنا عايشين فيها .. انتى سعيدة وأنا سعنيد .. فيه أكتر من كده إيه .. ليه الواحد يتعب نفسه لغاية ما يلاقي حاجة تعذبه وتشقيه وتقضي على سعادته ..

وقالت وهي تكاد تبكي :

– أنا مش سعيدة ..

قال في ضيق:

-- نبقى فشلنا في حبنا .. يبقى ما فيش فايدة !

ونظرت إليه فى دهشة .. ماذا يعنى .. هل يلقى بها .. هل يتخلى عنها .. من أجل زيزى .. لا ، إنها لا تقبل هذه الهزيمة .. إنها لن تتركه لها .. يجب أن تستمر المعركة وستنتصر .. سيأتى اليوم الذى لا يطيق فيه رؤية زيزى .. ستأخذ قلبه كله ، وجسده كله .. لن تترك لها شيئا منه ..

ونظرت إليه صامتة .. ثم بدأت دموعها تسيل على خديها .. ثم لم تعد عيناها تتسعان لدموعها فاجهشت بالبكاء ..

واعتدل من رقدته ، وجلس قوق الفراش ، ثم ضمها إلى صدره قائلا في حنان :

- أنا ما أقدرش استغنى عنك يا مايسة .. ما اقدرش .. وانتى كمان .. قوليلى إنك ما تقدريش تستغنى عنى .. قوليلى إن سعادتك هي حينا ..

وقالت مايسة وهي تلقي براسها فوق صدره في استسلام:

- ما أقدرش يا بكر .. ما أقدرش استغنى عنك ابدا !

ووضع يده تحت ذقنها ، ورفع وجهها إليه ، ثم بدأ يلتقط دموعها بشفتيه ..

وأعطته .. أعطته كثيرا!

...

وصمت مايسة على خطة جديدة ..

يجب أن يعلم زوج زيرى بأن زوجته تضونه مع بكر .. وعندما يعلم ستضطر زيزى أن تختار .. إما زوجها أو عشيقها .. والزوجات عادة ، عنما تنكشف خيانتهن ، يخترن الأزواج !!

وبدأت بمساعدة سميحة وديدى تطلق ابخرة الشك فى رأس زوج زيزى .. كانت تدق له التليفون ، فإذا رد ، القت بالسماعة فى وجهه ، لتقنعه بأن المتحدث كان يريد زوجته ..

فى كل يوم تدق له التليفون وتلقى بالسماعة فى وجهه .. ثم دقت له التليفون يوما وقالت :

- أنا واحدة ما يهمكش إنك تعرفها .. أنا صديقة مراتك ، وأحب أقول لك إنك لازم تاخذ بالك منها ..

ثم ألقت سماعة التليفون ..

وبعد أيام اتصلت به سميحة ، وقالت بمجرد أن سمعت صوته :

- خد بالك .. مراتك بتخونك !!

والقت سماعة التليفون ..

ثم أتصلت به ديدي في يوم آخر وقالت:

- تحب تعرف مراتك بتضونك مع مين .. واحد اسمه أبو بكر!

ثم القت سماعة التليفون ..

و .. و .. وبدأت مايسة ترى آثار خطتها ترتسم على وجه غريم تها .. كانت زيزى تأتى إلى الشباطئ وعيناها ذابهاتان كأنها قضت الليل كله تبكى .. وتجلس ساهة واجمة كانها تجتر العذاب . وكان زوجها يلحق بها ، فلا يقبل يدها أمام الناس كما كانت عادته ، ولا تمد له خدها ليقبلها كما كانت عادتها .. إنما كان يجلس مديرا ظهره لها وهو يزفر كان في راسه أترن نار ، وهي تتنهد كأنها تحترق بناره ..

كانت مايسة تريد أن يضبط الزوج زوجته مع بكر .. ولكن كيف .. إنها لا تعرف متى يلتقيان ـ زيزى وبكر ـ ولا أين يلتقيان ..

وفكرت .. فكرت كثيرا .. ثم جلست تكتب خطابا إلى بكر :
« حبيبى .. حاولت أن أتصل بك بالتليفون ، فلم أستطع ..
أريد أن أراك .. موضوع مهم جدا جدا جدا .. سأنتظرك غدا ..
الخميس .. الساعة السادسة في شارع أبي قير أمام محطة
بنزين جليمونوبلو .. ولن نذهب إلى أي مكان .. لخمس دقائق

وكتبت الخطاب بالفرنسية .. ووقعته بحرف واحد : « ز » ! ثم أمسكت بورقة أخرى وبدأت تكتب خطابا لزيزى :

« أريد أن أراك غدا ـ الخميس الساعة السادسة أمام محطة بنزين جليم ونوبلو .. خمس دقائق فقط .. الموضوع مهم ويتعلق بحياتنا .. آسف لكتابة هذا الخطاب .. ولكنى لم أجد طريقة أخرى للأتصال بك ، فأنت لا تردين على التليفون هذه الأيام »!

وكتبت هذا الخطاب باللغة العربية ووقعته باسم « بكر »!

وامسكت بورقة ثالثة ، وبدأت تكتب خطابا لزوج زيزى:

أ و إذا أردت أن تقاكد من خيانة زوجيتك .. أذهب إلى محطة بنزين جليمونوبلو الساعة السادسة غدا .. الخميس .. وستراها بعينيك »!

وكتبت الخطاب باللغة للفرنسية ، ووقعته بامضاء «صديقة»!

وانتهت من كتابة الخطابات ووضعت كلا منها فى مظروف كتبت عليه الاسم والعنوان .. ثم نادت السفرجى ، وطلبت منه أن يستدعى سائق سيارتها ليوصل كل خطاب إلى هدفه ..

وقبل أن يأتى السائق دق جرس التليفون ، وسمعت صوتا ناعما يقول :

- مايسة موجودة من فضلك ؟

قالت:

– مین عایزها ؟

قال الصوت الناعم:

-- واحدة صاحبتها ..

وقالت :

- أنا مايسة!

وقال الصوت الناعم:

- ممكن أشوفك ربع ساعة ..

وقالت مايسة في دهشة:

- حضرتك مين ؟

وقال الصوت وقد أصبح أشد نعومة:

- حاتعرفيني لما تشوفيني ..

قالت مايسة وقد بدأ قلبها يدق:

- أقدر أعرف عايزة تشوفيني ليه!

قال الصوت الناعم:

- موضوع يهمك ويهمنى .. موضوعنا احنا الاتنين .. عايزة صراحة أكثر .. الموضوع موضوع بكر !!

وقفز قلب مايسة كأنه يكاد يضرج من شفتيها .. إنها زيزى.. ولم تكن تدرى أن صوتها في التليفون يمكن أن يكون ناعما إلى هذا الحد .. وقالت وصوتها يضطرب :

- اتفضلى يا أفندم .. هنا فى البيت .. وقت ما تحبى !
 وقال الصوت الناعم :
 - حاكون عندك بعد ربع ساعة .. أوريقوار!

وظلت مايسة ممسكة بسماعة التليفون كأنها في حلم .. ثم أعادت السماعة إلى مكانها ، ووقفت متصلبة ..

إنها زيزى .. لقد جاءت إليها أخيرا .. جاءت تتوسل وتبكى وتعترف بهزيمتها .. لقد انتصرت .. انتصرت يا مايسة .. ومن حقك أن تملى شروطك !!

والتفتت فوجدت السائق واقفا ينتظر أوامرها ، وقالت :

- روح يا أسطى .. ما فيش حاجة .. مش حانزل!

ثم أسرعت وأمسكت بالخطابات الثلاثة التى كتبتها وأخذت تمزقها قطعا صغيرة .. إنها لم تعد فى حاجة إلى هذه الخطابات .. ليس الآن على الأقل .. ولكنها ستحتاج إليها مرة ثانية إن لم تخضع زيزى لشروطها ..

واجتاحها نشاط غريب .. نشاط ملىء بالنشوة .. نشوة النصر .. كأن دماءها تزغرد فى عروقها .. ونادت السفرجى ، وقالت له كأنها تعد وليمة كبيرة :

- فيه واحدة صاحبتي جاية داوقت .. أبقى دخلها في

الصالون .. وقدم ليمونادة وقهوة .. خش دلوقت افتح شبابيك الصالون !

ثم أسرعت إلى غرفتها .. لابد أن تغير ثوبها .. ستختار ثوبا أنيقا .. أزهى ثيابها .. ولكن لا .. ستستقبلها وهى مرتدية البنطلون والبلوزة حتى لا تشعرها بأهميتها .. وستتركها تنتظر فى الصالون بضع دقائق قبل أن تدخل إليها .. وستجلس على المقعد الفوتيل الكبير الموضوع فى صدر الصالون .. ستجلس كالملكة .. الملكة المنتصرة .. وستضع ساقا على ساق .. وتحتفظ بابتسامتها طول الوقت ، وستتكلم بصوت هادىء ، خفيض .. يجب أن تبدو منتصرة .. عاقلة .. يجب أن تبدو منتصرة .. عاقلة ..

ووقفت أمام مرآتها وأخذت تسرح شعرها ... ترى هل ستبكى زيزى أمامها .. إنها لا تحب أن ترى دموع النساء .. إنها تضعف أمام الدموع .. ولكنها لن تضعف هذه المرة .. ستكون قوية .. قوية ..

وبدأت تضع المساحيق فوق وجهها .. ودماؤها لا تزال تزغرد في عروقها .. ثم القت نظرة أخيرة على صورتها في المرآة . إنها جميلة .. لم تكن في يوم من الأيام أجمل منها الآن.

وخرجت من غرفتها ودخلت إلى الصالون لتشرف على تنفيذ الأوامر التي أصدرتها للخادم .. ثم ركزت عينيها على المقعد الكبير الذي ستجلس عليه .. عرش الملكة .. ثم همت أن تطل من الشباك حتى لا تلمحها زيزى وهي داخلة فتعتقد أنها متلهفة على لقائها .. وعادت إلى غرفتها ..

ومنضت الدقائق .. دقائق طويلة مملة .. وهي من فرط

لهفتها ، بدأ العرق يتصبب على جبينها ، كأنها تعدو بكل قواها نحو غريمتها .

وسمعت جرس الباب يدق ..

وقامت واقفة وقلبها يدق مع الجرس ..

ثم جاء إليها الخادم يعلنها بقدوم الضيفة ، فقالت ، وهي ساهمة :

- طبب .. أنا جاية !

وعادت تنظر إلى المرآة ، تمسح قطرات العسرق من فوق جبينها .. ولمست شفتيها مرة ثانية بأصبع الروج ، ومرت بالمشط ثلاث مرات بين خيوط شعرها ، ثم اعتقدت أنه قد مر وقت كاف .. فوضعت بين شفتيها ابتسامة .. الابتسامة التى ستقابل بها غريمتها .. ثم نظرت إلى المرآة فلم تعجبها هذه الأبتسامة ، واختارت ابتسامة أخرى .. ثم استدارت كانها تنزع نفسها من خيالها المرسوم فوق المرآة .. وسارت فى خطواتها السريعة الضيقة ، نحو حجرة الصالون .

وما كادت تطل على ضيفتها حتى وقفت متسمرة .. عيناها مفتوحتان ، وشفتاها مفتوحتان .. كأنها بلهاء مذعورة ..

إنها ليست هي ..

لیست زیزی ..

إنها امرأة سمينة .. وجهها كالرغيف البلدى .. محمل بالأصباغ الفاقعة .. ترتدى ثوبا من الدانتل المضرقة فوق قميض من التفتاه اللامعة الزرقاء.. وفي معصميها أساور ذهبية كثيرة .. وعلى صدرها عقد كبير من الزجاج الملون .. نفس ألوان إشارة المرور: أخضر، وأصفر، وأحمر .. إنها امرأة بلدى!

وتقدمت منها مايسة وهي تسير مذهولة ، كأنها تسير في نومها .. وقالت :

- حضرتك ..

وقاطعتها المرأة وهي تقف لتصافحها ، وحاجبها الأيسر المرسوم كله بالقلم الأسود يتلاعب فوق جبينها :

- أيوه يا ستى .. أنا اللى بيحبها بكر !!

وقالت مايسة وهي لا تزال مذهولة:

-- مش معقول !

وقالت المرأة وهي تضحك ضحكة فاقعة:

- وحياتك زى ما بأقولك كده .. إنما ده أنت حلوة قوى .. وصفيرة يا حبة عينى .. أنا سمعت عنك إنك جميلة ، إنما ما كنتش فاكرة إنك جميلة للدرجة دى .. لكن أنا عارفة بكر .. ما يقعش إلا واقف ..

ولم تسمع مایسة کل کلامها .. کانت تستعید فی ذهنها کل ما مر بها .. هل یمکن آن تکون هذه المرأة هی غریمتها .. ولیست زیزی ..

وفتحت عينيها كأنها رأت شيئا جديدا في رأسها .. لماذا أتهمت زيزى بأنها غريمتها .. إن أحدا لم يخبرها بأن غريمتها هي زيزى .. وأبو بكر لم ينطق أبدا باسم زيزى .. هل تكون قد اخطأت في اعتبار زيزى غريمتها .. هل تكون قد اعتبارتها غريمتها لجرد إنها رأتها جميلة راقية ، يرضى غرورها أن تكون هذه هي غريمتها ..

والتفتت إلى المرأة قائلة:

- حضرتك تعرفي طنط فريدة هانم ..

وقالت المرأة وحاجبها لا يزال يلعب فوق جبينها:

- فريدة هانم الصفتى .. أمال .. دى تبقى قريبتنا من بعيد .. إنما أنا مقصرة فى حقها خالص .. السنة دى ما قعدتش معاها على البلاج إلا تلات أربع مرات .. مع أن قعدتها ترد الروح وتنعش القلب ..

ثم رفعت المرأة كفها وخبطت بها على ذراع مايسة ، وقالت وضحكتها تملأ السماء والأرض :

- ما هي فريدة عارفة حكايتي مع بكر .. إنما لو جيتي للحق ، الست دى ما يتبلش في بقها فولة .. ما خلتش حد ما حكتش له الحكاية ..

وقالت مايسة وهي تنظر إليها في قرف:

- وحضرتك اسمك زيزى برضه ؟

وقالت المرأة وهي تضحك:

- اشمعنی یعنی زیزی .. لا ، اسمی نفرست .. و بکر دایما یسمینی بوسی !

يسميعي برستي . ونظرت مايسة إلى نهدى ضيفتها وهما ينسكبان فوق صدرها .. وإلى ذراعها السمين وقطع من اللحم تتدلى منه

كأنها ستسقط عنه .. ثم قالت :

وحضرتك متجوزة!

ونظرت إليها نفوسة كانها تلومها ، ثم قالت :

- وده وقت سؤال زي ده .. أيوه يا ستى ، متجرزة !

وعادت مايسة تسأل:

-- وبكر بيحبك قوى يا نفوسة هانم ؟

وقالت نقوسة وهي تتنهد :

- أربع سنين مش شهوية يا حبيبتى .. والصقيقة انتى صعبانة على .. بنات كتير وستات كتير عرفهم بكر ، إنما

ما فيش واحدة قدرت تاخده منى أبدا .. وأنا ساعات بأسيبه يلعب ، إنما اللعب له حدود .. وأنا جيت أقول لك الكلمتين .. جيت أقول لك أن بكر مش فاضى ومش ممكن حايكون

فاضى .. وبدل ما تتعبينى وتتعبى نفسك .. بلاش أحسن !
وأحست مايسة بموجة عنيفة من القرف تكاد تقلب
معدتها .. ولم يكن قرفها من نفوسه .. إنها تحس بالقرف من
بكر .. من بكر نفسه .. تحس بالقرف من آثار شفتيه فوق
شفتيها ، ومن آثار لمساته فوق جسدها ، ومن لفحات أنفاسه
فوق وجهها ..

والتفتت إلى نفوسة وقالت في حدة :

- انتى غُلطانة يا هانم .. ما فيش بينى وبين بكر حاجة .. صحيح شفته مرة ولا مرتين ، إنما مافيش بينى وبينه حاجة ! وكانت تتكلم وهى تحس أن ليس بينها وبين بكر شيء فعلا .. إنها لا تحبه .. ولم تكن تحبه .. ولم تكن تحبه في يوم من الأيام .. أن بكر كما تراه الآن إنسان لا تعرفه .. يخيل إليها كأنه واحد من الأفندية الذين كانت تشاهدهم عندما تذهب إلى خان الخليلي لتشتري بعض التحف .. افندي بلدى ، جالس على مقهى بلدى ، يتغزل في البنات البلدى .

إنها لا تعرف هذا الشخص .. الشخص الذي يحب نفوسة .. إنه أقل من أن تعرفه .. أما الشخص الآخر الذي عرفته فقد انتهى من حياتها ، ومن قلبها ، ومن خيالها .. كان وهما وانتهى .. مجرد وهم !

وسمعت نفوسه تقول لها:

- أنا مصدقاك يا أختى .. برضه أحسن كده .. أحسن

ما يكونشى بينك وبينه صاجة .. عن اذنك باه .. وخلينا بعد كده أصحاب!

وقامت نفوسة ، ومدت لها مايسة يدا باردة .. ثم أخذت تودعها بعينيها ، وهي تحمل جسدها الثقيل وتنصرف به .. وخلت إلى نفسها ..

إنها لا تفكر في بكر .. عجيبة .. أنها لا تحس به .. لقد انتهى .. افاقت من الوهم ..

ولكنها تفكر فى زيزى .. إنها تفكر فيها فى غيظ وحنق .. كأن زيزى قد ترفعت عنها ورفضت أن تكون غريمتها .. ورفضت أن تقف معها فى قلب رجل واحد ..

إنها تحس أن غرورها ينسحب منها .. إنها مجروحة الكبرياء .. مجروحة الغرور .. إنها مغتاظة .. مغتاظة ..

وفى المساء دق جرس التليفون وسمعت صوت بكر ، وقالت كأنها تقطع عليه الطريق :

- الجماعة زارونى النهارده!
 - قال:
- عارف .. عرفت كل حاجة .
 - قالت :
 - ودى بأه اللى بتعرفها !
- قال في صوت حزين كانه يعتذر:
 - أيوه ..
 - قالت وهي تضحك:
 - م*ش* قادر تسيبها !
 - قال كأنه يحنى رأسه خجلا:
 - أيوه .. مش قادر !

قالت وضحكتها تزداد انطلاقا:

- طيب اسيبك أنا بأه ..

وصرخ:

--- مايسة ..

قالت: أوريفوار ..

وعاد يصرخ:

- مايسة .. مايسة .. لازم أشوفك .. حا أحكى لك على كل حاجة ..

وقالت في هدوء:

- أورفوار .. باي باي .. أريفادتشي .. مع السلامة !!

والقت سماعة التليفون ..

ولم يكن يهمها أن تعرف حكاية بكر ونفوسة .. كان كل ما يهمها ألا تعرف رجلا يعرف امرأة كنفوسة ..

إن المرأة أحيانا تحب الرجل لأن امرأة أخرى تحبه .. وهي

لا تستطيع أن تحب أي رجل يمكن أن تحبه نفوسه ..

وانتهى بكر .. انتهى الوهم الكبير!

ولكنها لا تزال مغتاظة من زيزى .. ليست مغتاظة ، ولكنها

كلما تذكرتها أحست بشيء يتمزق في صدرها !!

البنان والعيف ____



شاطىء سيدى بشر نمرة ٣ .. وكسانت « مرفت » جالسة منزوية فى الركن البعيد من الأريكة المتدة فى شرفة الكابين .. ورأسها بين يديها ، وشعرها مهدل فوق جبينها .. وكانت تبكى .. تبكى فى حرقة ، كانها تعصر سنوات عمرها الثمانى عشرة دمعا ..

وكانت أمها جالسة قبالتها على مقعد كبير من مقاعد الشاطنيء تطرز رقعة من « الأوبيسون » .. وهي صامتة ليس في وجهها عصب يتحرك .. كأن ابنتها لا تبكي !

ورفعت رأسها .. وعيناها محتقنتان ، في لون الدم .. ومسحت الدموع من فوق خديها بمنديلها الصغير .. وقالت وصوتها يقطعه النشيج :

- دى ما بقتش عيشة .. أنا حاموت نفسى .. خلاص .. عايزة أموت .. عايزة أموت ..

ثم أمسكت بإحدى وسائد الأريكة ، ورفعتها بعصبية كأنها تهم أن تقدف بها فى البحسر .. ثم وضعت الوسادة فوق ركبتيها ، وارتكزت عليها بكوعيها .. وعادت تدفن رأسها بين كفيها .. وثبكي ..

ورفعت أمها عينيها من فوق رقعة الأوبيسون ، ونظرت إلى

ابنتها صامتة ثم عادت وارخت عينيها وبدأت تطرز من جديد .. ولكن ..

هذه ليست بداية القصة ..

...

وقفت السيبارة الكاديلاك رقم ٢٠١٥ أمنام باب « منعهند الطفولة » التابع لجمعية « انقاذ الفقراء ــ فرع الاسكندرية » ..

ولم تتحرك شريفة هانم داخل السيارة .. فقط أدارث رأسها وأطلت على مستقبليها المصطفين أمام الباب ، وبين شفتيها التسامة حازمة ..

ونزل السائق ودار دورة سريعة حول السيارة ثم فتح الباب .. وتحركت شريفة هانم ، وتقدم طبيب المعهد والتقط يدها ليساعدها على النزول .. ونظرت إليه بعينين مبتسمتين ثم وضعت يدها في يده ، وقفزت في رشاقة إلى الرصيف .

وانحنت أمامها مديرة المعهد ، فمدت لها يدها قائلة :

- إزاى الحال عندكم ..

وازدادت مديرة المعهد انحناء حتى كادت تقبل يدها ، وقالت في صوت خفيض :

- كل حاجة كويسة بفضل إرشاداتكم يا افندم!

ولم تسمع شريفة هانم ما قالته المديرة ، ومدت يدها لبقية المستقبلين .. مشرفات المعهد ، وإسحاق أفندى رئيس حسابات المعهد ، وكاتب المعهد ، ومتعهد توريد الطعام للمعهد .. وفراش المعهد .. ومصور صحفى ..

ثم سارت فى خطى سريعة قوية إلى داخل الدار .. والعيون تتبعها وتطن وراءها ، كان كل عين نحلة ..

إنها في الثانية والأربعين من عمرها ، ولكنها تستطيع أن

تقول فى بساطة أنها فى الخامسة والثلاثين .. رشيقة ، لا يحد من رشاقتها إلا « الكورسيه » السميك الذى تلم به جسدها من تحت ثوبها .. وكانت ترتدى الثوب الرسمى لجمعية انقاذ الفقراء .. تايير من التيل الرمادى ، ، « بيريه » صغير رمادى اللون ، حول أطرافه « ليزريه » أحمر اللون ، وتميل به على جانب رأسها فتبدو كأنها مضيفة إحدى شركات الطيران .. وعلى صدرها شارة الجمعية ، صنعتها من ذهب فى دائرة من فصوص الماس ..

ووقفت شريفة هانم أمام صفين من الأطفال اصطفوا لاستقبالها في ساحة الدار .. وأخذت تنقل عينيها النشطتين في وجوههم ، وابتسامتها الحازمة لا تفتر من بين شفتيها ، ثم قالت في صوت تملق الفرحة :

– صباح الخير يا أطفال !

وصاح الأطفال في أصوات غير منظمة كأن كل منهم صدى يتبع صوت الآخر:

- صباح الخير يا أبله الرئيسة!

ورفعت مديرة المعهد يدها ثم خفضتها ، فانطلق الأطفال ينشدون : « مصر .. مصر .. امنا » ..

وطفلة صغيرة تدعك عينها بأصابعها ، وطفل يمسح أنفه بكم ثوبه ، وطفل آخر يمسح شفتيه بلسانه .. ومديرة المعهد تحرك يديها في الهواء كرئيس الفرقة الموسيقية ..

وظلت شريفة هانم واقفة حستى انتهى الأطفال من النشيد، ثم صفقت بيديها صفقتين خافتتين، وقالت:

– براقو .. براقو ..

ثم استدارت وسارت إلى داخل مبنى المعهد ، تتقدمها

المديرة ورئيس الحسابات ، ويسير بجانبها الطبيب ..

وأخذت تطوف بحجرات المعهد، ومالاعبه، ثم اقتربت منها المديرة قائلة:

- تسمحي يا أفندم صورة!

والتفتت شريفه هانم إلى المصور الصحفى ، وبسرعة حملت أقرب الأطفال إليها وضمته بين ذراعيها ، وابتسمت في وجهه ابتسامة كبيرة .. والتقطت الصورة ..

وعادت شريفة هانم تطوف بأنحاء المعهد .. ثم دخلت إلى المطبخ ، وأطلت في الأواني الكبيرة التي تغلى فوق النار .. وقالت لها المديرة :

- تسمحي تدوقي الشوربة يا أفندم ..
- وقالت لها شريفة هانم في امتعاض:
- باین علیها کویسة .. وریحتها حلوة .. بس آنا عاملة رجیم!

وهمست مديرة المعهد:

- علشان الصورة ..

ونظرت إليها شريفة كأنها فهمت ما تقصده ، ثم رفعت مغرفة الشورية إلى شفتيها .. والتقطت صورة ..

وقبل أن تلمس شفتا شريفة حافة المغرفة ، أعادتها داخل الإناء الكبير ..

وانتهت شريفة هانم من الطواف بانصاء الدار ، ثم دخلت غرفة الديرة ، وبدأ رئيس الحسابات يعرض عليها دفاتره ، وارقامه ، ثم قال بعد أن انتهى ، وهمو يزداد انحناء حتى يكاد يقع على وجهه ، ويداه فوق بطنه كانه يخاف أن تنسكب منها أمعاؤه :

- احنا لنا رجاء بسيط يا ست هانم .. رجاء خاص بالست نظيرة وكيلة المعهد .. دى ست غلبانة صاحبة عيال ..

ورفعت إليه شريفة هانم عينين غاضبتين ، ثم خبطت على حافة المكتب بكفها الأنيق ، وقالت في حدة :

- أنا قلت مش عايزة أسمع سيرة الست دى تانى .. خلاص.. إذا كانت حرامية يبقى لازم تأخد جزاءها .. وزارة الشئون بتحاسبنا على المليم ، ولما حاجة بتضيع ما بيقولوش إن الموظفات هم اللى سرقوا ، بيقولوا إن أحنا اللى سرقنا ..

وقال إسحق أفندى وهو يكاد يبكى:

- دى يمكن تخش السجن يا أفندم ، وينخرب بيتها وبيت عيالها .. وانتى قلبك كله رحمة !

وقالت شريفة:

- أنا ما أرحمش الحرامية .. كانت حضرتها فاكرة أن وجدان هانم حاتنقذها .. إنما مجلس الإدارة كله وقف معايا وقررنا إبلاغ النيابة .. خلى وجدان هانم تنفعها بأه ..

وعاد إسحاق أفندى يقول:

– بس يا أفندم دى ..

وقاطعته شريفة في حزم باتر:

- خلاص .. انتهينا من الموضوع ده ..

وقامت شريفة هانم واقفة معلنة انتهاء الزيارة ، وسارت نحو الباب وهي تلقى بأوامرها وإرشاداتها إلى مديرة المعهد وموظفيها ، ثم ركبت سيارتها .. وابتسمت للطبيب ابتسامة كبيرة ..

...

وعادت شريفة هانم إلى بيستها .. فيسلا صغيرة تحيطها

حديقة كبيرة ، فى شارع ستانلى باى .. وهدوء .. هدوء راكد.. كأن الحياة تقف عند الباب ولا تجرؤ على الدخول ..

ودخلت إلى البهو ، وسارت متجه إلى السلالم الداخلية لتصعد إلى غرفتها .. وقالت وهي في طريقها دون أن تلتفت إلى أحد :

- خدت الدوا با باشا ..

وتحرك رأس أشيب من فوق مقعد في صدر البهو ، ونظر إليها بعينين حانقتين ، ولم يجب .

وظلت العينان الحانقتان تتبعانها.. عينان فيهما غيظ عاجز ، وفيهما كراهية خرساء وفيهما غيرة وحسد .. وقبل أن تصل شريفة إلى أعلى السلم ، صاحت العينان :

- شريفة ..

وأطلت شريفة على زوجها في تعجب ، وقالت :

-- نعم .. في إيه ..

وظل زوجها ينظر إليها برهة بعينيه الحانقتين ، ثم أخفى عينيه وذكس رأسه وقال :

- ولا حاجة .. سيد سأل عليكي في التليفون من نادي السيارات ..

وقالت في برود:

- مرسى .. ما تنساش تاخذ الدوا ..

وتنهد الزوج فى حرقة .. وسكت .. لقد فقدها من زمن طويل .. منذ ست سنوات لم يعد يجمعهما شىء .. ولكنه قبل الثورة كان يجد ما يعوضه عنها .. كان يجد نفوذه وشركاته .. ولكنه فقد هذا أيضا بعد الثورة .. لم يعد يملك شيئا إلا لقبا لم تعد الدولة تعترف به ، ويمنحه له أصدقاؤه وخدمه ،

ويبتسمون هم ساخرين كلما نادوه به .. لم يعد له إلا أن يقرا الصحف كل صباح ومساء ، ويجلس فى اتنيوس ، ويشم الهواء على الكورنيش ، ويلعب الطاولة ، ويتناول الدواء ، ويشخط فى الخدم ..

أما هي فلم تفقد شيئا بعد الثورة .. لقد ظلت محتفظة بنشاطها .. نشاطها في الجمعيات الخيرية ، ونشاطها في الحفلات والنوادي ، ونشاط حيويتها ..

لماذا لم تعدل الثورة بينه وبين زوجته ، فتصادر نشاطها كما صادرت نشاطه .. حتى تبقى معه ، وتقيدها بنفس القيد .. ولكن ، إن الثورة لا تستطيع أن تعدل بين عمره وعمرها .. لا تستطيع أن تنقله من السبعين إلى الثانية والأربعين ، ولا أن تنقلها من الثانية والأربعين إلى السبعين !

ووصلت شريفة إلى باب غرفتها ، ورفع الزوج راسه وصاح مرة أخرى كأنه يستمهل الشمس قبل أن تغيب عنه :

– شريفة ..

ووقفت شريفة قبل أن تفتح بابها ، وقالت دون أن تطل على زوجها :

-- نعم ..

قال في صوت مبحوح:

- انتى ساهرانه بره الليلة ؟

قالت في هدوء:

-- لسه مش عارفه!

ثم فتحت الباب ودخلت إلى غرفتها ، وأدارت المفتاح فى القفل ، ثم الدقت نفسها فوق فراشها دون أن تخلع ثيابها .. وتنهدت .. تنهدت فى افتعال .. كانت تريد أن تحس بالتعب ..

تريد أن تقنع نفسها بأنها تعبة .. بأنها أدت مهمة شاقة بزيارتها للجمعية .. ولكنها لم تكن تعبة .. لا شيء فيها يحس بالتعب .. إن في عروقها كمية ضخمة من النشاط تكفي لزيارة جميع الجمعيات الخيرية في مصر دون أن تحس بالتعب ..

واعتدات جالسة فوق الفراش .. ثم خلعت فردة حذائها وظلت ممسكة بها في يدها .. وسرح ذهنها .. سرح في لا شيء .. كأنها تبحث في نفسها فلا تجد إلا فراغا .. ثم لحت أحد ادراج الدولاب مفتوحا ، فرفعت فردة الحذاء وصوبتها ناحية الدرج المفتوح ، وأطلقتها .. ولكن فردة الحذاء لم تستقر في الدرج .. وقعت على الأرض .. فقامت تسير بفردة حذاء واحدة ، والتقطت الفردة الأخرى ، وعادت إلى الفراش وجلست عليه ، ثم رفعت يدها بفردة الحذاء وصوبتها مرة ثانية ناحية الدرج المفتوح .. وأطلقتها ..

واستقرت فردة الحذاء في الدرج .. فابتسمت كأنها طفلة .. ثم خلعت فردة الحذاء الثانية ، وصوبتها ناحية الدرج .. واطلقتها .. فاستقرت فيه أيضا .. واتسعت ابتسامتها !!

وقامت وجلست أمام مراتها .. وقربت وجهها من المراة حتى كادت تلصقه بها .. وشدت بأصبعها جفن عينيها إلى اسفل .. لترى اللون الأحمر داخل الجفن .. لون الشباب .. فتطمئن إلى شبابها .. وأخرجت لسانها لترى فيه أيضا اللون الأحمر .. لون الصحة .. فتزداد اطمئنانا إلى شبابها .. ثم ابعدت وجهها عن المرآة ونظرت إلى وجهها من بعيد .. إنه وجه جميل .. ليس جميلا جدا ، ولكنه جذاب جدا .. عيناها واسعتان ، وأنفها أكبر من اللازم قليلا ، وشفتاها ممطوطتان واسعتان ، وأنفها أكبر من اللازم قليلا ، وسنتاها الأماميتان

بإرزتان بروزا خفيفا .. ووجنتاها مشدودتان مسحوبتان ، نحيلتان نحولا طبيعيا ، كأنهما وجنتا شابة أرقها الحب ..

وعادت تقرب وجهها من المرآة .. إن هناك تجاعيد عند طرفى عينيها ، وفى أعلى رقبتها .. أف لهذه التجاعيد .. ما هذه الفضائح .. وأمسكت بعلبة الكريم ، وأخذت تضع منه فوق التجاعيد .. ثم أمسكت بعلبة البودرة ونثرت منها فوق الكريم.. ثم تذكرت إنها ليست خارجة ، فالقت علبة البودرة ، وتركتها مفتوحة ، وبدأت تخلع ثيابها ..

خلعت التايير .. ثم جاست وخلعت جوربها .. ثم قامت وأمسكت بطرف « الكورسيه » وأخذت تشده إلى أسفل وهي تضغط على شفتيها بإسنانها .. ثم تنهدت في راحة عندما سقط الكورسيه على الأرض .. ووقفت أمام المرآة وهي بالقميص .. إنها ليست طويلة القوام .. إنها أقرب إلى القصر .. واللاتي يملن إلى القصر يحتفظن أطول مدة بشبابهن .. كأن الشباب يعجز عن أن يندفع في عروق الطويلات ، ولكنه يستقر في عروق القصيرات .. إن كل صاحباتها يحسدنها على قوامها.. وأخنت تستدير أمام المرآة وهي تنظر إلى كل قطعة من جسسدها .. لا ترهل في أي مكان .. لا شيء ساقط أو مدلى .. إنه جسد مشدود .. إنها تستطيع أن تستغنى عن مدلى .. إنه جسد مشدود .. إنها تستطيع أن تستغنى عن الرشاقة ، ولولا أنها تفضل الثياب الضيقة .. الضيقة جدا ..

ووضعت كفيها تحت نهديها ورفعتهما إلى أعلى صدرها .. وعادت تتعاجب أمام المرآة .. إنها تبدو هكذا كفتاة في السادسة عشرة وعمر الثانية والأربعين .. وما أقربها .. إن كل يوم من عمرها يبدو كأنه

الأمس .. ولكن الأمس يبدو بعيدا .. إن الأمس ذكرى ، والذكريات تلحق بعضها ببعض .. الذكرى التى مضى عليها عشر سنوات كالذكرى التى مضى عليها عشر ساعات .. كلها ذكريات .. أشياء مضت ولن تعود .. وهى لا تريد أن تعيش في الذكريات .. أنها لم تصل بعد إلى العمر الذى تكتفى فيه بالذكريات .. إن عمرها لا يزال بتسم لأشياء جديدة .. لحوادث جديدة .. لعواطف جديدة ..

وتنبهت إلى نفسها وهى لا تزال واقفة أمام المرآة .. واسقطت نهديها فوق صدرها .. وأمسكت بالمشط ، واستدارت للمرآة ، وأخذت تمشط شعرها بعصبية كأنها تسحب أفكارها من رأسها ..

ماذا حرى لها ..

لا تدرى .. ولعله الصيف .. ومنذ كانت طفلة وهى تقضى كل صيف فى الأسكندرية .. وكانت تفرح بالصيف لأنها تتحرر من واجباتها المدرسية ، ولأن مربيتها تتركها تلعب فى الرمل دون أن تنبهها إلى الحرص على نظافة ثوبها .. ثم كبرت وأصبح الصيف معرضا تعرض فيه جمالها .. تعرضه على شاطىء جليم ، عندما كان « جليم » شاطىء الأرستقراطية .. وفى حمام السيدات ، وفى كازينو سان استيفانو كان الصيف شهر الغزل ، والحب ، والحرية ، والجمال .. وقد تعودت أعصابها على أن تنتظر كل صيف ، كأنها فى انتظار الغزل والحب ، والجمال ..

وعادت تمشط شعرها في عصبية كأنها تسحب افكارها من رأسها .. ثم قامت وقد اكتسى وجهها بملامح الحزم ، وأرتدت الروب دى شامبر ، ثم ضغطت على الجرس تستدعى الخادم ، وأخذت تروح وتغدو في الغرفة بلا هدف ، إلى أن سمعت صوت نقرات الخادم على الباب ، فصاحت .. وقد خيل إليها أن صيحتها ارتفعت أكثر من اللازم:

- خليهم يحضروا الغدا!!

ونزلت بعد قليل إلى حجرة الطعام ، ومرت بزوجها وهو جالس على طرف المائدة ، فقالت بصوت آلى دون أن تنظر إليه:

– خدت الدوا يا باشا ..

ولم يجب زوجها .. أكتفى بأن رفع إليها عينيه الحانقتين .. ودارت حول المائدة حتى جلست على الطرف المقابل .. وقدم لها الخادم طبق الشوربة ، وما كادت ترفع الملعقة إلى شفتيها ، حتى أعادتها ، وهي تصرخ في الخادم :

- دى شوربة دى .. دى الشوربة اللى بيعملوها لأطفال الجمعية أحسن من كده ميت مرة .. الطباخ ده ما بقاش ينفع .. قول له مخصوم من ماهيته خمسة أيام .. مش كفاية إنه حرامى ..

ولم يتكلم الخادم ..

ولم يتكلم الزوج ..

ساد الصمت إلى أن أنتهى الطعام ، وقامت شريفة من على المائدة قبل أن يقوم زوجها ، ومرت به قائلة :

إذا كنت حاتضرج بعد الظهر ، ما تتأخرش عن الساعة سابعة ، زى ما قال الدكتور ..

ولم يرد الزوج ..

وصعدت إلى غرفتها ، وأغلقت الباب وراءها بالمفتاح ..

وحاولت أن تنام ..

ولم تنم ..

...

وكانت مدعوة في المساء لحضور حفلة شاى في حديقة النزهة تقيمها جمعية « الخبر للجميع » بمناسبة وضع الحجر الأساسي لبناها الجديد ..

وذهبت في الساعة السابعة مساء ، ترتدي ثوبا من الشيفون الشفاف الأسود فوق قميص من الستان الأسود .. وثوب الشيفون يتعدى القميص ويرتفع حتى يصل إلى رقبتها فيبدو صدرها من تحته كأنه يتوارى في حياء خلف غلالة من سحاب .. وكانت ترشق في الثوب دبوسا من الماس ، وفي يدها ساعة رقيقة من الماس ، وفوق كتفيها شال من الحرير الأخضر ..

ودخلت الحفل تخطو خطواتها القوية النشطة ، وتفسح طريقها بعينيها النشطتين .. إنها دائما نشطة ، وانشط ما فيها دائما ، عيناها .. وكان وصولها إلى الحفل إعلانا لبدئه .. إنها ملكة الجمعيات الخيرية .. وعندما تصل الملكة يبدأ كل شيء .. وسارت إلى مكانها على المائدة الرئيسية ، يحيط بها سيدات جمعية « الخبز للجميع » ، وتشق في طريقها بحرا من الهمسات والنظرات .. وجلست وبين شفتيها ابتسامتها الصغيرة الحازمة ، وأدارت رأسها تحيى كل من يحيط بها .. تحية فيها رشاقة وفيها كبرياء .. ثم نظرت أمامها فوجدت في المقعد المقابل السيد عبدالجليل الرياني .. إنه تاجر كبير .. إنه كبير التجار .. ومن أكثر المتبرعين للجمعيات الخيرية كرما .. وهزت رأسها تحييه ، فإذا بعينيها تتعلقان بشاربه .. كانها تراه لأول مرة .. شارب مرفوع مدبب تلمع فوقه طبقة من صبغة الشعر السوداء ، وطبقة أخرى من « الكوزماتيك » ..

وقام السبيد عبدالجليل نصف قومة يرد تحتها .. ولكن

عينيها لا تزالان عالقتين بشاربه .. ووجدت صعوبة كبيرة كى تنزع عينيها من فوق هذا الشارب ..

وقامت رئيسة جمعية « الخبز الجميع » تلقى خطابها .. وحاولت شريفة هائم أن تستمع لها .. ولكن شارب السيد عبدالجليل عاد يرتسم فى خيالها .. وابتسمت فى صدرها لمرأى هذا الشارب .. إنه شارب خفيف الدم .. وتصورته وقد تدلى طرفاه إلى أسفل .. واتسعت ابتسامتها فى صدرها ، حتى كادت تضحك ..

وكفت عن محاولة الاستماع لخطاب رئيسة الجمعية ، وانساقت وراء الشارب المرتسم فى خيالها .. وبدأت تتصور السيد عبد الجليل وقد حلق نصف شاربه وابقى النصف الأخر.. وتصورته وقد وضع شاربه فوق جبينه .. وامتالا صدرها بالضحك .. إنه أليق بالسيد عبدالجليل أن يضع شاربه فوق جبينه ويشتهر بأنه « عبدالجليل ذو القرنين » .. ثم تصورت السيد عبدالجليل وقد عقد طرفى شاربه وجعل منه « فيونكة » يحتفظ بها فوق شفتيه .. وأحست كأن كل خلجة فى داخلها ترتعش من الضحك .. و .. و .. و .. و .. و خيالها لا يبدو على وجهها ، إنها جالسة ووجهها يكسوه الوقار ، وبين شفتيه الابتسامة الصغيرة ، لا تفتر ولا تتعب منها ، واذناها متجهتان إلى رئيسة الجمعية فى انصات ..

وتنبهت من خيالها على صوت تصفيق يعلن انتهاء رئيسة الجمعية من خطابها .. فاسرعت وحركت كفيها تصفق في رشاقة .. ثم قامت وصافحت رئيسة الجمعية قائلة :

- دى حاجة عظيمة قوى يا شفيعة هانم .. يا ريت كل.

الجمعيات بالنشاط ده .. بس على الله وزارة الشئون تقدّر تعينا ..

وقالت شفيعة هانم ووجهها يلمع كأنها سلطت عليه أضواء من فرحتها بنجاح حفلتها:

- هوه فی نشاط بعد نشاطك یا شریفة هانم .. ده انت رئیستنا كلنا!

وقالت شريفة:

- مرسى يا حبيبتى .. أنا مضطرة أمشى دلوقت ، أحسن الباشا تعبان شوية !

وقالت شفيعة هانم :

- يا خسارة .. ده أحنا كنا عايزين نقعد قعدة صغيرة كده على راحتنا ..

وضحكت شفيعة واستطردت وهي تغمز بكلماتها:

- ده أنا محضرة لك كل اللي بتحبيه ..

وقالت شريفة :

- معلهش .. نوبة تانية .. مبروك على الجمعية .. الف مبروك ..

وخرجت شريفة هانم تشق بحر الهمسات والنظرات ، وبجانبها سيدات جمعية « الخبز للجميع » يودعنها حتى الباب. وركبت سيارتها ، وانتظرت قليلا حتى ابتعدت عن مكان الحفل ، ثم قالت للسائق :

- اطلع على نادى السيارات يا أسطى ..

ووصلت إلى نادى السيارات ، في سيدى بشر ..

وقالت للسائق :

- انت روح انت يا أسطى!

وصعدت السلم المنصوت فى الصخور المقام فوقها بناء النادى .. ثم دخلت إلى النادى وأطلت على حوض السباحة المقام فى فنائه .. ثم تلفتت حواليها .. إنها لا ترى حولها إلا رؤوسا بيضاء .. إنه ليس ناديا .. إنه مستعمرة للعواجيز .. وسارت متمهلة إلى « البار » .. وقطع عليها الطريق سيد « بيه » عبدالله صائحا :

- شريفة .. ده أنا بادور عليكي من الصبح .

وانحنى سيد يقبل يدها ، ثم رفع يدها من فوق شفتيه ووضعها فوق قلبه ، وضغط بها عليه كأنه يبثها لوعته .. وقالت شريفة في برود :

-- بتدور على ليه .. خير إن شاء الله ؟

قال وهو ينظر إليها وبين شفتيه ابتسامة واسعة :

- أصل الشلة كلها سهرانة الليلة في الرومانس .. والسهرة ما تكملش إلا بيكي ..

وقالت شريفة في تأفف:

- الشلة هي هي برضه ؟

وقال سيد:

- هي هي .. بكامل هيئتها ..

وقالت شريفة:

- يا أخى غيروا شوية ، ده أنتم بقيتم زى حجارة الطاولة ، تنتقل من هنا لهنا إنما عمرها ما بتتغير ..

وقال سيد وهو يحاول أن يبدو رقيقا:

- انتى عارفة يا شريفة .. أنا عمرى ما أحب التغيير .. دايما

مخلص .. مخلص .. مخلص ..

وقالت شريفة في برود:

-- شاطر ..

وقال سيد :

- تحبى نقعد نتعشى فين !

واستدارت شريفة دون أن تجيب عليه ، وسارت بضع خطوات ، وجلست إلى مائدة بجوار نافذة تطل على البحر .. وجلس أمامها سيد ، قائلا :

- تحبي تشربي إيه ؟

قالت:

- ويسكى .. ويسكى قـوام أحـسن أنا مـيتـة من التـعب ..
 النهاردة بالف من الصبح على رجليه !

وقام سيد بنفسه ، وأحضر زجاجة ويسكى من البار وكأسين ، وجاء وراءه الجرسون يحمل زجاجات الصودا وجردلا فضيا يحتوى على قطع الثلج ..

وقالت شريفة :

ما تحطش صودا .. تلج بس!

وقال سيد:

– عارف ..

وشربت شريفة .. شربت ثلاثة كؤوس في أقل من ربع ساعة .. وأحست كأن نشئاطها قد ثار في عروقها حتى كاد ينفجر بها .. إنها لم تعد تطيق أن تجلس صامتة .. تريد أن تنطلق .. أن تصرخ .. أن تتشاجر .. أن تضرب أحدا .. وأخذت تنفلت إلى أعضاء النادى وتلقى إلى كل منهم بكلمة صارخة .. أو بنكتة .. ثم تضحك .. تضحك بكل صوتها .. ثم لم يعد يكفيها أعضاء النادى .. إنها تريد دنيا أوسع من هذه الدنيا .. دنيا تحتمل نشاطها المتفجر في عروقها .. دنيا تطلق فيها حيويتها .. دنيا تطلق فيها حيويتها .. ونارها .

ونظرت إلى سيد .. إنه يلاحقها منذ أكثر من عشرين عاما.. كانت في الثامنة عشرة عندما بدأ يغازلها .. ومرت الأيام وهو لا يزال يغازلها .. ولا يزال يريدها .. ولكن ما أبعد الفرق بين غزله بالأمس وغزله اليوم .. لقد كان بالأمس بجرى وراءها بسيارته ، ويقفز سور حديقتها ، ويضرب كل من ينظر إليها .. كان يشيع في حياتها الحركة .. كان يشعرها بكل دقيقة من عمراها .. والآن .. إنه يدعوها إلى الغداء والعشاء .. إن كل ما يستطيعه هو أن يأكل معها ويشرب معها ، وينظر إليها كالأبله في انتظار أوامرها .. إنه ماض .. يعيش مع رقصات الفالس وأغنية « في الليل لما خلى » .. إنه شعر أبيض ، وجسد مترهل ، ووجنتان محتقنتان من أثر الويسكي .. وهي .. إنها لا تريد أن تكون ماضيا .. إنها لا تزال حاضرا .. إنها تعيش في الحركة .. تعيش مع الساميا والسوينج وعبدالحليم حافظ.. إنها جسد مشدود يضج بالنشاط الحار .. إنها لم تقف حيث وقف سبيد .. إنها فاتته من زمن طويل .. فاتته ، كما فاتت زوجها ، وفاتت كل أعضاء نادى السيارات .. إن مكانها ليس هذا .. ليس في مستعمرة العواجيز ..

وكانت الساعة الحادية عشرة ، عندما قفزت شريفة واقفة ، وقالت في لهجة آمرة :

- أنت مش بتقول حائروح الرومانس .. ياللا بينا ..

 $\bullet \bullet \bullet$

ودخلت الرومانس وابخرة الويسكى تتـزاحم فى رأسها ، ودماؤها تصخب فى عروقها كـموج البحـر .. ولكن لا شىء ييـدو على وجـهـها .. إن وجـهـها لا يزال يكسـوه الوقار وابتسامتها الصـغيرة الحـازمة بين شفتـيها .. إنها تستطيع

دائما ، وفي كل حالاتها ، أن تختار التعابير التي تضعها على وجهها ..

وجذبت سيد من يده بمجرد دخولها ، وهمست :

-- تعال معايا ..

ثم اتجهت إلى غرفة الزينة المخصيصة للسيدات ، وعادت تهمس :

- استنانی شویة!

ثم دخلت ووقفت أمام المرآة ، وأطلت على وجهها .. إن أنفها يلمع قليلا من أثر العرق والخمر ، والكريم قد ساح من فوق التجاعيد الخفيفة التي تحيط بطرفي عينيها وحول عنقها ، وخصلات من شعرها طيرها الهواء ، والروج قد خف من فوق شفتيها .. و .. فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها كل أدوات الزينة .. وبدأت تنثر البودرة فوق أنفها ، وتغطى التجاعيد بالكريم ، وتعيد صبغ شفتيها ، وتساوى شعرها .. ثم انحنت ورفعت ذيل ثوبها ، ومدت يديها تحت الثوب وأخذت تشد والكورسيه » شدا خفيفا وتساويه فوق جسدها .. ثم اعتدلت واقفة ومدت يدها في صدرها لـتساوى وضع « السوتيان » فوق نهديها .. ثم نظرت إلى المرآة نظرة أخيرة .. وابتسمت فوق نهديها .. ثم نظرت إلى المرآة نظرة أخيرة .. وابتسمت داخل الحقيبة ، وخرجت بعد أن أعطت لوصيفة الغرفة ورقة من ذات الخمسة وعشرين قرشا ، كأنها ترشوها حتى من ذات الخمسة وعشرين قرشا ، كأنها ترشوها حتى

وخرجت .. ووجدت سيد ينتظرها ، واقفا أمام « البار » القريب من غرفة الزينة .. فوضعت ذراعها في ذراعه ، واتجها نحر مائدة كبيرة تصادي حلقة الرقص ، اجتمع حولها كل

أعضاء الشلة .. سيدات كلهن حول عمر الأربعين .. الشعر المصبوغ ، والأصباغ الشقيلة ، والشياب الغالية ، والمجوهرات الكثيرة .. وملك هانم أرادت أن تغطى عمرها بطريقة عكشية فصبغت شعرها كله باللون الأبيض .. لون الفضة .. كأنها لو تركته بلا صبغة لما شابه البياض .. ورجال كلهم بين الخامسة والأربعين والستين .. الخدود المترهلة ، والأنوف الحمراء ، والأجساد المرتخية ، وخاتم كبير في أصبع كل منهم .. وثلاث زجاجات من الويسكي ترفرف فوق المائدة كالاعلام .. أعلام الشلة !

وقام الرجال لمقدم شريفة هانم ، ووضعت السيدات بين شفاههن ابتسامات واسعة .. وتقدمت شريفة نحو المقعد الذي أفسحوه لها في الصدر ، وهي تقول :

- بونسوار كلكم ..

وهمت بأن تجلس فالتقت عيناها به ..

وكان لا يزال واقفا تحية لها .. وابتسامة واسعة تطل من تحت شاربه الأنيق الأسود ، وتكشف عن أسنان بيضاء لامعة ، فوق فك قوى كأنه فك أحد أبطال الملاكمة ..

ماذا أتى به إلى هنا ؟

إنه ليس من الشلة .. ليس من عمر الشلة ..

وقد رأته من قبل .. كان يتردد على النادى فى فترات متباعدة ، وكانت تلتقى به فى بعض الحفلات وبعض الملاهى .. وكانت تمر به مغمضة العينين كما تعودت أن تمر على كثير من مغريات الحياة .. ولكنها الليلة لا تستطيع أن تغمض عينيها .. إنها فى حاجة إلى الحياة كلها ، بكل ما فيها من مغريات ..

ونزعت عينيها من بين عينيه ، وجلست .. وأشاحت عنه ..

ولكن صورته لا تزال فى خيالها .. شعره الأسود الذى يعلن شبابه .. وجهه الوسيم البرىء .. وعيناه الواسعتان كأنه يبتلع فيهما النساء ، وكأنهما تفضحان براءة وجهه .. وحاجباه العريضان .. وقوامه المشوق .. وعضلاته .. إنه يستطيع بهذه العضلات أن يستنزف نشاطها كله .. ويريحها من هذا النشاط .. يريحها من الضجيج الذى يصخب فى عروقها ..

وسمعت صوت فايز يقدمه لها:

- انتى مش تعرفى مصطفى يا شريفة هانم .. يبقى يا ستى ابن أخت عبدالخالق باشا معوض ..

ورفعت إليه عينيها مرة أخرى ..

واستدارت رؤوس كل النساء إليه كأنهن انتهزنها فرصة ليماذن عيونهن منه ..

وقالت شريفة في صوت وقور:

- بونسوار يا مصطفى بيه .. اظن شفنا بعض قبل كده ..

وقال مصطفى وهو جالس في طرف المائدة ، وقد كسا وجهه بعض الاحمرار ، كانه يعانى ازمة حياء :

- بونسوار يا أفندم ..

وعادت تدير رأسها عنه .. ولكن صورته لا تزال تحتل خيالها .. ترى كم عمره .. خمسة وعشرين .. ثلاثين .. اثنين وثلاثين ؟! وما هو الفرق بين عمرها وعمره .. إنها تكبره .. تكبره كثيرا .. كم عاما ؟!

ولم تجب على تساؤلها .. إنما وجدت نفسها تفتح حقيبتها ، وتخرج مرآتها ، وتنظر فيها طويلا .. كأنها تطمئن على عمرها.

وصب لها سيد كأسا من الويسكي .. فامسكت به ، وأدارت

عينيها فى وجوه الشلة ، ثم قالت بصوت يسمعه كل من على المائدة ، دون أن يتعداها .. قالت كأنها تفتح موضوعا يشغلها عن خيالها :

- اسمعوا يا ستات .. بلاش سكر الليلة .. الجدع بتاع روزاليوسف قاعد هناك ومش عايزين فضايح ..

واستمع السيدات لها كانهن يتلقين أمرا .. وقالت ملك هانم:

- أنا لسه في التاني ..

وقالت أمينة هانم:

- أنا ما ليش نفس أشرب الليلة .

وقالت أنجى:

- ما هو إذا كنا حانقعد مخنوقين نقوم نقعد في حتة تانية . تعالوا عندي في البيت!

ولم يرد عليها أحد ..

ورفعت شريفة هانم كأس الويسكى وشربت نصفه .. ثم لحت مصطفى بعينيها .. وشربت النصف الآخر ..

وصب لها سيد كأسا جديدا ..

وبدأت الشلة ترقص .. ومصطفى يرقص أيضا .. إنه يرقص مع أمينة .. إنه يحتضنها أكثر من اللازم .. رأخذت شريفة تقارن بين عمره وعمر أمينة .. إن الفارق كبير .. لابد أن الناس ترقبهما وتضحك .. هل يضحك الناس أيضا لو قامت هى ورقصت معه .. وعاد مصطفى من الرقص .. ثم قام يرقص مرة أخرى مع أنجى .. ثم رقص مع ملك ..

وهى .. شريفة جالسة تشرب الويسكى .. كم كأسا شربت .. لا تدرى .. ولكن رأسها مثقل بأبخرة الخمر ، ووجهها لا يبدو عليه أثر منها ..

وكان أفراد الشلة ينتقلون من مقاعدهم عقب كل رقصة .. هذا يجلس بجانب هذه .. وعقب رقصة أخرى يجلس بجانب تلك .. وهكذا .. ثم جاءت فترة لم يكن على المائدة إلا شريفة جالسة في مقعدها الذي لم تغييه طول الليل .. ومصطفى جالس هناك ، على طرف المائدة .. وكلاهما يتحاشى النظر إلى الأضر .. وكلاهما يتماشى النظر إلى كالقشعريرة وهي منفردة مع مصطفى على المائدة .. أحست كأن جسدها ينجذب إليه رغما عنها .. كل قطعة من جسدها تنجذب إليه ، ولا تستطيع أن تعيدها .

وأخرجت سيجارة ووضعتها بين شفتيها ، لعلها تستطيع أن تنفث قشعريرتها في دخانها .. وهمت أن تشعلها .. فوجدت يد مصطفى ممتدة إليها بعود ثقاب مشتعل .. كأنه يريد أن يشعلها كلها .. أن يطلق فيها ناره ..

وأشعلت سيجارتها ، ثم رفعت إليه عينين واسعتين ثابتتين ، وقالت بلهجة آمرة كأنها ضاقت بترددها :

- أنت بترقص ليه ؟!

وبوغت مصطفى بهذا السؤال ، وقال في لهجة مرتبكة كانه طفل ضبطته أمه يسرق تفاحة :

- ما حدش قال لي ما ترقصش ، ورقصت !

قالت وهي لا تزال محتفظة بلهجتها الآمرة:

- طب أقعد هنا ..

وأشارت إلى المقعد الذى يلاصقها .. وجلس وقد ارتكز بكرعيه على المائدة بحيث اصبح ذراعه يلاصق ذراعها .. وحاولت أن تبتعد عنه .. ولكنها لم تستطع .. أحست كأن لحمها التصق بلحمه ولم تعد تستطيع أن تنقصل عنه .. ونظرت إلى وجهه .. ورأت في عينيه شقاوة .. شقاوة الصبيان .. إنها تعرف هذا النوع من الشقاوة .. شقاوة فيها جرأة ، وفيها غرور ، وفيها رغبة ، وفيها حماس الشباب ..

وقاومت حتى احتفظت بلهجتها الآمرة .. لهجة السيدة الكبيرة .. أكبر منه .. وقالت :

- -- اتكلم .. قولى لى أخبارك إيه !
 - قال والشقاوة تقفز في عينيه :
- أخبارى أنى من زمان عايز أتعرف بيكى ..

وقاطعته وهي لا تزال تحاول أن تصتفظ بمكانتها منه .. أن تحتفظ باحترامها لنفسها أمامه :

- لبه ؟
- قال وهو لا يزال يصب نظراته فوق وجهها:
- ما أعرفش ليه .. إنما كنت كل ما أشوفك أتمنى أعرفك .. فيكي حاجة كانت دايما تشدني ناحيتك ..
 - قالت وهي تحاول أن تبدو ساخرة:
- الكلام ده تقوله للبنات الصغيرين بتوعك .. أنت عندك كام سنة ؟!
 - وتمنت ألا يجيب ..
 - وقال في صوت هامس:
- عندى ساعتين ونصف .. اتولدت ساعة ما اتعرفت بيكي

وضحكت .. ضحكت حتى تغطى رغبتها فى الانسياق وراء هذا الكلام .. إنها تريد أن تصدقه .. تريد أن تحس به يحبها ويريدها ويأخذها .. وقالت بين هدير ضحكتها المصطنعة :

إنما ده أناأكبر منك قوى ...

قال :

ما أعرفش إذا كنت أكبر منى ولا أصغر .. إنما أعرف إنى فرحان بيكى .. عمرى ما فرحت أد الليلة دى ..

قالت وهي تنظر إليه ، وقد بدأت نظرتها تلين تحت ضغط أنوثتها :

- أدى انت عرفتني .. بعد كده فيه إيه ؟

قال:

- مافيش بعد كده .. حانفضل نعرف بعض على طول .. وابتسمت ابتسامة هادئة كانها تراجع فى صدرها كل ما سمعته ، كما تراجع دفتر حسابات جمعية « إنقاذ الفقراء ».. وساد بينهما الصمت فترة ، كان كل منهما يبحث عن طرف

وساد بيبهما الضفت فترة ، كان كن منهما يبحث عن طرفة الخيط الذي يؤدي إلى الآخر ..

- تعيى تلعيى لعبة ؟

ثم قال فجأة:

قالت وقد خامرها الخوف من أن يلعب معها إحدى ألعاب المائدة التي تثير السخرية بها وتفقدها احترامها:

- وريهالي الأول .. قبل ما ألعيها!

قال وهو يبتسم كأنه قرأ أفكارها:

- ما تخافیش .. مدی صباعك ده ..

وأشار إلى أصبعها السبابة .. فمدته له في تردد وهي تنظر إليه في حذر .. والتقط عود كبريت وثناه ثم علقه فوق أصبعها المدد .. وقال وهو لا يزال يبتسم ابتسامة بريئة :

- قولى ترن .. ترن .. ترن ..تلات مرات!

ونظرت إليه في دهمشة ، وبين شفتيها ابتسامة حائرة ، كأنها طفلة غريرة . فاستطرد قائلا :

- قولى .. ما تخافيش !!

وقالت في صوت خفيض مقلدة صوت الجرس:

- ترن .. ترن .. ترن ..

فمد يده بسرعة ، ورفع عود الكبريت ووضعه على أذنه ، قائلا :

-- آلو .. آلو ..

وضحكت .. ضحكت من كل قلبها .. ضجت بالضحك .. ضحكة ختكت كما لم تضحَّق من قبل ابدا .. ضحكة طفلة .. ضحكة صبّية .. ضحكة شابة ..

وقال بعد أن خفت عنها موجة الضحك:

أقدر أعرف نمرة التليفون ده كام ؟

وضحكت مرة ثانية .. ثم كفت عن الضحك .. واكتسى وجهها بتردد يشوبه بعض الحياء .. إنه يريد رقم تليفونها .. ورقم تليفونها يعرفه الجميع .. إنها سيدة مشتركة فى الحياة العامة .. ورقم تليفونها ليس سرا .. وليس هناك ما يمنع أى إنسان في مصر من أن يحادثها فى التليفون .. ولكنها الآن تشعر بالحياء والتردد وهو يطلب رقم تليفونها كأنها ستبوح له بسر .. كأنها ستكشف له عن قطعة من جسدها .. كأنها تحدد أول موعد غرام فى حياتها ..

وقالت في صوت خفيض تكشف عن رقم تليفونها:

- اتناشر ميتين واحد وعشرين ..

وسكتت الموسيقى .. وعاد أفراد الشلة من حلبة الرقص .. وظل مصطفى جالسا بجانبها ، وذراعه ملتصقا بذراعها . وحاول كل منهما أن يوجه اهتمامه إلى الأخرين ، كأنهما يقصدان أن يخفيا سرهما .. كأنهما يصاولان اقناع الأخرين

بان لیس بینهما شیء ، ولا یمکن آن یکون بینهما شیء .. ولم یتبادلا سوی کلمات عابرة ونظرات مختلسة ..

وانتهت السهرة ..

وقامت الشلة منصرفة .. وتقدمت شريفة هانم تسير بخطواتها القوية النشطة ، ووجهها يكسوه الوقار .. وابتسامتها الحازمة بين شفتيها .. ولا شيء يبدو على وجهها مما في نفسها ..

وعلى باب الملهى وقف مصطفى يصافحها .. ويضغط على يدها .. والشقاوة لا تزال فى عينيه .. ثم سبقها إلى سيارته .. وتلكات قليلا حتى ترى سيارته .. إنها سيارة شيفرولية موديل ٥٦ ، وحاولت أن تلتقط رقمها كما تفعل البنات الصغيرات ، ولكنها لم تستطع أن تلتقط إلا رقمين .. رقم «١» ورقم «٧» .

ثم ركبت مع سيد في سيارته .. والسائق يسوق في هدوء .. وهواء البحر يرطب وجهها .. وسيد نائم داخل السيارة كعادته وهو يعود كل مساء .. وهي ساهمة وراء خيالها ..

ودخلت بيتها وهي ساهمة ..

ووقفت أمام المرآة تخلع ثيابها وهي ساهمة ..

ثم سمعت نفسها تقول :

- ما يصحش يا شريفة .. ده أصغر منك قوى !!

1

ولم تنم شريفة هانم .. ظلت تتقلب في فراشها وصورة مصطفى تنطلق من خيالها وتستقر بجانب راسها فوق الوسادة ..

ولم يكن ما يؤرقها هو إحساسها بأنها مقدمة على خيانة زوجية .. لا .. إن الاحساس بالخيانة الزوجية لم يعد له معنى في حياتها .. إنها منذ زمان طويل وهي شخصية مستقلة .. مستقلة حتى عن زوجها ..

ولم يكن ما يؤرقها هو إحساسها بالحب .. إنها لا تستطيع أن تفسر أحاسيسها على أنها حب ..

شيء آخر غير الحب .. إنه احساس بالمغامرة .. وقد كان في حياتها كثير من المغامرات ، ولكنها في هذه المرة تحس انها مقدمة على مغامرة أكبر .. إنها - في هذه المرة - تغامر باحترامها لنفسها .. تغامر بالصورة الوقورة الحازمة التي رسمتها لنفسها لتبدو بها أمام الدولة .. أمام وزير الشئون الاجتماعية ، وأمام الناس .. صورة المرأة الجادة التي وهبت حياتها للفقراء ، ولإدارة الجمعيات الخيرية .. وهي على وشك أن تضع هذه الصورة بين يدى شاب مغرور بشبابه .. شاب يصغرها سنا .. يصغرها بكثير .. فهل يستطيع أن يحافظ على

احترامه لهذه الصورة ، أو هل تستطيع وهي معه أن تحافظ على احترامها لنفسها ، وعلى مظهرها الاجتماعي .. وتتقى كلام الناس .. هل تستطيع أن تظل مسيطرة عليه كما تعودت أن تسيطر على كل من حولها ، أم تندفع في بحر شبابه منساقة مع التيار .. وهل ستنزل إلى عمره ، أم سيرتفع هو إلى عمرها ؟

إنها لا تدرى ..

إنها مترددة ..

إنها خائفة .. نوع من الخوف لا تستطيع أن تقاومه فسستسلم له .. وهو على أية حال خوف لذيذ يبدد فراغ روحها ، ويهدىء من ضجيج أعصابها ..

ونامت على ضوء الفجر .. وقامت من فراشها في الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم

التالى ، وأذنها منصتة إلى التليفون ..

كانت تنتظر أن يتكلم ..

وكانت تتمنى الا يتكلم ..

وظلت فترة طويلة لا تتحرك .. جالسة على « الشيزلونيج » الموضوع بجانب الفراش .. كأنها في انتظار القدر .. ثم استدعت الخادم وسالته وهي تخفي عينيها عنه كأنها تسال عن أمر لا يهمها كثيرا:

- ما حدش ضرب تليفون ؟

وقال الخادم في لهجة طبيعية:

– لا يا افندم ..

. قالت وهي تحني رأسها:

- قول للباشا إنى حاتغدى في أودتي .

قال الخادم وهو ينصرف:

– حاضر ..

وعادت تنتظر ..

ومع مرور الساعات اختفت أمنيتها الا يتكلم .. إنها تريده أن يتكلم .. يجب أن يتكلم .. وسترد عليه ببرود .. بكبرياء .. ستفنعه بأن كل ما دار بينهما ليلة أمس لم يكن إلا حديثا عابرا للتسلية ، لا يمكن أن يترتب عليه شيء بينهما .. ستقنعه أنها امرأة كبيرة .. وسيدة محترمة .. لا يمكن أن تنزل بنفسها وبعمرها إلى مستوى شبابه ..

وسمعت جرس التليفون يدق خارج غرفتها ، وانتفض قلبها ، واعتدلت في جلستها ، وأخذت تجمع تحت لسانها الكلام الذي ستقوله له .. واللهجة التي ستحدثه بها .. اللهجة الباردة الآمرة ..

وانتظرت أن يدخل إليها الخادم حاملا آلة التليفون .. وانتظرت أكثر ..

ثم ضغطت على الجرس تستدعى الخادم ، وقالت له في لهجة ترتعش بين الحدة والحياء:

-- مين ضرب تليفون ؟

وقال الخادم:

-- ما حدش يا افندم .. النمرة كانت غلط!

وأحسس كأن الخادم يتكلم وهو شامت فيها .. وشدت أعصابها وقالت في لهجة حاولت أن تكون هادئة :

- طيب روح هات التليقون هنا ..

وذهب الخادم وعاد إليها بالتليفون .. ووضعته بجانبها فوق الشيزلونسج وأخذت تبصلق فيه وهي ساهمة .. تائهة

بعينيها .. كأنها عمياء لا ترى شيئا ..

ودق جرس التليفون .. وقبل أن تنتهى الدفعة الأولى من رنين الجرس ، رفعت السماعة وصاحت في لهفة :

- آلق ..

ثم ارتخت لهفتها ، وتكسرت نظرتها ، وقالت كأنها على وشك البكاء :

- ازيك يا أمينة .. أخبارك إيه ؟

ولم تستمع إلى ما تقوله أمينة .. كانت تستمع إلى عويل حاد ينبعث من صدرها .. ثم وجدت نفسها تقول في التليفون دون وعي منها:

- طيب يا حبيبتى .. أنا حاضرب لك بعد شوية ، أحسن مشغولة دلوقت ..

ووضعت سماعة التليفون ..

وبدأت تثور على نفسها ..

تثور على انتظارها .. من يكون هذا الطفل الذي تنتظره .. وكيف تسمح لنفسها أن تنهار إلى هذا الحد ..

وكانت الساعة الثامنة مساء عندما قررت أن تخرج من البيت ، واستدعت الخادم وصاحت في وجهه بعصبية :

- قول للأسطى يطلع العربية ..

وارتدت ثوب الخروج .. لا تدرى أى ثوب اختارته .. مجرد ثرب .. ثم همت أن تخرج من الغرفة .. ولكنها عادت تتلكا ، وهي تجذب عينيها وأذنيها بعنف بعيدا عن التليفون .. ماذا نسيت قبل أن تخرج .. لا شيء .. وهي تعلم أنها لم تنس شيئا .. ولكنها فقط تتلكا ، لعل جرس التليفون يدق ..

ثم انتزعت نفسها من الغرفة .. ونزلت إلى البهو ، وقالت

في حدة وهي لا تنظر إلى زوجها:

- قوم اتعشى ونام بأه يا باشا .. كفاية كده !

وارتفع الرأس الأشيب ونظر إليها بعينيه الحانقتين ، وقال

بصوت مبهور:

-- رايحة فين يا شريفة ؟

وقالت وهي مستمرة في طريقها:

- خارجة ، وخرجت ووضعت نفسها في السيارة الكاديلاك ، وذهبت إلى صديقتها أمينة .. في بيتها .. لم تتعمد اختيار الذهاب إليها .. ولكن كانت أمينة أول من خطر على بالها ..

وجلست مع أمينة وعقلها شارد .. وفي شروده غيظ .. كانت مغتاظة من نفسها لأنها ضعيفة .. ضعيفة .. إن الانتظار ضعف .. إنها لن تنتظر أبدا .. ستقاوم الانتظار ..

وقالت أمينة:

- إنتى مش عاجبانى الليلة يا شريفة .. مالك ! وقالت شريفة وهي تحاول أن تبدو هادئة :

- أبدأ .. أصل الباشا تعبان شوية !!

وابتسمت أمينة .. إنها تعرف شريفة جيدا ، وتعرف أنها عندما تذكر تعب الباشا ، فهى تقصد أى شىء إلا تعب الباشا .. وعادت تقول كأنها تسرى عن صديقتها :

- النهارده الشلة ما حدش قادر يلمها .. كل واحدة في ناحية .. وملك غطسانة من الصبح!

وقالت شريفة وهي ساهمة:

- ليه .. راحت فين ؟

وقالت أمينة:

انا عارفة يا اختى .. زمانها بتجرى ورا الواد اللى اسمه
 مصطفى .. ما هى واقعة فيه لشوشتها ..

وانتبهت شريفة ، واتسعت عيناها وقالت وصدرها يهبط ويرتفع كالمنفاخ :

- مصطفی مین ؟

وقالت أمينة :

- الشاب الصغير اللى كان سهران معانا إمبارح .. دى ملك لم شفته قاعد جنبك كانت حاتت جنن .. بس انت ما خدتيش بالك ..

وقالت شريفة كأنها تحادث نفسها:

- بس ده صغير عليها قوى .. ده يمكن ما تمش الخمسة وعشرين ..

وقالت أمينة:

- ياختى ما بقاش فيه صفيرة ولا كبير .. الستات خلاص اتجننت ..

وسكتت شريفة برهة .. هل جنت هى الأخرى .. نعم ، لقد جنت .. إن هذه الأحاسيس التى تثور فى صدرها ، وهى فى مثل عمرها ، لا يمكن أن تكون إلا أحاسيس جنون ..

وكأنها أرادت أن تؤكد لنفسها أنها مجنونة ، فقالت لأمينة :

ولم تكن تريد أن تسأل عن الباشا .. كان أهم سؤال وجهته إلى الضادم عندما رد عليها هو : « ما حدش سأل في التليفون ؟» .. وأجاب الخادم بالنفي .. لا ..

والقت سماعة التليفون من يدها كأنها تهرب من شاماتة الخادم فيها ..

...

وعادت إلى بيتها مبكرة .. في الساعة الصادية عشرة مساء .. ووجهها يكسوه الوجوم .. حتى ابتسامتها الصغيرة الحازمة ضاعت منها .. وشدت عينيها إلى الأمام وهي في طريقها إلى غرفتها حتى لا تلتفت إلى التليفون ..

إنها لن تنتظر ..

لن تنتظر ..

لعله يريد منها أن تجرى وراءه ، كما تجرى وراءه ملك هانم .. هذا المغرور .. هذا الطائش .. هذا الطفل .. لا إنها لن تجرى وراءه .. لقد اخطأ إذا اعتبرها واحدة كبقية السيدات .. إنها محترمة ..

ولكن .. لماذا تحاسبه .. بأى حق تنتظره .. إنه لم يقل لها إلا كلمت بن حلوتين من كلمات الغزل .. كلمات تقال دائما فى الليالى الراقصة .. تقال لمجرد المجاملة ، والتسلية .. فلماذا تتعلق بهذه الكلمات العابرة ، ولماذا تبنى عليها كل هذه الأوهام ، وتقيم منها جسرا يصل بينه وبينها .. لماذا .. بأى حق .. لابد أنها تالفة الأعصاب .. إن الصيف يتلف أعصابها دائما ..

وقررت أن تشغل نفسها عن الانتظار .. ستدعو غدا مجلس إدارة جمعية « إنقاذ الفقراء » للاجتماع بالاسكندرية .. وستتصل بوكيل النيابة لتسأله عما تم في موضوع التحقيق مع الست نظيرة وكيلة معهد الطفولة .. وستنشىء مشروعا جديدا .. جمعية ضيرية جديدة .. جمعية لرعاية الأمهات الصوامل .. إنها فكرة رائعة ، فلا يكفى أن تهتم بالطفل بعد ولادته بل يجب أن يبدأ الاهتمام به منذ يتكون في بطن أمه .. فكرة رائعة فعلا ، ستعرضها على مجلس الإدارة في أول اجتماع له ..

وجاء الغد ..

ولم تدع أعضاء مجلس الإدارة إلى الاجتماع .. ولم تتصل بوكيل النيابة .. ونسيت فكرتها الرائعة .. وصبت كل دقائق يومها فوق التليفون ..

ودق جرس التليفون ..

إنه هو .. عرفته من صوته ، بمجرد أن قال « آلو » .. ولا تدرى ماذا جرى لها ، ولكنها انطلقت فى وجهه كأنها تفتح بابا للأبخرة المتزاحمة فى صدرها .. أبخرة القلق والحيرة والانتظار ، وقالت دون أن تتمالك لهجتها :

- ما اتكلمتش إمبارح ليه ؟

وقال في هدوء وفي صوت خشن يدغدغ أعصابها:

- ما كنتش مصدق نفسى .. ما كنتش مصدق إنى أقدر أكلمك فى التليفون .. كنت متردد .. كنت خايف .. كان متهيأ لى إنك حاتشخطى في .. وتكلميني جد ..

وقالت شريفة وقد بدأت أذنها تلين تحت سماعة التليفون:

- لا يا شيخ .. ما كنتش مصدق ، ولا ما كنتش فاضى .. شعرف كنت مع مين إمبارح .. ولا أروح أسال ملك هانم .. بمكن تعرف ..

قال وصوته الخشن لا يزال يدغدغ أعصابها:

- وحياتك ابدا .. كنت داير طول النهار الف حوالين التليفون ، وأنا باسأل نفسى أضرب ولا ما أضربش .. ولغاية دلوقت ، حتى وانتى بتكلمينى ، مش مصدق ..

وسكتت شدريفة برهة .. هل تصدقه .. إنها في حالة تضطرها إلى تصديق أي شيء .. وقالت في صوت متهافت : - مش مصدق إنه ؟

قال:

- مش مصدق إنى أقدر أعزمك على العشا ..

وقالت في حدة مفتعلة:

- انت مجنون .. عايزني أخرج أتعشى معاك لوحدنا .. الناس تقول إيه ؟

قال وفي صوته إغراء:

- إحنا حانروح في حتة هادية ، مافيهاش ناس ..

قالت بسرعة :

– فین یعنی ؟

قال:

في أبو قير ..

قالت وهي لا تستطيع أن تكتم فرحتها:

- ده أنا عمرى ما رحت أبو قير ..

قال :

- أحسن .. علشان أبقى أول واحد تروحى معاه هناك ..

قالت تقاطعه:

- بس --

قال يقاطعها كأنه وصل إليها :

- الساعة تمانية ونص .. عارفة فين .. تعرفي الشارع الضيق اللي قدام باب لوكاندة الميدترانيه .. هناك ..

قالت في استسلام:

- ما ألحقش ألبس تمانيه ونص ..

قال :

-- تسعه ..

قالت:

- لأ .. تسعة ونص !

قال في غرور:

- أوكى .. بس ما تتأخريش!

ووضعت سماعة التليفون وهي ساهمة .. هل هي التي كانت تتكلم .. هل هي التي قالت هذا الكلام .. هل هي التي استسلمت بهذه السرعة وهذا الضعف .. نعم ، إنها هي .. ولم لا تكون هي .. إن من حقها أن ترضى شبابها .. شبابها !! نعم ، شبابها .. إن الشباب هو النشاط .. هـو الحيوية .. وهي مليثة بالنشاط والحيوية .. إنها تختزن من النشاط والحيوية ما يكفي عشر نساء ، وما يملأ عشرين بنتا مراهقة .. ومن حقها أن تفرج هذا النشاط وهذه الحيوية .. من حقها أن تسكت هذا الضجيج الذي ينطلق من أعصابها .. من حقها أن تشبع ..

إنه أصغر منها .. ماذا يهم .. إن عمره وعمرها سيلتقيان ..

هناك لحظات يختفى فيها العمر ، ولا يبقى إلا وجدة الإحساس .. وسبقها خيالها إلى هذه اللحظات .. وأحست أن جسدها يرتعش كأن يدا تمر عليه .. يد رجل .. وأحست أن دماءها تتسابق في عروقها وتصعد إلى وجهها .. كأنها تعانى نوبة حياء وهي ترى جسدها في خيالها عاريا ، ويد رجل تمر عليه ..

وأطلت بوجهها في المرآة .. إنه وجه شابة .. وجه جذاب .. ووجنتاها في لون الورد .. وعيناها تلمعان .. والتجاعيد الخفيفة التي كانت حول طرف عينيها ، وفي اعلى رقبتها ، قد اختفت ..

واتسعت ابتسامتها ..

وخفت فى نشاط إلى دولابها وفتحته إلى آخره .. أى ثوب تختار .. أى ثوب يا ربى .. هذا ثوب أبيض .. ثوب عروس فى ليلة زفافها .. ثم تركت دولابها وعادت إلى مرآتها ، وخلعت الروب دى شامبر ، ووقف بالقميص الداخلى تضع الأصباغ على وجهها .. ولكن بدها ترتعش .. فتعيد رسم الخط من جديد .. ثم من جديد ..

ونادت وصيفتها لتساعدها على لف المشد « الجيبيير » حول خصرها .. وصاحت فيها :

-- شدى على الآخر يا سيدة .. على الآخر خالص !

ولم تحس أن أنفاسها تختنق والمسد يضغط جسدها .. احست كأن ذراعين قويتين يضغطانها .. ذراعي رجل .. ووقفت تنظر إلى نفهسا في المرآة وهي داخل المسد ... إن خصرها نحيل .. كخصر فتاة في السادسة عشرة .. ونهداها قد ارتفعا فوق صدرها .. كأنهما صرختا شباب .. ثم جلست لتضع جوربها في قدميها .. وربتت على ساقيها في حنان كأنها تهنئهما .. ساقاها .. إنهما دائما جميلتان متسقتان ، كعودين من نور صاغهما فنان ..

واتسعت ابتسامتها أكثر ..

ثم وقفت لترتدى الثوب الأبيض .. ثوب من التل الأبيض مبطن بقماش التفتاه الأبيض ، وعند الخصر وردة كبيرة حمراء ، ومن تحته جيبون مقوى بمادة « النشاء » ، يتسع به الثوب ويرتفع به إلى قرب ركبتيها .. ووضعت شالا من التل الأبيض فوق كتفيها .. ووقفت تتعاجب امام المرآة بينما خادمتها قد انحنت لتضع فى قدميها حذاء من « الستان »

الأبيض .. وتناولها حقيبة صغيرة من الحرير الأبيض المطرز باللؤلؤ ..

والقت نظرة أخيرة على خيالها في المرآة ..

إنها عروس ..

إنها صغيرة ..

والتفت إلى خادمتها قائلة وكلماتها ترن كالضحكات:

- قولى للأسطى يطلع العربية ..

وخرجت الخادمة .. وتلفتت حواليها كأنها تهم بأن تسرق شيئا .. ثم فتحت درجا صغيرا وأخرجت نظارتها السوداء ، ووضعتها بسرعة داخل حقيبتها الصغيرة .. ولم تكن تدرى ما حاجتها إلى النظارة السوداء ، ولكن دافعا في نفسها كان يدفعها إلى الانسياق وراء كل مظاهر المغامرات العنيفة ..

وركبت سيارتها والساعة التاسعة والربع ، وقالت للسائق :

- اطلع على سمان استيفانو يا أسطى ، من ناحمية الكورنيش ..

ونزلت عند باب كازينو سان استيفانو المطل على طريق الكورنيش .. ثم أمرت السائق بالعودة .. ودخلت إلى الكازينو ، ولكنها ما كادت تسير بضع خطوات في الفناء الخارجي حتى وقفت في ركن مظلم تنظر إلى سيارتها وهي تنصرف .. وبعد أن اطمأنت إلى أن السائق قد ابتعد .. خرجت مرة ثانية إلى شارع الكورنيش .. وانتظرت إلى أن مرت بها سيارة أجرة ، فأشارت لها ، ووضعت نفسها فيها .. ووصفت للسائق فأشارع الضيق الذي يقع فيه باب فندق الميدترانيه .. وانزوت في ركن السيارة ويدها أمام وجهها كأنها تخفى نفسها .. وهمت أن تخرج النظارة السوداء وتضعها على عينيها ، ولكنها وهمت أن تخرج النظارة السوداء وتضعها على عينيها ، ولكنها

خافت أن تشبوه حافة النظارة من الأصباغ التي تضعبها على وجهها ، فعدلت عن إخراجها من حقيبتها ..

ولمحت سيارة مصطفى من بعيد ، واقفة فى انتظارها . واعطت للسائق أجره قبل أن تنزل من السيارة .. أعطته ورقة من ذات الخمسة وعشرين قرشا ، ثم نزلت ، وتركت له الباقى ..

وسارت بضع خطوات ، وكل ما فيها يرتعش ..

وانحنى مصطفى وهو فى مكانه ، يفتح لها الباب المقابل .. وركبت بسرعة .. وغطست داخل السيارة كما تفعل البنات الصغيرات حتى لا يراهن أحد ..

وقالت وهي تلهث لهثا مغالى فيه:

- ما تطلعش من على الكورنيش .. خليك في الشوارع الجوانية !!

ونظر إليها مصطفى مبتسما ، وقال وهو يقود السيارة :

- یاه .. ده انتی شیك خالص .. الفستان ده مش ممكن نروح بیه آبو قیر ، ده لازم نروح بیه سان استیفانو ..

وقالت دون أن تنظر إليه كأنها خجلة:

- زي ما يعجبك ..

قال:

- برضه نروح أبو قير ..

ورفعت عينيها إليه وهى غاطسة فى مقعدها .. ورأت شعره الأسبود الذى يعلن عن شبابه .. ووجهه الوسيم البرىء ، وعينيه الواسعتين كأنه يبتلع بهما كل النساء ، وكأنهما تفضحان براءة وجهه .. وحاجبيه العريضين .. وقوامه المشوق .. عضلاته .. وتملت بعينيها فى عضلاته .. ثم التقت

بابتسامت الواسعة التى تطل من تحت شاريه الصغير الأسود.. والتقت بنظرته .. نظرة فيها شقاوة صبيان .. فيها جراة وفيها غرور ، وفيها رغبة ..

وأحست بالراحة وهي تستسلم لضعفها .. ذاب عمرها ، وذاب احترامها لنفسها ، وذاب كل ما فيها ..

إنها ضعيفة ..

إنها تريده .. تريده !

واحست بالراحة وهى تستسلم لضعفها .. وسمعته يتحدث ، وسمعت نفسها ترد عليها .. ولكن خيالها كان يطغى على حديثه وحديثها .. واحست بيده تمتد باحثة عن يدها ، ولم تجدها ، التقت بساقها ..

وقالت في ضعف:

- وبعدين يا مصطفى !!

ولكنها تركت ساقها ليده .. يمسح عليها ، ويثير فيها شيئا كالكهرباء ، تسرى حتى تصل إلى رأسها ، فتكاد جفونها تسقط فوق عينيها .. كأنها تقاوم مخدرا ..

ووصلا إلى أبى قير ..

ودخل مصطفى بسيارته فى طريق خطأ لا يصل إلى باب المطعم الصغير تماما .. فاضطرا أن ينزلا من السيارة ، ويسيرا على قدميهما حتى المطعم الصغير المطل على البحر ..

سارت ، والحداء الساتان الأبيض يغرن في رمال الشاطيء .. وأحست بالفرحة .. كأنها طفلة تمرح في الزمل ، لم تهتم بحدائها ، ولا بجوربها ، ولا بأناقتها .. كانت تريد مزيدا من الانطلاق .. تريد أن تخلع حداءها وتجرى بقدمين حافيتين بين موج البحر ..

وقال مصطفى وهو يضع ذراعه فى ذراعها ليسندها فى سيرها:

- أنا آسف .. جزمتك خسرت خالص!

قالت ضاحكة وهي تميل أكثر على ذراعه:

- تحب أقلعها ..

قال وهو ينظر إليها وشقاوة الصبيان في عينيه :

- لأ .. مش دلوقت !

ودخلا إلى المطعم الصغير .. وقادها إلى غرفة خلفية فوق ماء البحر .. وجلسا أحدهما بجانب الآخر ،. كل منهما ملتصق بالآخر .. وطلبا ويسكى .. إنها تريدأن تشرب كثيرا حتى تستطيع أن تلحق بخيالها ..

وقالت وهو يصب لها الكأس:

- بلاش صودا .. حط تلج بس!

قال:

- عارف ..

وشربت الكأس فى جرعتين .. وكأس آخر .. وحديث لا ينتهى .. وضحكات مرحة .. وساقه ملتف بساقها ، وكتفه ملتصق بكتفيها ، وأنفاس ساخنة تهب على وجهها ..

وقالت والكأس في يدها وضحكة كبيرة مكان ابتسامتها الحازمة:

با ترى لو حد شافنا دلوقت ، حایقول علینا إیه ؟!
 قال وهو یقترب منها اکثر :

- حايقول اتنين بيجبوا بعض ..

ومرت سحابة جادة بين عينيها .. هل صحيح يحبها .. هل يمكن أن يحبها .. وقبل أن تجيب نفسها .. أحست بأنفاسه

تقترب أكثر من وجهها .. ثم أحست بشفتيه تقعان على طرف أذنها .. وأحست بالكهرباء تسرى من جديد فى جسدها أشد واعنف .. والكأس تهتز فى يدها .. ولصقت أذنها بشفتيه .. تريد مزيدا من الكهرباء .. ثم هزت رأسها كأنها لم تعد تحتمل الرعشة ، وقالت لاهثة :

لأ .. لأ .. يا مصطفى ..

ثم نزعت رأسها بعيدا عن شفتيه .. وشربت بقية الكأس .. وكأس آخر ..

وقاما وهما يضحكان ، وفي ضحكهما أطياف من خيالهما ..

وكان مد البحر قد ارتفع .. وغطت المياه القوائم الخشبية المقام عليها المطعم الصغير .. ووقفا على باب المطعم حائرين وضحكاتهما تطغى على حيرتهما ..

وقال مصطفى:

- استنى لما يجيبوا لنا لوح خشب نعدى عليه ..

وقالت وهي تضحك:

- لا .. تعالى !

وبلا تردد نزلت سلالم المطعم، وخاضت فى الماء بقدميها .. وهى تضحك .. تضحك بكل قلبها .. كأنها طفلة أفلتت من يد مربيتها، واندفعت فى الماء ..

وصاح مصطفى:

استنى يا مجنونة !

ولم تستمع إليه .. وسارت تخوض فى الماء .. والماء يرتفع فوق ساقيها ، ويغطى ذيل ثوبها .. وهى تترنح من الخمر والماء .. وكادت تقع ، فصاحت والمرح يقفز فوق وجهها :

- الحقنى يا مصطفى !!

وأسرع مصطفى يلحق بها ، ويغوص بحذائه وبنطلونه فى الماء .. وقبل أن يلحق بها أخذت تعب بيديها من الماء وتنثره على وجهها .. وهي تضحك ..

ولحق بها مصطفى ..

وحملها بين ذراعيه .. ولفت ذراعيها حول عنقه كأنها طفلة .. ثم أخذت تقبله في وجهه .. في كل مكان من وجهه .. قيلات سريعة خاطفة ..

ووصل بها إلى السيارة ، ووضعها فوق المقعد ، وهي لا تزال تضحك ، وتقبله في وجهه ..

وقاد السيارة ، وقالت وهي لا تنظر إليه :

- حانروح فين يا مصطفى ؟

قال وهو ينظر أمامه:

- حانروح ننشف الفستان ..

وقالت في صوت خافت:

-- مرسى ..

ومالت برأسها على كتفه ، وغمضت عينيها .. لا تريد أن ترى الطريق ..

...

وكانت شدقته فى عمدارة منعزلة فى نهاية شارع أبى قدير قرب محطة فيكتوريا .. الشدارع هادىء .. ودكان لبائع سجائر فى أسفل العمارة .. وجاراج يضم عددا من السيارات ترقد فى هدوء ، كِأنها نائمة بعد يوم شاق ..

ودخلا صامتين .. وصعدا صامتين .. كان الأمل الرتقب أقوى وأضخم من أن يترك لهما فرصة للكلام ..

ودخلت الشقة .. وهى تبتلع ريقها بصعوبة ، كأن أملها يكاد يخنقها .. وقالت فى صوت مبحوح ، تحاول أن تخفف من ضغط هذه النشوة :

- أنا عمرى ما ضحكت أد النهاردة!
- قال وهو يطل عليها بعينيه وفيهما شقاوة الصبيان:
- وحاتفضلي تضحكي على طول ، طول ما أنتي معايا ..

وحاولت أن تتكلم ثانية ، ولكنها لم تجد شيئا تقوله .. ووقفت مرتبكة ، تنظر إليه ، كأنها تنتظر أوامره ..

وقال:

- أقلعى الفستان ، وهاتيه أحطه جنب البوتاجاز لغاية ما ينشف ..

وأشار لها إلى غرفة ..

غرفة النوم ..

ودخلت فى خطوات مترددة وهى تصاول أن تستسم .. وحاول أن يحلق بها .. ولكنها أغلقت الباب فى وجهه ، وهى تقول فى رقة :

-- خليك بره لغاية ما أنده لك!

ورقفت ساهمة وسط الحجرة .. لا تفعل شيئا .. ثم عضت شفتيها بأسنانها كأنها اتخذت قرارها .. لم يعد هناك مجال للتردد .. لقد سارت إلى نهاية الطريق ولا تستطيع أن تعود .. ثم أنها لا تريد أن تعود ..

والقت حقيبتها ، والشال الأبيض على المقعد .. ورفعت قدمها قليلا ثم مدت يدها ونزعت فردة حذائها .. ثم نزعت الفردة الثانية .. ثم مدت اصابعها إلى جنبها وشدت « سسبتة » الثوب .. إنها لا تنظر إلى المرآة .. لا تريد أن تنظر إلى المرآة ..

وخلعت الثوب ، وأزاحت « الجيبون » فسقط على الأرض تحت قدميها .. ثم جلست لتخلع جوربها .. ثم قامت واقفة ومدت ذراعيها خلف ظهرها وأخذت تفك مشابك «الجيبيير » ..

وتعرت العروس ..

وهى لا تنظر إلى المرآة .. إنها لا تريد أن تنظر إلى المرآة .. وتلفتت حولها ، ثم مدت يدها وانتزعت من فوق المشجب سترة بيجامته وارتدتها .. ووقفت تلهث .. كانها تستجمع أنفاسها .. ثم مدت يديها تساوى بهما خصلات شعرها دون أن تنظر إلى المرآة ..

ونادته .. ،

ولمحت خياله يقترب من وراء زجاج الباب السميك .. قوامه المشوق .. وعضلاته .. ثم لمحت أكرة الباب وهي تتحرك ..

إنه يقترب منها ..

ونظرته تنصب عليها وفيها شقاوة الصبيان ..

ولكنه يقترب ببطء ..

اقترب أيضًا .. أسرع!

وقبل أن يصل إليها .. ألقت بنفسها فوقه .. وألقت بشفتيها فوق شفتيه .. إنها لم تعد تستطيع أن تنتظر .. قبلنى .. قبلنى مرة أخرى .. قبلنى أكثر .. دعنى أقبلك .. لن أكف أبدا ..

وأحست بعضالات ذراعيه يضغطانها بقسوة .. أريد مزيدا من القسوة !

والتقني عمراهما ..

التقيا في جسدين وإحساس واحد ..

کم عمرہ ، وکم عمرها ؟

::·¥

كم أعطت ، وكم أخذت ؟

لقد أعطت كل عمرها ، وأخذت كل عمره ..

وقالت وهى راقدة بجانبه وراسها فوق كتفه ، وأعصابها مرتخية ، وجفونها متكسرة فوق جفنيها :

- أنا أتأخرت قوى يا مصطفى ..

قال وهو راقد بجانبها ، وصدره العريض منفوش على آخره ، كأنه ديك مرح :

- الساعة لسه ما جتش أربعة!

قالت في استرخاء ورأسها لاصقة بكتفه كأنها لن تقوم من جانبه أبدا:

وقامت كأنها مسطولة وبدأت ترتدى ثيابها ، وبين شفتيها ابتسامة نائمة .. وقال وهو واقف خلفها ممسكا بكتفيها :

- حاشو فك تاني امتى ؟

قالت:

- كلمنى في التليفون ..

قال:

- بلاش التليفون .. انتى عارفة إنى ما عنديش تليفون فى الشقة ، ولما باكلمك من بره باتعب قوى .. إحنا نتقابل كل يوم فى نفس الميعاد ، مطرح ما تقابلنا النهارده ..

قالت :

كل يوم !! لأ .. مقدرش يا مصطفى .. خليها يوم آه ،
 ويوم لأ ..

قال وعيناه تلمعان بشقاوته:

- عمر ما حيكون بينا يوم لأ ..

قالت وهي تستدير له بوجهها:

طیب خلیها یوم آه نتقابل ، ویوم آه ما نتقابلش ..
 ولم تقبله ..

كانت قد شبعت .. لم تعد تحتمل مزيدا من القبلات ..

...

وقامت من النوم في الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم التالى ، وابتسامتها الكبيرة .. ابتسامة الشبع .. لا تزال فوق شفتيها . ومدت ذراعيها في الهواء تتمطى ، كانها تهم بأن تحتضن الدنيا كلها .. ثم تركت فراشها ، وسارت بقدمين حافيتين دون أن تأبه بالبحث عن الشبشب ، وفـتحت النافـذة على آخرها .. واطلت منها .. ان الهواء جميل .. والبحر جميل .. والحديقة جميلة .. كل شيء جميل .. جميل .. لم تكن الدنيا أبدا بمثل هذا الجمال .. ووجدت نفسها تغنى .. لم يـمر عليها من قبل صباح غنت فبه .. وكانت تغنى أغنية فرنسية مطلعها :

« إن قصتي هي قصة حب .. »

« وشكوتى هى شكوى قلبين .. »

« قـصـتى كـكل قـصص الحب .. »

« كان يمكن أن تكون قلصتك .. »

إن صوتها أيضا جميل .. لم تكن تعتقد أن صوتها جميل .. وتركت النافذة ، وأخذت تدور في الغرفة كانها ترقص الفالس ، وتغنى أغنية عبد الحليم حافظ :

« قولوله . قولوله الصقيقة .. »

« باحبه .. باحبه من أول دقيقة .. »

إنها نشطة نوع جديد من النشاط .. فرحة ، كصبية في عمر العشرين .. وأطلت في المرآة .. إن

وجهها أيضا في عمر العشرين ..

وكانها لم تبطق أن تحتمل سعادتها وحدها ، فجاءت بالتليفون وحادثت صديقتها أمينة ، وقالت والفرحة تزغرد على لسانها :

- ازيك يا أمينة يا حبيبتي ، وحشتيني موت ..

وربما فعوجئت أمينة بلهجتها وفرحتها فلم تستطع أن تشاركها فعها ، وقالت شريفة والحديث يدور بينهما :

- وازاى ملك هانم .. ما شفتهاش!

وقالت أمينة:

- كانت معايا إمبارح .. إنما كانت قاعدة مكتومة وزى السم !

وقالت شريفة وهي تضحك:

- والنبى أبقى سلمى عليها قوى ..

ووضعت سماعة التليفون ، وقامت إلى الحمام وهى لا تزال تغنى .. وجاء الخادم يعلنها أن إسحاق أفندى رئيس حسابات معهد الطفولة ينتظرها ، فقالت في مرح :

- خليه يستنى .. أنا حانزل حالا ..

وارتدت ثياب الخروج .. ثياب بسيطة أنيقة .. « جوب » و « بلوز » .. ونزلت وهي تقفز فوق السلالم .. ولم تكن بين شفتيها ابتسامتها الصغيرة الحازمة . بل ابتسامة واسعة مليئة بالحياة ..

ونظر إليها زوجها بعينيه الحانقتين وهو جالس في مكانه من البهو ، ولكنها لم تر الحنق في عينيه ، وتقدمت منه في مرح ، وقبلته فوق جبينه ، وهي تصيح :

- ازيك يا بشبوشي .. أنت صحتك النهاردة أحسن .. إنما

مش عاجبانى قعدتك في البيت .. أنا حاخدك الليلة ونخرج سوا ..

ونظر إليها زوجها كالأبله .. إنها منذ ست سنوات لم تقبله في أي مكان من وجهه ، ومنذ ست سنوات لم تقل له كلمة حلوة ..

وتركت ، وذهبت إلى إسحق أفندى الذى ينتظرها في الحديقة وصاحت في طلاقة :

- ازيك يا إسحق أفندى .. وازى مراتك وولادك!

وفوجيء إسحق بلهجتها المرحة حتى نسى أن يضع يديه على صدره كفادته عندما وقال :

- بييوسوا أديكي يا ست هانم ..

قالت من بين ابتسامتها:

– إيه أخبارك ؟

قال وهو يحني رأسه :

والله ياافندم أنا اتجرأت وجيت أكلم سعادتك في مسالة الست نظيرة .. دى خلاص حاتخش السجن ، و ..

وقاطعته قائلة:

- طيب خالص .. النوبة دى حاسامحها ، والفلوس اللى سرقتها حاردها للخزنة من جيبى .. إنما دى آخر نوبة ..

وتهلل وجه إسحق أفندى ، وصاح وهو يرفع يديه إلى السماء :

- الله يخليكي يا ست هانم .. الله يعمر بيتك .. الله ..

وقالت وهي تحسن كأن دعواته قد استجيبت:

- وفيه إيه كمان ..

قال :

-- المعهد يا أفندم و ..

وقاطعته:

- لا .. بلاش معهد ولا جمعية النهارده .. بعدين .. مع السلامة يا إسحق أفندى .. أدى لنفسك علاوة اثنين جنيه في الشهر ، وابعت لى الأمر وأنا أمضيه ..

وجن لسان إسحق أفندى دعاء لها ..

وركبت سيارتها ونزلت إلى شارع شريف، ودخلت إلى محل توفيق كامل الجواهرجى .. ووقف المحل كله يستقبلها ويرحب بها .. وانتقت سلسلة مفاتيح من الذهب العريض، معلقا بها حجر كبير من الزمزد، ولوحة صغيرة من الذهب مكتوب عليها بالميناء الزرقاء: « الله يَحفظك » ...

...

وذهبت إلى موعدها فى الديرم التالى ، وكل قطعة من جسدها تنتفض بالأمل المرتقب .. وكانت ترتدى ثوبا أبيض أيضا .. إنها ترتدى ثوبا أبيض فى كل مرة تذهب للقائه ، كأنها عروس تصر على أن تزف كل ليلة من جديد ..

وقاد مصطفى سيارته فى الطريق إلى شقته الضاصة .. وفى منتصف الطريق مدت شريفة يدها ، وأدارت مفتاح الموتور ، ثم جذبت المفتاح والسلسلة المعلق بها من مكانهما ..

وقال مصطفى وهو يميل بسيارته ناحية الرصيف، حتى لا تقف في منتصف الشارع:

- بتعملي إيه ..

قالت وهي تبتسم:

- مالكش دعوة ..

ثم أخرجت المفتاح من السلسلة ، وفتحت حقيبتها وأخرجت

السلسلة الجديدة التى اشترتها من محل توفيق كامل الجواهرجى، وعلقت بها المفتاح .. ثم وضعت المفتاح والسلسلة الجديدة في مكانهما من السيارة، وأعطته سلسلته القديمة قائلة:

من هنا ورايح مش عايزاك تمسك حاجة إلا حاجتى ..
 خد .. شوف مين جاب لك دى وأرميها لها فى وشها!

وقال مصطفى وهو يضع السلسلة القديمة وينظر إلى السلسلة الجديدة في فرح صبياني:

- أبدا والله .. دى جابتها لى أمى .

وأحست بقلبها يتراجع ...أمه .. هل تحل محل أمه .. لقد نسيت أنه يمكن أن يكون له أم .. إن الناس في جيلها ليس لهم أمهات .. كل أمهاتهم ذهبوا .. وقد نسيت أنه ليس من جيلها ، وأنه يمكن أن يكون له أم .. ربما في مثل سنها .. أكبر قليلا من سنها ..

وبدأت تقارن مرة أخرى بين عمره وعمرها .. وقلبها يتراجع وينقبض في صدرها .. تريد أن تنسى العمر كله .. عمر كل الناس .

ودخلت إلى الشقة وهي متلهفة إلى كأس من الويسكي ، لعله يعينها على النسيان ..

ولكى تنسى بدأت تتعمد أن تتصرف تصرفات البنات .. تتكلم كالبنات .. وتقبله كالبنات .. وتجرى أمامه ويجرى وراءها كالبنات .. وتقول : « لأ » كما تقول البنات ..

ويوما بعد يوم ، أخذت تغالى في هذه التصرفات ، حتى أصبحت تصرفات مجانين لا تصرفات بنات ..

وكانا جالسين في شقته الخاصة وأمامهما الكأس الخامس

وقال لها في لهجته الآمرة التي تعودها منذ تمكن من ضعفها وسيطر على جسدها:

- أقلعي الفستان ..

قالت وهي تنظر إليه وفي عينيها شعلة تتوهج:

- لا .. مش قالعة ..

قال وهو مرتكز بظهره على حافة الأريكة وصدره منفوش كالديك المرح:

- اقلعي يا شيخة .. الدنيا حر ..

قالت وابتسامتها تتسع والشعلة تزداد توهجا:

- لو قلعت ، حارمي الفستان من الشباك! 🖰 👑

قال كأنه لا يصدقها:

- طيب أقلعى ..

وبسرعة قامت واقفة وجلعت ثوبها ، وقذفت به من الشباك .. كان ثوبا أبيض واسعا « بليسيه » سرى فى الهواء مفتوحا كأنها البراشوت ..

وانتفض مصطفى جزعا وأطل من الشباك ينظر إلى الثوب وهو يستقر على الأرض كأنه لا يصدق عينيه ، ثم صاح فى بائع السجائر الذي يقع دكانه فى أسفل العمارة :

- يا عبده .. يا عبده .. أعمل معروف طلع المفرش اللي وقع ده!

وأعاد رأسه من الشباك ، وما كاد يلتفت إليها حتى وجدها وفي يديها فردتا حذائها .. وقبل أن يتحرك ، قدفت بفردتي الحذاء أيضا من الشباك ، وهي تقول وسط ضحكة كبيرة:

قول لعبده يجيب الجزمة كمان !!

وهجم عليها وأمسكها من ذراعيها في قسوة ، وأوقعها على

الأرض ، وقال وأنفاسه تلفح وجهها :

-- اعمل فيكي إيه يا مجنونة أنتي ؟

قالت وابتسامتها تحتار أين تستقر ، على شفتيها ، أم فوق وجنتيها ، أم في عينيها :

- موتنى يا مصطفى !!

...

ومرت الأيام .. كم يوم مر .. شهر .. شهران .. إنها لا تدرى .. لقد اختفت الأيام .. الأيام كلها نائمة من حولها لا تتحرك حتى لا توقظها من حلمها ..

إلى أن تحركت الأيام :: . .

وذهبت إلى نادى السيارات فى يوم لا تلتقى فيه بمصطفى .. واقترح سيد أن تقوم الشلة وتذهب إلى أبى قير .. وكانت الساعة السابعة مساء ، وأمامها ليل طويل تقضيه فى انتظار اليوم التالى حتى تلتقى بمصطفى .. فرحبت بالذهاب إلى أبى قير ، إنها تستطيع هناك أن تلتقى بذكراه ..

وصحبتها الشلة إلى نفس المطعم الصغير الذي شهد أول لقاء لها مع مصطفى ..

وجلست ووجهها هادىء وعيناها هائمتان وراء الذكريات .. والتفتت إلى الغرفة الخلفية من المطعم .. إنها غرفة بلا باب .. وهى تواجهها تماما .. وفجاة ، اتسعت عيناها وانبهرت أنفاسها ..

. من هذا ؟

إنه هو ..

مصطفى ..

إنه جالس. في الغرفة الخلفية بحيث تستطيع أن تراه

ولا يستطيع أن يراها .. وهو يتحدث .. يتحدث كثيرا مع إنسان لا تراه ..

من معه .. من معه ؟!

إنه لا يكف عن الحديث .. وعيناه .. إنها تستطيع أن ترى عينيه ، وليس فيها شقاوة الصبيان .. إن فيهما نظرات جادة ، وفيهما حنان ، وفيهما اهتمام بالغ ..

من معه .. من معه ؟!

ورأت مصطفى يقوم من مكانه .. إنه يواجهها .. إنه يراها .. وسمعت صوت المقعد المقابل له يتحرك .. إنهما خارجان وسيمران بها ..

ورأتهما ..

إنها فتاة صغيرة .. في الثامنة عشرة .. سمراء .. وجهها بلا أصباغ .. قط صبغة الشباب .. الشباب .. الشباب ..

وظلت معلقة عينيها بالفتاة ، وأطياف من الشباب تتزاحم في رأسها .. كأن مليون فتاة صغيرة يهجمن عليها ويحاولن خنقها ..

إنها تعرفها .. « مرفت » ابنة صديقتها شفيعة هانم ..

ووقفت مرفت قبالتها برهة ، حائرة مرتبكة ، ثم قالت في

- بونسوار يا طنط ..

ثم أسرعت الخطى خارجة ..

« طنط » .. إن مصطفى أيضا من حقه أن يناديها « طنط ».. ونظرت إليه ، ورأته ينظر إليها .. نفس النظرة .. نظرة فيها شقاوة الصبيان .. فيها غرور ، وجرأة ، ورغبة .. وشيء آخر.. فيها استهانة .. إنه لم يكن ينظر إلى مرفت نفس النظرة .. كان

ينظر إليها وفي عينيه جد وحنان واهتمام ..

وحيا مصطفى أفراد الشلة من بعيد ثم لحق بمرفت ..

إنه يحبها .. يحبها .. وهي .. شريفة .. ماذا يفعل بها .. إنه يقضى معها ليالي لا يستطيع أن يقضيها مع مرفت .. إنها وعاء يفرج فيه عن كبت شبابه .. إنه يمنح مرفت أنظف ما في شبابه .. ويمنحها هي أقدر ما في شبابه .. إنها شيء يغنيه عن المحترفات ..

وأحست بكل شيء فيها ينهار ويبكى .. أحست بعظامها تتكسر .. وتهش .. وأحست بحلقها يسقط في معدتها .. وأحست بوجنتيها تكادان تسقطان فوق المائدة .. وأحست بعمرها .. وارتعشت !

وقال لها سيد:

– مالك ؟

قالت:

- ما عرفش مالى .. يظهر عيانة .. لازم أروح دلوقت !
وعادت إلى البيت .. ونظرت إلى المرآة .. ورأت عمرها
كاملا.. اثنين وأربعين عاما وستة شهور وخمسة أيام .. رأته
في التجاعيد التي تحيظ بطرقي عينيها وفي أعلى رقبتها ..
وفي وجنتيها المشدودتين فوق عظام وجهها .. وفي شفتيها
المرتعشتين .. وفي عروقها البارزة من تحت جلد يديها ..

وخلعت ثيابها وهي تتأوه كأنها مصابة بالروماتيزم ..

ورقدت فى فراشها وهى تحس بكل ما فيها يتمزق .. كرامتها .. احترامها لنفسها .. هيبتها .. وكلما ضمدت جرحا فى كرامتها ، انفتح جرح آخر ..

وقامت في الصباح الباكر امرأة في الثانية والأربعين ..

اكثر في الخمسين .. ووجهها عليه قناع من الوقار الصامت يخفى تحته عذاب روحها .. وشفتاها مزمومتان لا تستطيعان أن تنطق بابتسامتها الحازمة .. وفي العاشرة دق جرس التليفون .. وكان مصطفى .. وتكلم كنيرا .. ولكن كلامه لم يضمد جراحها ، ولم يستطع أن ينسيها عمرها .. وقالت في حزم :

- خلاص .. انتهىنا ..

قال :

- حافضل استناكى يوم آه ويوم لأ زى العادة!

قالت:

ما تتعبش نفسك!

والقت سماعة التليفون .. وارتدت ثوبها الرسمى .. ثوب جمعية « إنقاذ الفقراء » .. التايير الرمادى ، وقبعة صغيرة رمادية مزينة « بليزيريه » أحمر .. ونزلت من غرفتها وقالت وهى في طريقها دون أن تلتفت إلى أحد :

- خدت الدوا يا باشا ؟

وودعها زوجها بعينيه الحانقتين ..

وركبت سيارتها وطلبت من السائق أن يحملها إلى بيت صديقتها شفيعة هانم .. أم مرفت !

ماذا ترید من شفیعة هانم ؟

لا شيء .. لا شيء .. إنها صديقتها وعضوة معها في الجمعية ، ومن حقها أن تزورها ، وستدعوها لتذهب معها للتفتيش على معهد الطفولة ..

وظلت طول الطريق تقنع نفسها انها لا تريد شيئا من شفيعة هانم .. تحاول أن تقنع نفسها بانها ليست خبيثة ،

ويأنها لا تحاول أن تنتقم من مرفت وتهدم سعادتها .. وجلست تتحادث مع شفيعة ، وهي لا تزال تحاول أن تبدو

وجست تحددت مع سعيف ، وهي لا تران حدول ان تبدر بريئة في زيارتها لها ..

وفجاة انطلقت قائلة ، كأن ثعبانا أطل من بين شفتيها :

- بالحق منروك على مرفت .. إمبارح شفتها مع خطيبها .. إنما بيقولوا عليه شاب كويس قوى ..

وفتحت شفيعة عينيها وقالت في دهشة:

- خطيبها .. أبدا .. ما تخطبتش ولا حاجة ..

وقالت شريفة في خبث:

إزاى ده .. أنا شايفاها معاه بعينى إمبارح فى أبو قير ..
 ونكست شفيعة رأسها كأنها تخجل من ابنتها ، وقالت فى
 صوت حزين :

- أبدا ما تخطبتش!

وقالت شريفة:

- إذا كان كده ، يبقى لازم تاخدى بالك منها .. البنات اليومين دول ما حدش عارف يلمهم ..

وقالت شفيعة وهي لا تستطيع أن ترفع رأسها كأنها تحمل فوقه طنا من العار:

- والله أنا احترت معاها يا شريفة هانم .. مش عارفة أعمل إيه .. أيامنا ما كنتش البنت تخطى بره البيت إلا ومعاها الدادة والسواق ، وتلاته من قرايبها ماشيين وراها ، ولو بصت كده ولا كده تبقى فضيحة ..

وقالت شريفة:

- أيامنا كانت حاجة تانية ..

وقامت شريفة .. وخرجت وهي تحس كأن انفاسها تلتف حول عنقها وتخنقها ..

ووقفت شفيعة تنظر إليها نظرة متوسلة كأنها تستحلفها ألا تفضحها وتفضح ابنتها أمام الناس .. ثم تلفتت تبحث عن ابنتها وفي عينيها شرار نار ..

وهلت مرفت من غرفتها ترتدى البنطلون وتقفر في خطواتها مرحة .. وصرخت فيها أمها :

- رايحة فين حضرتك ..

وقالت ميرفت وقد بوغتت بصرخة أمها:

- رايحة البلاج يا ماما ..

وعادت أمها تصرخ:

- من هنا ورايح ما فيش خروج إلا رجلى على رجلك .. بلا بلاج بلا زفت .. كفاية فضايح .. كفاية سودت وشي قدام الناس المحترمين .. ما فيش خروج إلا معايا .. فاهمة ..

...

وجلست مرفت منزوية فى الركن البعيد من الأريكة المتدة فى شرفة الكابين .. ورأسها بين يديها ، وشعرها مهدل فوق جبينها .. وكانت تبكى .. تبكى فى حرقة كأنها تعصر سنوات عمرها الثماني عشرة ، دمعا ..

وجلست أمها قبالتها على مقعد كبير من مقاعد الشاطىء تطرز رقعة من « الأوبيسون » ، وهى صامتة ليس فى وجهها عصب يتحرك .. كأن اينتها لا تبكى ..

ورفعت مرفت رأسها .. وعيناها محتقنتان فى لون الدم ، ومسحت الدموع من فوق خديها بمنديلها الصغير ، وقالت وصوتها يقطعه النشيج :

- دى ما بقتش عيشة .. أنا حاموت نفسى .. خلاص .. عايزة أموت .. عايزة أموت ..

ثم أمسكت بإحدى وسائد الأريكة ، ورفعتها بعصبية كانها تهم بأن تقذف بها فى البحر .. ثم وضعت الوسادة فوق ركبتها ، وارتكزت عليها بكوعها ، وعادت تدفن رأسها بين ركبتيها .. وتبكى ..

ورفعت أمها عينيها من فوق رقعة الأوبيسون ، ونظرت إلى ابنتها صامتة ، ثم عادت وارخت عينيها ، وبدأت تطرز من جديد ..

وفي المساء ..

وقفت سيارة أجرة فى الشارع الضيق الذى يقع فيه فندق « الميدترانيه » .. ونزلت منها شريفة هانم ترتدى ثوبا أبيض .. وسارت بضع خطوات ، ثم قفزت فى سيارة مصطفى ..

وابتسم مصطفى ابتسامة كلها غرور ، واستهانة ، ونظر اليها بعينين فيهما شقاوة صبيان ..

البناق واالصيف ____





الساعة الثانية عشرة ظهرا .. وكان التلاثة جالسين في الكابين .. الزوج ، والزوجية .. وإسماعيل!

لان الزوج في الثلاثين .. والزوجة في التاسعة عشرة .. وإسماعيل في الرابعة والثلاثين ..

وكان الزوج جالسا على الأريكة مستندا بظهره إلى حائط الكابين ، وقد مد ساقيه أمامه وأمسك بين يديه مجلة « تايم » الأمريكية ، يقرأ فيها .. والزوجة جالسة فوق الأريكة المقابلة ، ملتفتة إلى البحر ، والهواء يطير شعرها الأصفر الناعم كأنه قش القمح يذروه فلاح نشط .. وإسماعيل جالس بجانبها ينظر إليها ، كأنه يسبح بعينيه فوق صفحة وجهها ..

ولا أحد يتكلم ..

وفجأة أدار استماعيل رأسه وقال كنأنما خطرت على رأسه فكرة مدهشة:

- إيه رأيكم نتغدى هنا النهارده ؟

ورفع الزوج رأسه من فوق المجلة وقال بلا مبالاة:

- ما عندیش مانع ..

ولم تتكلم الزوجة ، ظلت هائمة بعينيها في البحر .. والتفت اليها إسماعيل ثم عاد وادار رأسه كأنه ليس في حاجة لسماع رأيها ، وقال :

- طيب اسمع يا عمر ، حضرتك تقوم تاخد العربية وتنزل محطة الرمل تجيب لنا فراخ محمرة من الراجل اللي هناك ، وتفوت على محل « فلو كيجر » تشترى الجاتوه .. و .. `

والتفتت الزوجة إلى زوجها وقالت تقاطع اسماعيل في حدة :

.. ٧ -

وقال إسماعيل في هدوء:

-- لأ ليه يا وفيه ؟

وقالت وفية وهي لا تنظر إليه :

- نبعت نجيب غدا من هنا ، من البوفيه ..

ونظر إسماعيل إلى عمر ، كأنه يترك له الكلمة وقال عمر وهو يلقى المجلة من يده ويبدو عليه الاهتمام كأنه مقبل على تنفيذ مشروع هام :

- يا شيخة .. بأه عاجبك المكرونة المعجنة بتاعة البوفيه .. ولا اللحمة اللي زي البراطيش ..

وقالت وفية وهى تقطب حاجبيها:

- مش ضرورى ناكل مكرونة ولا لحصمة .. نجيب ساندويتشات ..

وقال عمر:

- كله إلا السندويت شات .. ده الجوع ارجم من السندويت المات بتاعة البوفيه ده .. أنا حاقوم أنزل البلد .. مسافة السكة وأرجع لكم تاني ..

وابتسم إسماعيل كأنه كان واثقا من انتصاره.

وقام عمر يفرد جسمه المترهل في لون القشطة ، ويساوى قميصه داخل بنطلونه ..

وقالت وفية وهي تهم بالقيام:

- استنى .. أنا جاية معاك ..

وقال إسماعيل وهو يحاول أن يضحك:

- وقسيبوني لوحدي ؟!

قالت وفية وهى تلتفت إليه لفتة سريعة غاضبة كانها تصفعه بعينيها:

- تعالى معانا ..

وقال إسماعيل وهو بيتسم في ثقة:

- ما اقدرش .. أنا مستنى حازم يفوت على ..

وقال عمر:

- خليكى انتى يا وفية .. ده يدوبك نص ساعة وأكون رجعت .. لو جيتى معايا مش حانرجع إلا بعد ساعتين .. حاتفضلى طول السكة تقولى لى حاسب .. سوق على مهلك .. ما تجريش .. ما تطلعش من العربية اللى قدامك .. وعلى بال ما نوصل يكون ميعاد العشاجه .

ولم يكد ينتهى من كلامه حتى كان خلاج الكابين .. وقال إسماعيل وراءه:

على بال ما ترجع حاكون صقعت لك البيرة ، واشتريت الريتسة !

وتتبعت وفية زوجها بعينيها كأنها تتبع قارب النجاة ييتعد عنها ويتركها وسط الموج .. ثم ظلت معلقة عينيها في الهواء .. لا تلتفت إلى إسماعيل .. لا تجرؤ على الالتفات إليه .. إنها تعلم أنه ينظر إليها .. تحس بعينيه السود فوق كل قطعة من وجهها.. تحس بهما تتفرسان في نهديها .. وتأكلان عنقها .. وتتمسحان بشعرها .. وهي لا تجرؤ على مواجهته .. لا تجرؤ

لا تجرق .. إن شيئا فى داخلها يخاف ، يرتعش ، ويتراخى .. وقامت فى عصبية من جانبه ، وكأنها تنزع نفسها من سلاسل قيدتها بها عيناه .. ودخلت الكابين ، وأخذت تدور فيها بخطوات عصبية .. ووجهها مكفهر خائف .. لماذا يتخلى عنها زوجها .. لماذا يتركها تقاوم وحدها .. هذا الزوج الطيب .. إنه لا يدرى .. ولا يستطيع أن يدرى .. هناك أزواج خلقوا لكى لا يدروا .

ووقفت أمام المرآة الصغيرة المعلقة في حائط الكابين ، وأخذت تنظر إلى وجهها .. تنظر إليه في نقمة كأنها تلعنه .. إنها جميلة .. بشرتها البيضاء .. وشعرها الأصفر .. وعيناها الخيضراوان .. حجران من الزميرد في بحر من الماس .. وشفتاها الكتنزتان .. وأسنانها .. وأسنانها البيض المصفوفة كعقد اللؤلق .. وجيدها المرتفع الأملس .. ولكن .. هناك شيء تعانى من نقصه .. تشقى من نقصه .. إنه شخصيتها الناقصة .. وهي تعلم إنها ضعيفة الشخصية .. نعم تعلم .. إنها تحس بضعف شخصيتها عندما تعجز عن مواجهة العبون التي ترتفع إليها .. وعندما يعجز لسانها عن ملاحقة أحاديث المجتمعات .. وعندما ترتبك وهي تحاسب الخادم أو الطباخ .. وعندما يغشها أصحاب المال و..وعندما ينظر إليها إسماعيل.. وقد لا يشقى صاحب الشخصية الضعيفة إذا كان يجهل أن شخصيته ضعيفة .. ولكنها تعلم ، إنها تحس بضعف شخصيتها ، وإحساسها هذا يزيد شخصيتها ضعفا ، ويزيد نفسيتها تعقيدا ، ويزيد تصرفاتها ارتباكا .

وعادت تنظر إلى وجهها في المرآة .. إن جمالها باهت ، كشخصيتها . وفجأة ارتفع حاجباها في ذعر ، وارتعشت شفتاها .. إنه إسماعيل ..

لقد دخل وراءها إلى الكابين ..

وظلت تنظر إلى وجهه المنعكس أمامها في المرآة .. وقامته أقصر من قامتها قليلا .. وحاجباها لا يزالان مرفوعين في ذعر ، وشفتاها ترتعشان .. إنه يقترب .. يقترب أكثر .. لقد وقف وراءها ملتصقا بها ، ووضع كفيه فوق كتفيها .. إنه يضمها إلى صدره .. لقد بدأت تنتابها نوية الضعف .. إنها تحس بأعصابها تذوب .. تتخلى عنها .. يجب أن تقاوم .. ستقاوم .. أعنِّي يا رب .. هذه المرة فقط ، أعنِّي على المقاومة .

وأحست بشفتيه تسقطان خلف عنقها .. ثم أحست بأعصابها تتمادي في الذوبان .. لا ، ليس الآن .. ليس هنا ..

واستدارت إليه في لفتة مفاجئة ، وهي تصرخ صراخا خفيضا:

- لا .. مش ممكن .. أنت اتجننت !!

وأحاطها إسماعيل بذراعيه ، وضمها إلى صدره بقسوة ،

وشفتاه تشربان من جيدها ، وقال كأنه يخاطب جيدها :

- علشان خاطري يا وفية .. إنتي وحشاني .. وحشاني موت !

قالت وهي تحاول أن تتملص منه ، وضعفها يلصنق به :

- الناس شايفانا يا إسماعيل ..

قال وهو يبحث بشفتيه عن شفتيها :

- ما فيش ناس .. مافيش إلا أنا وانتي !

ثم مد ساقه وازاح باب الكابين بقدمه ، فانخلق .. وخفت الضوء حولهما .. وعاد يبحث بشفتيه عن شفتيها .. وقالت ، وشاربه الصغير يدغدغ خدها ، وأنفاسها تتمزق فوق صدره :

- حرام عليك يا إسماعيل .. حرام عليك!

ثم انهمرت الدموع من عينيها ..

ولم يأبه إسماعيل بدموعها .. إنها ليست المرة الأولَّى التي يذوق فيها طعم هذه الدموع ..

إنها تبكى دائما ، قبل أن تستسلم ..

وأخذ شفتيها بين شفتيه ..

إنها تقبله أيضا .. تقبله وتبكى !

ومال بها فوق الأريكة الموضوعة داخل الكابين .. ودموعها لا تزال تسيل فوق خديها .. ودموع أكثر .. وأكثر .. وأكثر .. دموع ضعف .. ودموع نشوة .. ودموع مهانة .. ثم صدرت عنها نهنهة خفيفة .. ثم مزيد من الدموع ..

وتركها من بين ذراعيه ..

وتوقفت الدموع فوق خديها ..

وقام ينظر إلى المرآة ويساوى خصلات شعره الأسود .. ويساوى قميصه .. ثم فتح باب الكابين .. وانسكب الضوء عليها .. جسدها ملقى فوق الأريكة كأنه ثوب فى حاجة إلى كواء .. ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

وقال إسماعيل وهو يخرج من الكابين وبين شفتيه ابتسامة الشبع:

- أما أروح أقول للجرسون يصقع قزايز البيرة ..

وخرج ..

وانكفأت تدفن وجهها في وسادة الأريكة ..

وعادت تبكى ..

منذ متى ؟

لقد تزوجت وهى فى السابعة عشرة من عمرها .. منذ عامين .. وكانت قبل أن تتزوج فتاة رقيقة صامتة منطوية ، تعيش في محيط ضيق .. محيط عائلتها .. وكانت أمها التركية تحشو رأسها بقصص الجنة والنار ، ومربيتها السودانية تحشو رأسها بقصص الشاطر حسن وأمنا الغولة .. فعاشت طفولتها فى هذه القصص .. تخاف من أشباح مجهولة ، وتفرح بأحلام فى الهواء ، وتكتم خوفها وفرحها فى صدرها ، لا تستطيع التعبير عنهما ، حتى لو أرادت أن تعبر عنهما .. كانت كالعروسة التى تباع فى محال لعب الأطفال .. جميلة ، تثير الحنان ، ولكنها لا تعبر .

وعندما أصبحت في الثامنية من عمرها علموها الصلاة .. ورضعوا في رأسها صورة مضيفة لإله المسلمين .. كانت تتصور الله شيئا هائلا ضخما ، يمسك في يده « مرزبة » وينظر إليها مقطب الحاجبين ، غاضب العينين ، وهو متربص بها . حتى إذا أخطأت خطأ صغيرا .. أقل هفوة .. زمجر الله وحملها « بالرزبة » وألقى بها في النار .. كانت تخاف هذا الأله .. تخافه أكثر مما تحبه .. تبكى رعبا منه .. كانت إذا كذبت كذبة صغيرة ، أو اساءت إلى أحد من الخدم ، اسرعت تصلى أربعين ركعة لله ، وتتوسل إليه بدموعها أن يغفر لها ، ولا يلقى بها في النار ..

وعن طريق هذا الخوف ، استطاعت أمها أن تسيطر عليها .. قيدتها بجانبها .. حرمتها من إحساسها بشخصيتها .. حرمتها حتى من استعمال عقلها .. كانت تختار لها أثرابها ، وتنتقى لها طعامها .. ولا تسمح لها بمصاحبة صديقاتها إلا في

حضورها.. ولا تسمح لها بالذهاب إلى السينما إلا بعد أن تراجع قصة الفيلم، وتطمئن إلى أنها قصة لن تثير فى ابنتها مشاعر من واقع الحياة .. ولا تسمح لها بالنزول إلى البحر فى الصيف إلا فى الساعة السابعة صباحا، ومربيتها تنتظرها على الشاطىء وفى يدها « البرنس »، تلفها به بمجرد خروجها من الماء ..

كانت أما عنيفة في مبادئها .. حجبت ابنتها عن الحياة ، وسجنتها في قفص من ذهب ..

وعندما أصبحت وفية في الضامسة عشرة بدأت تقرأ قصصا من الأدب الفرنسي .. أدب القرن التاسع عشر .. الأدب الرومانسي .. قصص عن الحب العذري .. وقصص عن الأخلاق الحميدة .. أشعار لا مارتين ، وقصص الكونتس دى سيجير ، وآلام فرتر ، وروميو وجوليت .. وشغلتها هذه القصص عن بعض خوفها من الله .. كانت لا تزال تصلى كل الفروض ولكن أصبح في صدرها بجانب الخوف أحلام .. أحلام لا تجدها في الحياة .. لا تجدها إلا في خيالها .. وعشقت هذا الخيال .. وهامت به ، واكتفت به ، فأغرقت في صمتها ، وأغرقت في انطوائها ..

وفى عيد ميلادها السادس عشر ، اعلنوا خطبتها إلى عمر .. ولم تكن قد رأت عمر من قبل .. وعندما رأته لم تجد فيه شيئا من أحلامها .. إنه ليس طويلا ولا قويا .. ليس فيه شيء من صورة الفارس الجميل الذي عاشت معه في القصص الفرنسية .. إنه سمين ، مترهل قليلا ، أبيض البشرة ، فاتح الشعر .. وهو لا يثير فيها الخوف ، ولا الشفقة ، ولا الاعجاب.. لا يثير فيها شيئا من العواطف التي تثيرها فيها

أقلام كتاب القرن التاسع عشر .. ورغم ذلك فلم تكرهه ، ولم تنفر منه .. أحست به كأنه واحد من أفراد عائلتها .. كأنه أخ .. إنه صورة منها .. صامت مثلها ، خجول مثلها ، متعفف مثلها ، كأنها تنظر في مرأة ..

وفرحت به ..

ليس فرحا صارخا .. فرحة هادئة .. فرحتها بأنها لن تنتقل من دنياها إلى دنيا غريبة ، ولن تنتقل إلى رجل غريب ..

ولم تر عمر وحده إلا مرة واحدة ، عندما جاء مع أهله ليخطبها .. وبعد ذلك لم تره إلا مع إسماعيل .. كان اسماعيل دائما معه .. إنه صديق زوجها منذ طفولتهما .. وزميله في المدرسة ، ثم زميله في العمل .. دائما معه .. واضطرت عائلتها أن تعترف به كجزء متمم لعمر ، فكانت تدعوه معه إلى الغداء أو العشاء في فترة الخطوبة ، وتدعوه إلى الخروج مع الخطيبين ، وتطلعه على تفاصيل الجهاز .. و .. و .. وكان إسماعيل لبقا ذكيا استطاع أن يكسب قلب الأم وثقة الأب ، وحب بقية أفراد العائلة ..

وفرحت وفية بإسماعيل كما فرحت بعمر فرحة هادئة ..
لم يثر فيها إسماعيل شيئا .. لم تنظر إليه أبدا كامرأة تنظر
إلى رجل ، ولم تفكر يوما في أن تقارن بينه وبين عمر ..
ولم تلحظ شيئا في عينيه ، ولا في لفتاته .. إن إحساسها
معلق عن كل ما يمكن أن يثيره رجل في أعصاب امرأة ..
إحساس نظيف كصفحة النور ..

إن كل ما تعلمه عن الرجال ، هو أنها ستتزوج يوما ما .. وستمنح جسدها يوما لزوجها .. كيف ؟ إنها لا تعلم كل التفاصيل .. ولا تعلم أيضا أنه يمكن أن يكون في حياتها رجل

غير زوجها .. إن المرأة لا تكون إلا للزوج .. هذه هي تعاليم الله.. وهذه هي الدنيا .. بل هذه هي الطبيعة البشرية .. وليس في إحساسها ولا خيالها شيء أكثر من ذلك ..

وبعد ستة شهور عقد قرانها على عمر ..

ويمجرد أن عقد قرانها ، تخلت عنها أمها .. أفرجت عنها .. كأنها أدت رسالتها ، وانتهت .. لم تعد تختار لها ثيابها ، ولا تنتقى لها طعامها ، ولا تحدد لها خطواتها .. تركتها كلها لزوجها ..

وبدأ زوجها يضرج معها إلى الدنيا .. دنيا لم تتعودها من قبل .. النوادى ، والملاهى ، والصفلات الضاصلة الراقصلة .. وكان إسماعيل دائما معهما ..

وفى هذه الأثناء بدأت تحس بهذا الشيء الذي ينقصها .. ولم تكن تحدري ما هو هذا الشيء .. ولكنها كانت تحس بالارتباك عندما تجلس مع الناس .. لم تكن تستطيع أن تتكلم ، رغم كل محاولاتها .. كانت تتعمد أن تختزن في رأسها كثيرا من الكلام ، ثم تعجز عن أن تعبر عنه بلسانها .. كانت تشك دائما في أن ما يمكن أن تقوله يصلح للكلام .. فتسكت .. واخذها الناس بسكوتها ، فكانوا يضمونها بينهم كشيء جميل يزين جلستهم .. كباقة ورد توضع فوق المائدة ، أو كمصباح أنيق يشع نورا جميلا .. ثم لا يلتفتون إليها .. وكانت تحس بكل ذلك .. تحس برأى الناس فيها .. فتتعذب ..

وكانت تحتار عندما تدخل أحد المحال التجارية لتشترى بعض لوازمها .. إنها لم تدخل محلا من قبل إلا في صحبة أمها .. فكانت ترتبك أمام البائع .. وتخبجل أن تفاصله في السعر .. بل تخجل أن ترد ما يعرضه عليها من أصناف

البضاعة .. وتخرج من المحل لتكتشف أنها خدعت .. فتتعذب أيضا ..

ولم يكن زوجها يستطيع أن يعوضها عن هذا الشيء الذي ينقصها .. كان هو الآخر ينقصه نفس الشيء .. كان يعجز عن مجاراة الناس في أحاديثهم .. مثلها .. وكان يرتبك عندما يدخل إلى المحال التجارية .. مثلها .. وكانا عندما يخلوان أحدهما إلى الآخر ، يصمتان .. لا يجدان حديثا يجمعهما .. إنما ينصرف كل منهما إلى دنيا خاصة من نفسه .. دنيا يبنيها من خياله .. دنيا ليس فيها ناس ..

ولكنها وجدت العوض في إسماعيل ..

كانت شخصيته تكفى ثلاثتهم ..

وأصبح إسماعيل يشغل المكان الذى كانت تشغله أمها .. هو الذى يحدد خطواتها ، وهو الذى يرسم يومها .. هى وزوجها .. كان يتكلم بما يكفى لتغطية صمتها وصمت زوجها .. وكان إذا وجه إليها أحد سؤالا أسرع يجيب عليه نيابة عنها .. وهو الذى يختار سهرتهما .. وهو الذى يحل مشاكلها الصغيرة .. وإذا قررا الانتقال إلى الاسكندرية هو الذى يستأجر البيت الذى ستقيم فيه مع زوجها .. وإذا قررا السفر إلى أوربا هو الذى يعد جوازات السفر وتذاكر الطائرة .. وكان دائما بجانبها .. إنه يجلس بجانبها حول كل مائدة ، بينما زوجها يجلس بعيدا عنها كما تقضى تقاليد المجتمعات .. ولكنها تعودت أن تجلس بجانبه ما يكونون هم الثلاثة وحدهم وليسوا فى حاجة إلى التمسك بتقاليد المجتمعات .. كانت تجلس بجانبه حاجمة إلى التمسك بتقاليد المجتمعات .. كانت تجلس بجانبه كانها تحتمى به .. كأنها تستعير شخصيته .. كانت تشعر بالاطمئنان وهي بجانبه ، كأنها تستعير شخصيته .. كانت تشعر بالاطمئنان وهي بجانبه ، كأنها بجانب أمها .

وكان إسماعيل أيضا هو الذي يضتار أصدقائها .. الأصدقاء !

لقد كان لهما عندما تزوجا كثير من الأصدقاء .. عائلات كثيرة فرحت بزواجهما وحاولت أن ترتبط بهما برباط الصداقة .. وبنات من صديقاتها وشبان من زملاء زوجها كانوا يتبادلون معهما الدعوات .. ثم بدأ كل هؤلاء الأصدقاء يبتعدون شيئا فشيئا .. لا تدرى كيف . ولكنها وجدتهم يبتعدون ، ووجدت نفسها تبتعد عنهم .. إن إسماعيل لم يكن يريدهم .. لم يكن يحبهم .. كان يسىء الظن بهم .. وجعلها تشاركه في سوء ظنه .. وهي تذكر أنه كان من بين اصدقائهما شاب فنان .. رقيق كالنغم .. وكان يروى لها كشيرا من القصص التي قرأها ، ويناقشها فيما قرأته من القصص .. وكانت تعجب به ، وتستريح إليه .. إلى أن جاء إسماعيل يوما يسألها :

- -- مدحت ضرب لك تليفون النهارده ؟
 - وقالت في بساطة:
 - .. ٧ --
- وقال إسماعيل وهو يهر رأسه في أسف:
- أما ولد سافل صحيح .. تصورى أنه قاعد فى النادى بيقول إنه كل يوم يضرب لك تليفون .. الناس بقت زى التعابين .

وكرهت مدحت .. كانها تلقت أمرا خفيا من إسماعيل بأن تكرهه .. أمرا لا تستطيع أن ترده ولا أن تقاومه ، ولا حتى تناقشه .. وابتعد مدحت ، كما ابتعد غيره من الأصدقاء .

ولم تسىء الظن باسماعيل ..

ريما لاحظت في عينيه نظرات لم تقهمها .. وربما لاحظت أنه يلتصق بها أحيانا أكثر مما يجب .. وربما لمحت في بعض كلامه معانى يقف عقلها عندها مترددا .. ولكنها لم تسيء الظن به أبدا . كان إحساسها كصفحة الجليد النقي ، لا يتحرك .. ولا يستوعب شيئا من هذه النظرات أو هذه اللمسات ، أو هذه المعانى ..

لقد أصبح إسماعيل هو كل شيء .. هو الحياة .. هو الضحك ، وهو الكلام ، وهو الحركة ، وهو المفاجأة .. فإذا غاب عنهما - هي وروجها - غابت الحياة ، وانعزل كل منهما في دنياه الخاصة التي يبنيها من خياله .

شيء واحد لم يستطع أن ينزعه إسماعيل منها ، وهو حرصها على تأدية فريضة الصلاة .. لقد علمها أن تشرب الخمر .. كأسا أو كأسين على الأكثر .. وعلمها أن ترقص معه وتضع خده على خدها .. خد بارد برىء .. وعلمها الليالي بما فيها من صخب وضحك .. ولكنها ظلت تصلى .. وظلت تخاف الله .. وربما شغلتها حياتها الجديدة عن تأدية فروض الصلاة في موعدها .. حاضرا .. ولكنها كانت تؤديها دائما .. قضاء ..

إلى أن كان يوم .. وكان قد مضى على زواجها قرابة عام .. وجاء إسماعيل إلى بيتها فى الساعة الحادية عشرة صباحا .. وزوجها فى عمله .. والضادم فى اجازته الاسبوعية .. وإسماعيل يعلم أن الخادم فى إجازة .. إنه يعلم كل شىء .

وفتحت له الباب بنفسها .. وكانت مرتدية قميصا من الحرير في لون البنفسج .. و « روب دى شامبر » من الحرير ، في لون البنفسج أيضا .. وشعرها الأصفر مسدل فوق كتفيها.. ولم تدهش عندما وجدته وراء الباب .. لقد تعود أن

يأتى إلى البيت فى أى وقت ، وفى كل وقت .. ومدت له يدها وهى تبتسم ابتسامة كبيرة ، تنتظر منه أن يتكلم كعادته .. أن يقرل شيئا يضحكها ، أو يسليها .. ولكنه فى هذه للرة لم يتكلم .. أغلق الباب وراءه وهو لا يزال محتفظا بيدها فى يده .. وظل فى مكانه صامتا .. ينظر إليها .. إنها ترى فى عينيه السود شيئا لم تره من قبل .. شيئا مخيفا يثير فيها نوعا من الخوف .. ولكنها لا تزال تبتسم ابتسامتها الكبيرة .. ثم بدأت ابتسامتها تفقد معناها .. أصبحت ابتسامة شبه بلهاء ..

– صباح الخير ..

وردت عليه فى صوت طبيعى تخالطه بعض الدهشة من جدة الموقف عليها:

- يسعد صباحك ..

ثم لم يتكلم .. إنما اقترب منها .. واقترب أكثر .. ويدها لا تزال في يده .. ثم مد شفتيه وقبلها فوق خدها ..

وازدادت ابتسامتها بلاهة .. إنها لا تدرى لماذا يقبلها .. ترى أى مناسبة تستدعى تقبيلها!

وقبلها مرة ثانية ، وأحست بشاربه هذه المرة .. لأول مرة وظلت بلهاء ..

ثم أحست بشفتيه فوق شفتيها .. وأسلمت له شفتيها في بساطة وبراءة .. شفتين باردتين .. ساكنتين كالجليد .. إنها إلى تلك اللحظة لا تدرى .. ولا تسىء الظن .. كل ما نطقت به ، ان قالت في دهشة :

-- إسماعيل ..

قالتها كأنها تتعجب من تصرفاته ..

وفجاة احتضنها بين ذراعيه ، وقال وأنفاسه تفح حول وجهها :

- أنا باحبك يا وفية .. باحبك .. باحبك من يوم ما شفتك ! وصاحت وهي تحاول أن تتخلص من بين ذراعيه :

- إسماعيل .. إسماعيل ..

ولم تستطع أن تتملص منه ..

وجدت فوقها شيئا عنيفا ثقيلا ، لا قبل لها به .. لم تستطع أن تصده .. وكانت تعلم أنها يجب أن تقاوم .. شيء في داخلها كان يحثها على المقاومة .. ولكنها لم تكن تعرف كيف تقاوم .. هل تصرخ مستنجدة .. هل تخرمش وجهه بأظافرها .. إنها لا تدرى .. إنها مرتبكة .. إنها مذهولة .. لم تستطع حتى أن تنطق .. فانبثقت الدموع من عينيها .. واستسلمت !

وتركها وجسدها ملقى على الأرض ، كانه ثوب فى حاجة إلى كواء .. ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

وخرج قائلا:

- أنا حارجـع مع عمر السـاعة اتنين علـشان نطلع نتـغدى بره!

ولم تسمع ما قاله .. ظلت راقدة على الأرض ، وعيناها ملتصقتان في السقف .. كأنها تنظر بهما إلى الله .. إن الله غاضب .. إنه يزمجر في وجهها .. سيحملها بالمرزبة ويلقى بها في النار ..

إنها اخطأت .. نعم ، لا بد أن ما حدث خطيئة .

لا يا ربى .. إنها ليست خطيئتى .. لم أكن أريد .. لم أكن أعلم .. لم أكن أعلم .. لم أعلم .. لم أستطع أن أقاوم .. لا تلق بى فى النار ..

وأحست بكراهية إسماعيل .. إنها تكرهه .. تكرهه .. تكرهه وتضاف .. تضاف بقدر ما تضاف الله ، وبقدر ما تضاف الجميم ..

لن يحدث هذا مرة ثانية ..

لن يحدث أبدا ..

وبدأت تبكى من جديد .. بكت كثيرا .. كأنها تغسل خطيئتها بدموعها .. ثم هدأت أعصابها قليلا .. وقامت ودخلت الحمام .. واستحمت .. وأعادت الاستحمام ، وهى تتقرز من جسدها .. كأنه لن يعود نظيفا أبدا .. ثم خرجت ، وغطت رأسها بطرحة بيضاء ، ووقفت تصلى .. أربعين ركعة .. وكلما سجدت ركعة ، سقطت دموعها فوق سجادة الصلاة .. لعل الله يعفيها من الجحيم ..

وعاد إسماعيل بصحبة عمر ، وهي لا تزال تصلى ..

ودخل زوجها إلى حجرتها .. وأحست به وهى تصلى ، واقفا وراءها .. وارتبكت فى صلاتها .. لم تعد تستطيع أن تتلو آيات « الفاتحة » ، وخلطت بين سجودها وركوعها ، وضاعت منها « التحيات » .. وارتعشت .. خيل إليها أن زوجها قد عرف كل شيء ، وأنه يرى بصمات إسماعيل فوق جسدها .. وسقطت طرحتها البيضاء من فوق راسها .. ثم سمعت زوجها وسقول :

- ياللا يا وفية ، كفاية صلاة .. إبقى كملى بعدين .. انا حاموت من الجوع !

وأنهت صلاتها ، والتفتت إلى زوجها وبين شفتيها ابتسامة حائرة مترددة ، وجفناها يرتعدان فوق عينيها .. ونظر زوجها في وجهها بإمعان ، وقال :

- مالك ؟!

قالت وصوتها يختنق في حلقها:

- ماليش .. أصلى صليت كتير ..

قال في براءة:

طیب البسی قوام علشان نروح نتغدی فی النادی ..
 وترکها ترتدی ثیابها ..

وارتدتها وهى ساهمة .. إنها ستقابل إسماعيل الآن .. كيف ستقابله .. يجب أن يشعر بأنها تكرهه .. يجب أن يشعر بقوتها .. ويجب أن يخافها ..

وأطلت فى داخل نفسها لتقيس مدى قوتها .. لا ، إنها ليست قوية .. إنها ضعيفة .. ضعيفة الشخصية .. يا رب أعنى على ضعفى .. أعنى لأحمى نفسى ..

وخرجت من غرفتها دون أن تضع الأصباغ على وجهها .. خيل إليها أن الأصباغ تضاعف من جرمها أمام الله .. ثم إنها لا تريد أن تبدو جميلة .. إنها تكره جمالها .. وتكره إسماعيل .. تكرهه ..

وسارت تدب الأرض بقدميها ، كانها تحاول أن تقنع نفسها بأنها قوية .. وضمت شفتيها بقوة حتى لا تسقط من بينهما ابتسامة رغما عنها .. وقطبت ما بين حاجبيها لتبدو غاضبة .

ثم واجهته ..

وضعت عينيها في عينيه ..

وارتعدت ..

لم تكن تدرى أن فى عينيه كل هذا الظلام المخيف .. بحسر من الظلام يتماوج فى صمت .. وأرخت عينيها سريعا .. ولم تعد تواجهه بعينيها ..

نعم .. إنها ضعيفة !

وسمعته يقول ، وهي تحس بعينيه فوقها :

- كان حقك لبست فستان غير ده ..

وقالت دون أن تنظر إليه:

- لا .. ده كويس!

وسكت إسماعيل وهو يهز كتفيه .. ثم ذهب الثلاثة لتناول طعام الغداء في النادى .. وقلبها ينبض بالخوف .. الخوف من الأيام المقبلة .. إن إسماعيل لن يكف عنها .. إنها تعلم أنه لن يكف عنها .. لقد تفتح وعيها في لحظة واحدة عن دنيا جديدة.. دنيا مليئة بالاثام والشرور والخداع .. دنيا يحكمها إسماعيل ..

وتعمدت أن تغير أسلوبها مع إسماعيل .. لم تعد الفتاة البسيطة البريئة المفقلة .. أصبحت أمرأة تقاوم في سبيل الاحتفاظ بنظافة جسدها .. أصبحت لا تضحك لنكات إسماعيل كما تعودت .. ولكنه كان يظل يطلق نكاته حتى يفاجئها بنكتة تضحك لها ..

وكانت تتعمد آلا تجلس بجانبه ، ولكنه كان يلاحقها ، فإذا جلست بجانب زوجها ، صاح فيها وهو يغطى وقاحته ببساطته :

- تعالى اقعـد هنا يا عمر .. ما حدش فى الدنيـا يقعد جنب مراته .. بعدين الناس تضحك علينا ..

وينتقل عمر بسلامة نية ، ويترك مكانه بجانبها لإسماعيل..

وكانت تتعمد ألا ترقص معه ، ولكنه كان جريئا .. كان يشدها من يدها أمام الناس لترقص معه ، فإذا رقصت مع زوجها شق طريقه بين الراقصين وجاء إليهما ، وخبط على

كتف الزوج قائلا:

-- تسمح ..

ويضحك الزوج الطبيب .. ويتركها له ، ليلتقطها بين ذراعيه ..

ثم كانت تتعمد ألا تكون وحدها أبدا .. لن يستطيع إسماعيل أن يجدها وحدها أبدا .. كانت دائما مع زوجها ، فإذا كان زوجها في عمله ذهبت إلى بيت أمها وظلت معها تحتمى بها ، إلى أن تتأكد أن زوجها قد عاد إلى البيت ..

ولكن ..

لقد كان إسماعيل يستطيع أن يبعد الزوج دائما كلما أراد .. كلما أرادها .. كانت حيله وأكاذيبه لا تنتهى .. وكانت هى وحدها التى تشعر بهذه الحيل والاكاذيب ، والزوج غافل .. وتحاول أن تنبهه ، أن تحول دون تخليه عنها للخطيئة .. ولكن ثقة الزوج في صديق العمر ، وسيطرة الصديق على الزوج ، كانت تحبط محاولتها ، وتجد نفسها وحيدة مع إسماعيل .. ولا تملك أن تقاومه .. ويتجمع ضعفها وكراهيتها وخوفها في صدرها ، ثم ينبثق كل ذلك دموعا من عينيها .. وهي تستسلم !

لا .. إنها لا تستطيع ..

هل تعترف لأمها ؟

لا .. إنها لا تستطيع ..

إن جريمتها أكبر من الاعتراف .. وهي أيضا أضعف من الاعتراف .. إنها لا تملك إلا أن تقاوم وحدها ، فإذا عجزت عن المقاومة ، فلا تملك إلا الاستسلام ..

ومضت الأيام ..

ووجدت نفسها تنتظر هذه اللحظات التي تنبثق فيها دموعها.. لحظات الاستسلام لإسماعيل .. تنتظرها كأنها آتية لا ريب فيها .. تنتظر في خوف .. والخوف يدفعها إليها ..

لقد أدمنت هذه اللحظات .. وأدمنت هذه الدموع .. أدمنت ضعفها .. إن الخطيئة لم تعد تنصب عليها من إسماعيل ، بل أصبحت تنبعث من داخلها ..

لم تعد تكره إسماعيل وحده .. أصبحت تكره نفسها .. وتكره زوجها الضعيف الذى لا يستطيع أن يحميها من إسماعيل ومن نفسها ..

إن الحياة كلها أصبحت كراهية ..

النهار أسود .. والليل أسود .. وفي يدها سكين من حقدها ، تطعن به تطعن به في خيالها إسماعيل ، وتطعن به زوجها ، وتطعن به نفسها ..

إنها تكره .. تكره كل شيء ..

...

وتقلبت وفية فوق الأريكة داخل الكابين ..

وسمعت صوت زوجها يعود ، وإسماعيل يستقبله بالتهليل.

ثم جاء زوجها إليها وقال فرحا كاته اكتشف أمريكا للمرة الثانية :

- أنا جبت لك فراخ ، ومكرونة في الفرن ، وسلطة طحينة من اللي بتحبيها .. و ..

وقالت في ضعف دون أن تلتفت إليه:

- أنا مش حاتغدى .. تعبانة !

قال في لهفة:

- مالك ؟

قالت وهي تغمض عينيها:

- عندی مغص ..

وتقلص وجه الزوج كأن المغص قد انتقل إلى معدته ، وقال في حنان :

- تحبى نقوم نروح البيت ..

قالت:

- لا .. اتغدوا انتم ، وبعدين نروح ..

وخرج عمر حزينا يائسا ..

وظلت هائمة مع أفكارها .. إنها لا تزال تفكر في وسيلة تحمى بها نفسها من ضعفها .. من الخطيئة ..

وفجأة اعتدلت جالسة فوق الأريكة .. وبين شفتيها ابتسامة ماكرة ..

لقد وجدت فكرة ..



وفى صباح اليوم التالى استيقظت « وفية » ونهر من النشاط يجرى فى عروقها .. وابتسامة كبيرة ترقص بين شفتيها .. ابتسامة تحمل ظلالا من خبث برىء ساذج .. تحس انها قوية .. ذكية

أن لها شخصية .. أنها فرحة بالفكرة التى وجدتها .. الفكرة التى ستخلص بها من إسماعيل ، ومن سيطرة إسماعيل عليها وعلى زوجها .. إنها ستطرده خارج البيت .. ولن يعود أبدا ..

وبدأت ترتدى ثيابها وهى تكاد تغنى .. وجلست أمام المرآة وهزت شعرها الأصفر بعنف كانها تنفض عنها ماضيها .. تنفض عنه خطيئتها .. ثم أمسكت بالمشط وبدأت تمشط شعرها ، وعيناها هائمتان وراء فكرها .. ثم القت المشط ، وأمسكت بأصبع « الروج » فوق الشفة السفلى ، وعادت تستعيد فكرتها .. إنها خطة كاملة ، لا يمكن أن تخيب .. وابتسمت لهذه الخطة كأنها تهنىء نفسها عليها .. وتحرك أصبع « الروج » فوق شفتيها ..

وقامت من أمام المرآة ، وقالت لزوجها في صوت قوى حازم ، كأنها ليست هي التي تتكلم :

- عمر .. أنا نازلة رايحة بيت خالى ..

وأزاح عمر جريدة الصباح من أمام وجهه ، وقال في دهشة

كأن نظام حياته كله قد اختال:

- مش تستنى لما ييجى إسماعيل ، ونروح معاكى ؟ وقالت وهي أشد حزما :

- لأ .. حصلوني أنتم على البلاج ..

وظل عمر يبحلق فيها بعينين دهشتين كأنه يراها لأول مرة، ثم قال وهو يرفع جريدة الصباح أمام وجهه:

- حاضر ..

وخرجت وفية وهى تدب الأرض بقدميها ، كانها تسير فى طابور عسكرى نحو أرض المعركة .. وابتسامتها الكبيرة لا تزال ترقص بين شفتيها .. ولا شيء تراه أمامها أو حولها .. كل ما تراه هو الخطة التي في رأسها ..

ووصلت إلى بيت خالها .. بيت كبير يطل على البحر ، عند محطة زيزينيا .. وكان كل ما يهمها في هذا البيت الكبير أن فيه آلة كاتبة .. إنها تعرف مكان هذه الآلة الكاتبة .. تعرفه بالضبط .. إنها في غرفة المكتب ، فوق مائدة صغيرة .. وقد تعودت كلما اجتمعت ببنات خالها أن تلعب بأصابعها فوق حروفها ، وكان خالها ينهرهن دائما ، ويبعدهن عنها .. ولكنه لن ينهرها هذه المرة ..

وانحنت تقبل خالها .. وزوجة خالها .. وابنة خالها .. وجاست بينهم وذكاؤها كله متجمع في مقدمة رأسها ، كأنها تهم أن تطلقه في أي لحظة .. ثم قالت بعد فترة طويلة :

- تعرف یا خالی إنی ابتدیت آخذ دروس تیبرایتر ..

وقال خالها بلهجته التركية:

- عال .. عال .. كويس خالص ..

قالت وهي تضحك:

- واول ما حا أتعلم ، حاشتغل عندك سكرتيرة .
- وقهقه خالها قهقهة كبيرة .. وقالت « دلبر » ابنة خالها :
 - دى تقليعة جديدة .. ما كانتش تخطر على بال ..
 - وقالت وفية في حماس كأنها تدافع دفاعا حقيقيا:
- مش بدل ما أنا قاعدة فاضية .. زهقت من التريكو ..
- وزهقت من الكانفاه .. وزهقت من البيانو .. قلت أتعلم تيبرايتر.
 - ثم قامت واقفة ، واستطردت وهي تبتسم:
 - لما أقوم اتمرن شوية .. تسمح يا خالى ؟
 - وقال خالها وهو ينظر إليها في حنان وإعجاب:
 - اتفضلی یا بنتی ..

ودخلت غرفة المكتب وهي تشد من صدرها نفسا عميقا كأنها تتأهب للمعركة .. وتلفتت حولها كأنها تدرس كل قطعة من قطع الأشاث .. ثم نزعت غطاء الآلة الكاتبة ، ونظرت إلى الحروف المصطفة أمامها .. وشعرت بالخوف .. لا تدرى لماذا .. ولكنها أحست بضعفها يعاودها .. إنها أضعف من أن تقدم على هذه الخطة .. إنها مجازفة خطيرة .. ولكن لا .. يجب أن تقدم .. يجب ألا تتراجع .. يجب أن تصمم .. وعادت تشد نفسا عميقا من صدرها .. ثم جلست أمام الآلة الكاتبة ، ونظرت فيها بعينين واسعتين خائفتين كأنها تنظر إلى قنبلة ذرية .. ثم مدت يدا مرتعشة والتقطت فرخا من الورق ووضعته في الآلة .. وبدأت تضغط على الحروف بأصبع واحدة .. وكلما نقرت حرفا أحست كأنها تنقر بأصبعها فوق قلبها ..

وكانت تكتب أى شيء يخطر على بالها .. كتبت « بسم الله الرحمن الرحمن الرحمن الرحمة » .. وكتبت اسمها .. وكتبت اسم زوجها .. وكل كلمة تكتبها في دقيقتين .. وهي تعض على شفتيها بأسنانها .

ودخلت إليها « دلبر » ابنة خالها ، ووقفت وراءها تنظر فيما تكتبه ، ثم قالت وهي تضحك :

- ده انتى لسه خيبة خالص .. قومى يا شيخة نروح البلاج ..

وقالت وفية دون أن تلتفت إليها ..

- روحى انتى ، وأنا أجيلك بعدين .. بعد ما أتمرن شوية ! وعادت تعض شفتيها بأسنانها ، وتنقر بأصبعها فوق حروف الآلة الكاتبة ..

وقالت دلير:

- قومى طاوعينى .. مافيش فايدة .. عمرك ما حاتتعلمى .. ولا عمرك حاتبقى سكرتيرة ..

وقالت وفية في رجاء وهي ترفع رأسها إلى ابنة خالها:

- والنبى يا دلبر تسيبينى نص ساعة بس .. عايزة أتمرن شوية .. علشان خاطرى ..

وهزت دلبر كتفيها قائلة:

- طيب أنا حاروح البالاج ، وأبقى حصلينى .. بس ما تتأخريش!

وقالت وفية وهي تحنى رأسها فوق الآلة الكاتبة:

– حاضر ..

وخرجت دلبر ..

وانتظرت وفية بعض الوقت ثم مدت يدها والتقطت حقيبتها ، وفتحتها وهى تنظر إلى باب الغرفة ، ثم أخرجت منها ورقة زرقاء من الورق الذى يستعمل فى كتابة الخطابات ، ووضعتها فى الآلة الكاتبة .. ونظرت إليها برهة كأنها ترى فوق زرقتها غيوما سوداء .. وقلبها يخفق كأنه يدق طبول

الحرب .. واستجمعت كل قواها ، ثم رفعت أصبعها وهمت أن تنقر على الحرف الأول .. ولكنها توقفت .. وقامت من أمام الآلة الكاتبة ، واتجهت إلى باب الغرفة فأغلقته ، ثم عادت إلى مكانها ..

ورفعت أصبعها مرة ثانية ، وقلبها يرتجف .. وبدأت تكتب :

« عزيز عمر بك رأفت .. »

« احترس من صديقك إسماعيل ، إنه يغازل زوجتك الشريفة جدا جدا ، ويحاول أن يعتدى عليها .. يجب أن تطرده من بيتك حالا إذا أردت أن تحمى زوجتك وتحمى شرفك » .

وانتهت من كتابة هذه السطور في أكثر من ساعة .. كتبتها بحروف مفككة وأخطاء كثيرة .. ولم توقعها بأى إمضاء .. ثم رفعت الورقة من الآلة الكاتبة وأعادت قراءتها .. قرأتها أكثر من عشر مرات .. وأصلحت بعض أخطائها بالقلم الرصاص .. ثم جذبت حقيبتها وأخرجت منها مظروفا أزرق عليه طابع بريد ، ووضعته داخل الآلة الكاتبة .. وبدأت تكتب العنوان ..

عنوان زوجها ..

عنوان بيتها ..

ووضعت الخطاب في الظرف وقد توقف وعيها .. لم تعد تفكر .. كانت منساقة وراء خطتها كأن يدا مجهولة تدفعها إليها ..

وقامت وقد تهدل شعرها الأصفر فوق جبينها ، واحتقن وجهها من عنف انفعالها ، وعنف المجهود الذي بذلته ..

ثم خرجت من البيت دون أن تبحث عن خالها وزوجة خالها ، لتحييهما .. وركبت سيارة أجرة .. ومرت في طريقها

بصندوق بريد ، فنزلت من السيارة والقت فيه بالخطاب .. ثم عادت إلى السيارة واتجهت إلى الشاطىء ..

ووجدت زوجها وإسماعيل ينتظرانها في الكابين .. ولم تنظر إلى إسماعيل .. إنها لا تجرؤ على النظر إليه .. لا تجرؤ .. أحست أنه لو التقى بعينيها فسيرى فيهما سرها .. سيكشف خطتها ..

وسمعت زوجها يقول:

- ده انتى اتأخرت قوى يا وفية ..

ولم ترد عليه ..

ثم سمعت إسماعيل يقول:

- دول بنات خالك جم البلاج من الصبح.

والتفتت إليه لفتة سريعة ، ثم أدارت عينيها عنه ، وقالت :

- كنت قاعدة مع خالى ومرأت خالى!

وجلست فوق الأريكة ، وانتقل إسسماعيل وجلس بجانبها كعادته وأخذ ينظر إليها كأنه يسبح بعينيه فوق صفحة وجهها .. وطير الهواء شعرها الأصفر الناعم كأنه قش القمح يذروه فلاح نشط ، وهامت بعينيها في البحر .. هامت وراء خطتها .. إن زوجها سيجد الخطاب غدا ، وسيقراه .. وسيحتقن وجهه غضبا وغلا .. سيثور .. إنها لم تره ثائرا إلا مرة واحدة منذ تزوجا .. عندما سرقت ساعته الذهبية الكبيرة التي ورثها عن أبيه .. إنها تستطيع الآن أن تتخيل وجهه الأحمر .. وعينيه الغاضبتين .. وتستطيع أن تراه وهو يدخل اليها مندفعا ، يهز الخطاب في يده ، كأنه يلوح بسكين يهم أن إليها مندفعا ، يهز الخطاب في يده ، كأنه يلوح بسكين يهم أن يقتل به إنسانا .. وسيسالها : « هل صحيح أن إسماعيل يغازلها ويحاول أن يعتدى عليها ؟ وستجيبه : « نعم » .. لا ،

إنها لن تجيبه مباشرة .. ستتردد قليلا .. وستفتعل الارتباك .. ثم ستقول له ، إنها كانت تود الا يزعج نفسه بهذا الموضوع لأنها كفيلة بأن تحمى نفسها .. ثم سترخى عينيها وتعترف له في صوت ضعيف بأن إسماعيل يغازلها فعلا ، وأنه حاول أن يعتدى عليها مرة لولا أنها قاومته .. وسيثور زوجها لهذا الاعتراف .. سيهدد ، ويندفع محاولا أن يلحق بإسماعيل ليضربه .. ولكنها ستتعلق بعنقه وتستحلفه بحياتها الايضرب إسماعيل حتى لا يثير حولهما فضيحة .. وأن يكتفى بأن يقطع علاقته به ، ويحرمه من صداقته ، ويطرده من البيت .. وسيهدأ زوجها قليلا .. إنها واثقة من أنها تستطيع أن تهدئه .. وسيطرد إسماعيل من حياته ، وحياتها .. وترتاح .. ترتاح من ضعفها ، ومن خطيئتها .. ومن دموعها ..

وانطلقت ابتسامة كبيرة من بين شفتيها ، رغما عنها ..

وقال إسماعيل وهو لا يزال يسبح بعينيه فوق صفحة وجهها:

- بتضحكي على إيه ..

قالت وهي لا تزال تبتسم:

- ولا حاجة افتكرت حكاية سمعتها من خالى ..

...

ومر نهار شغلته بالتفكير في خطتها .. ومر بها ليل طويل ، وهي تنتظر الصباح ..

ثم جاء الصباح .. وجاء معه إسماعيل .. جاد مبكرا كانه خاف أن تفلت منه كما انفلتت في اليوم السابق ..

ونزل ثلاثتهم متجهين إلى الشاطىء .. ونظرت فى صندوق البريد الخاص بالعمارة .. إن الخطاب فيه .. الخطاب الأزرق ..

ولكن .. شكرا ش .. إن زوجها لم ينظر فى صندوق البوستة ولا إسماعيل .. إنها لا تريد أن يفتح زوجها الخطاب وإسماعيل معه ، حتى تستطيع أن تسيطر على الموقف وحدها..

وقضت الساعات على الشاطىء وقلبها واجف ، تعد نفسها للموقف الذى ستواجهه ، وتستجمع كل قواها وكل إرادتها لتواجهه .. ثم يخيل إليها أنها ستضعف .. ستنهار .. قد تعترف لزوجها بأكثر مما يجب أن تعترف به .. وقد تخاف ، فتنكر أن أسماعيل غازلها أو حاول أن يعتدى عليها .. و .. و .. و .. وتعجلت ساعة الغداء ، وانتفضت واقفة ، وقالت :

- ياللا بينا نروح نتغدى ..

وقال زوجها:

- ما لسه بدرى .. دى الساعة ما جتش واحدة .

قالت في حرم:

- أنا جعانة .. خليكو أنتم وأنا حا أروح اتغدى .. وقال إسماعيل :

- لا .. نيجي معاكي ..

وقام ثلاثتهم ، وعادوا إلى البيت .. ولم تنظر إلى صندوق البريد ، خافت أن تنظر إليه فتلفت نظر زوجها .. ولم ينظر زوجها إلى الصندوق فليس من عادته أن ينظر إليه ، وليس من عادته أن يتلقى خطابات من أحد ..

وتناولوا طعام الغداء .. وذهب إسماعيل إلى بيته ليعود اليهما في المساء .. وقالت لزوجها قبل أن يخلع ثيابه :

- أنا شفت جواب فى صندوق البوستة بتاعنا .. انزل هاته. وقال عمر وهو يهم أن يشد قميصه :

- يعنى مين حايبعت لنا جواب ..

قالت:

- أنزل شوف ، يمكن جواب من الـشغل ، ولا من العزبة .. ولا يمكن جواب لى ..

قال في هدوء:

- ابعتى السفرجي يجيبه ..

قالت وهي تنظر إليه كأنها تغريه:

- بلاش كسل .. السفرجي بيغسل الصحون ..

ونظر إليها زوجها في ضيق ، وعاد يضم قميصه حول جسده المترهل وقال وهو يزفر كلماته :

- طيب فين المفتاح ..

وأعطته مفتاح صندوق البريد ، ويدها ترتعش .. وظلت واقفة وسط الحجرة تنظر إليه وهو يخرج ..

وخرج .. ولكنها لم تغير وقفتها .. ظلت واقفة وسط الغرفة كانها دقت في الأرض بمسامير .. وأخذت تستعيد في ذهنها كل ما أعدته لتنفيذ خطتها .. كل كلمة .. وكل حركة .. وخيل إليها أنها استعادتها آلاف المرات في دقائق قليلة .. ثم خيل إليها أن زوجها غاب مدة أطول مما تنتظر .. ربما قرأ الخطاب وتوجه توا يبحث عن إسماعيل .. ربما قرأه وأغمى عليه ، وجسده الآن ملقى فوق السلم .. ربما .. ولكن .. إنها تسمع صوت أقدامه .. لقد عاد .. إنه يسير في خطوات بطيئة كأنه يتحسس طريقه .. إنه يقترب .. يقترب أكثر .. إنه واقف أمامها.

ونظرت إليه بعينين مذعورتين .. إن أعصابها ترتعش تحت جلدها .. إنها لن تستطيع أِن تمثل دورها في الخطة

ولكن ..

إن وجهه هادىء .. ليس محتقنا ، وعيناه ليستا غاضبتين ..

ونظرت إلى يده ..

ليس في يده خطاب يلوح به .. ليس في يده شيء ..

وتمايلت فى وقفتها كأنها أصيبت بدوار .. ثم تحاملت على نفسها ، وابتلعت ريقها ، وتحركت خطوتين ، ثم بدأت تخلع ثيابها وأصابعها لا تزال ترتعش ..

وزوجها صامت لا يتكلم ..

وفجأة التفتت إليه وقالت وكلماتها ترتطم بأسنانها:

- لقيت جوب .. من مين ؟

وقال في هدوء:

- ولا حاجة .. ده إعلان عن أوكازيون ..

وسكتت وعيناها معلقتان فوق وجهه .. إنه يكذب عليها .. إنها تعرف زوجها عندما يكذب .. إنه يخفى عنها عينيه .. لماذا يكذب عليها .. لماذا لا يسألها عما قرأه فى الخطاب ، كما قدرت أن تسير خطتها ..

وتعبت من التحديق في وجه زوجها .. فأرخت عينيها .. ووجدت نفسها كأنها مطعونة الكبرياء .. مطعونة في ذكائها .. هل فشلت خطتها ؟

ولكن لماذا فشلت خطتها ؟

هل زوجها لا يغار عليها ؟

هل تبلغ ثقت باسماعيل إلى حد لا يستطيع مثل هذا الخطاب أن يزعزها ، أو ينتقص منها ؟

ولكن ..

ربما كان زوجها يعد خطة أخرى ، غير التى قدرتها .. ربما قرر بينه وبين نفسه أن يراقب إسماعيل ، ويراقبها .. حتى إذا تحقق من صحة ما جاء فى الخطاب ، أعلن ثورته .. وطرد إسماعيل من بيته ..

نعم .. هذا هو الأرجح .. إنه طيب صموت ، ولكنه ذكى .. لا يحب أن يثير مشكلة إلا بعد أن يثاكد منها ..

إنه سيراقب إسماعيل وسيراقبها ..

ويجب أن تجرى تعديلا فى خطتها .. يجب أن تجعل زوجها يكتشف بنفسه أن صديقه يغازلها .. لقد كان خطابها الأزرق بمثابة بذرة القتها فى قلب الزوج ، وعليها أن ترعى هذه البذرة حتى تترعرع وتصبح شكا ، ثم تصبح حقيقة .. حقيقة تقضى على إسماعيل ، وتريحها منه .

ورقدت على السرير وعقلها سارح .. كيف تجعل زوجها يغار .. كيف تقوده ليرى الحقيقة بعينيه ؟

واستعرضت فى ذهنها كل القصص التى قراتها ، وكل الأفلام السينمائية التى شاهدتها ، لعلها تجد فيها مواقف تثير غيرة الأزواج ،، وتذكرت قصة « عطيل » والحيل التى لجأ إليها « ياجو » ليثير غيرة الزوج على زوجته .. وفيلم « الشك » الذى أخرجه هتشكوك ومثله كارى جرانت .. و .. وأغمضت عينيها وهى لا تزال يقظى ..

...

وفى المساء وقفت امام المرآة وقد قررت أن تبدو أجمل من أى مساء مر بها .. أرتدت ثوبا أبيض واسعا ، ووضعت فوق شعرها الأصفر تاجا من الماس ، فبدت كأميرة الأحلام .. حلوة .. غالية .. مثيرة .. وخرجت إلى الصالون حيث كان ينتظرها زوجها وإسماعيل .

وأطلق إسماعيل صفيرا حادا بمجرد أن رآها .. صفير

الذئب .. ورفع زوجها حاجبيه وابتسم ابتسامة كبيرة كأنه فرح بلعبة يملكها ، وقال :

- ده انتى حلوة قوى الليلة ..

وقالت في دلال مصطنع كأنها تقلد امرأة أخرى:

- أنا الليلة عايزة أروح الرومانس .. قوم احجز ترابيزة يا عمر ..

وقام عمر ليحجز مائدة بالتليفون .. وسارت وفية في خطوات بطيئة متمايلة ، ثم ألقت نفسها بجانب إسماعيل .. وتعمدت أن تلتصق به .. وأحست بعينيه تسبحان فوق وجهها .. وأحست بالرعدة تزحف على قلبها .. ولكنها قاومت .. قاومت بكل إرادتها .. ثم رفعت إليه عينيها ، وقالت وصوتها يكاد يرتعش ويفضح رعدتها :

- عاجباك ؟!

وقال إسماعيل هامسا وهو يزحف بيده إلى أن أمسك بيدها:

- عاجبانی بس .. ده انتی مجننانی ..

وابتسمت وفية ، وقلبها ينضح بالكراهية .. إنها تكرهه .. وتزداد كراهية له كلما لس قطعة من جسمها ، وكلما أحست بعينيه فوق وجهها ، وكلما أطلق كلمة غزل ..

ودخل الزوج .. وسحب إسماعيل يده من يدها بسرعة .. ورفعت عينيها إلى زوجها كأنها تسأله عن هذا الوضع الذى يراه .. وضعها بجانب إسماعيل ملتصقة به ..

ولم يبد على الزوج أنه لاحظ شيئا، وقال في بساطة:

يدوبك لحقت ترابيزة على البيست .. مش ياللا بينا بأه !
 وقالت وفية في جرأة :

- لا .. استنى لما نشرب كاس هنا!

ونظر إليها إسماعيل دهشا .. إنها لم تكن ابدا بمثل هذه الجرأة .. وبحلق فيها زوجها كأنه لا يصدق اذنيه .. ثم هز كتفيه وفتح « البار » ، وأخرج زجاجة الويسكى ، وقال وهو يصب لها كأسا :

- كاس واحد بس ، أحسن الترابيزة محجوزة لغاية الساعة عشرة وبعد كده حاتروح مننا ..

وشربت وفية الكأس بسرعة وعصبية ، كأنها تذيب فيه أعصابها .. وانتهت منه قبل أن ينتهى إسماعيل وزوجها من كأسيهما .. ثم هبت واقفة وقالت كأنها تصدر أمرا عسكريا :

- باللا بينا ..

وخرجت .. والرجلان يتبعانها .. إنها ثائرة .. ثائرة على نفسها .. إنها تحس بنفسها كأنها امرأة أخرى .. امرأة لا تحبها .. تتقزز منها .. وكادت في غمار هذا الاحساس تنسى خطتها ، وتنسى الدور الذي قررت أن تقوم به .. وركبوا جميعا سيارة إسماعيل .. ثلاثتهم في المقعد الأمامي .. إسماعيل يتولى القيادة وهي بجانبه ثم الزوج ..

وتنبهت وفية إلى خطتها ، وعادت تتمسك بها .. فازدادت التصاقا بإسماعيل .. وهي تنظر من تحت جفنيها إلى زوجها لترى التعابير التي ترتسم على وجهه .. ثم قالت فجأة :

- خلينى أمسك الدركسيون شوية يا إسماعيل ..

ورفعت ذراعيها ، ووضعت يديبها فوق عجلة القبيادة .. وأصبح نصفها فوق إسماعيل .. ونظرت أمامها ، وكل حواسها متجهة إلى زوجها .. هل غضب .. هل احتقن وجهه غلا ، كما احتقن يوم اكتشف سرقة ساعته التي ورثها عن أبيه .. لعله

سيصرخ فى وجهها الآن .. على الأقل سينهرها .. إن إسماعيل يلصق ساقه بساقها .. ويده خلف ظهرها تضغط على كتفها .. هل لاحظ الزوج شيئا .. لابد أنه لاحظ .. لابد أنه سينفجر والتفتت إليه ..

لا شيء ..

إن وجهه هادىء . سبعيد ..

ولاحظ لفتتها فقال في مرح:

- أنا نفسى إنك تتعلمى السواقة علشان بعد كده ما تفضليش تقولى لى سوق على مهلك ..

وتهدلت تعابير وجهها ..

أحست باليأس يزحف على قلبها .. لابد أنها غبية إذ فكرت في أن تثير غيرة مثل هذا الزوج .

ورفعت يديها من فوق عجلة القيادة ، وابتعدت عن إسماعيل ، وقالت وهي تتنهد :

- طيب مش حاتعلم السواقة .. علشان أفضل أقول لك سوق على مهلك .

وقال إسماعيل في خبث:

ما تتعلمى أحسن .. علشان ما تحتاجيش لسواق!
 وقالت وهي لا تنظر إليه:

.. ¥ -

ووصل الثلاثة إلى ملهى الرومانس . واليأس يرتسم فوق وجه وفية .. لم تعد تحس بجمالها ، ولا بذكائها ، ولا بقوتها .. عادت كما كانت مرتبكة ، حائرة ، منطوية ، ضعيفة الشخصية ، واستسلمت لسيطرة إسماعيل .. ولكنها شربت كأسا .. وكأسا ثالثا .. وتذكرت عذابها .. وبعثت الخمر الدفء

فى أعصابها ، وحرضتها على أن تعاود خطتها من جديد .. وزمت شفتيها كأنها انتوت امرا خطيرا ، ثم التفتت فجأة إلى إسماعيل وقالت وهى تكاد تصيح :

-- إسماعيل .. تعالى نخرج فى الجنينة شوية .. أنا تعبانة !
ونظر إليها إسماعيل ، كأنه لا يفهمها .. ثم قام معها وخرجا
إلى الحديقة .. ووضعت ذراعها فى ذراعه .. ثم توقفت وأوقفته
معها ، وقالت فى صوت حزين دون أن تدع عينيها تلتقيان
بعينيه :

<u> بوستى !</u>

وقال إسماعيل والمفاجأة تكاد تخلعه من على الأرض:

- إيه ؟

قالت كأنها تبكى:

با أقولك بوسنى .. بوسنى .. دلوقت .. دلوقت حالا !
 واحتضنها إسماعيل وهو لا يزال مأخوذا بالمفاجأة .. وقبلها
 فوق خدها .. ثم قبلها فوق شفتيها ..

ثم ..

ثم مسحت شفتيها في خده ، وابتعدت عنه ..

وقال إسماعيل وهو مبهور الأنفاس:

انتى النهاردة مش طبيعية!

قالت وهي تدير رأسها عنه :

- هوه لما أقول لك بوسنى .. ابقى مش طبيعية ..

وقال إسماعيل في غباء:
- أبدا .. تبقى طبيعية ونص ..

وقالت وهي تخطو نحو الملهي:

- طيب يا للا نرجع ، قبل عمر ما پيجي يدور علينا .

قال وهو يلحق بها:

- ما تخليكي طبيعية كمان مرة!!

وأحست بمعدتها تنقلب .. إنها تكرهه ..

وعادا إلى المائدة .. وكان عمر منصرفا إلى متابعة الراقصين ، وينقر بأصابعه على المائدة متابعا الموسيقى ..

وانتهزت وفية فرصة تنبه زوجها ، وأشارت إلى إسماعيل بأصبعها على خدها ، تنبهه إلى شيء في خده .

وفهم إسماعيل إشارتها .. لقد كان على خده رقعة كبيرة من أحمر الشفاه .. فاخرج منديله بسرعة ووضعه فوق الرقعة الحمراء ..

لقد تعمدت أن تمسح شفتيها فى خده .. وتعمدت أن تشير إليه وزوجها منتبه إليها ، حتى يعلم .. يعلم أن إسماعيل كان يقبلها فى الحديقة ..

وقال الزوج وهو لا يزال مبتسما:

- إيه .، فيه إيه .. مالك ؟

وقال إسماعيل وهو لا يزال محتفظا بمنديله فوق خده:

- أصلى يا سيدى اتخبطت في شجرة وأنا ماشي في الجنينة .. يظهر اتجرحت .. أما أقوم أشوف جرى لي إيه .

ولم يرد عليه الزوج .. عاد يتابع الراقصين ، وينقر بأصابعه على المائدة ..

وقام إسماعيل ، ليمسح آثار شفتيها على خده ..

وكادت وفية تبكى .. إنها غبية .. إنها حمارة .. إنها لا تستطيع أن تضع خطة .. ولا أن تنفذ خطة .. ونظرت إلى زوجها .. إنه أغبى منها .. إنه مغفل .. إنه أعمى .. وهى تكرهه .. تكرهه أكثر مما تكره إسماعيل .. وأحست كأنها تهم بأن تنشب أظافرها في عنق زوجها .. تنشب أظافرها في عينيه اللتين لا تريان ..

وعاد إسماعيل يضحك قائلا:

- الحمد ش .. ما فيش حاجة .. خدش بسيط ومش باين ! وقامت .. أصرت على أن تقوم وتعود إلى بيتها ..

وتركهما إسماعيل عند باب البيت .. كأنه سجان يوصلهما إلى السجن ، ويغلق عليهما باب الزنزانة ..

وقالت لزوجها وهى تخلع ثيابها ، وصدرها ينطبق بعضه على بعض :

- إسماعيل النهارده زودها قوى!

وقال عمر وهو يضحك:

- إسماعيل طول عمره كده .. مظهره وحش ، إنما قلبه طيب .. ده طول عمره صاحبى ، وعارفه كويس .. وياما ناس حاولوا يوقعوا بينى وبينه ، إنما كنت دايما اكتشف أن الناس كدابين ، وإسماعيل أحسن منهم ..

وأحست وفية كأن نارا تشتعل فيها ..

هذا المغقل ..

هل تعترف له ..

هل تقول له أن صديقه الذي يفخر به قد اعتدى عليها .. على زوجته .. وأن زوجته قد أدمنت اعتداءه عليها ..

وهل يصدقها إذا اعترفت له ؟

وأحست باعترافها يتجمع فوق لسانها ويكاد ينطلق فى وجه الزوج رغما عنها .. ولكنها حبست لسانها خلف شفتيها .. وسكتت .. ولم يسكت فيها شيء آخر ، غير لسانها .. كل شيء فيها كان يصرخ في غيظ وحنق ..

...

وذهبت فى اليوم التالى إلى بيت خالها .. وأدعت مرة ثانية أنها جاءت لتتمرن على الآلة الكاتبة .. وكانت أكثر جرأة .. دخلت مباشرة إلى غرفة المكتب، وننزعت غطاء الآلة ، ثم أخرجت من حقيبتها خطابا أزرق وضعته فيها .. وجلست تكتب:

« عزیزی عمر بك »

« إن زوجتك تخونك مع صديقك إسماعيل ، وإذا أردت أن تتأكد من خيانتهما تظاهر بأنك ستتركهما وحدهما لمدة نصف ساعة ، ثم عد إليهما بعد خمس دقائق ، وسترى الفضيحة بعنيك .. »

ونزعت الخطاب من الآلة الكاتبة وأعددت قدراءته ، ثم وضعته في ظرف .. ولم تكتب على الظرف أي شيء .. لا الاسم ولا العنوان .. إنما حملت الخطاب معها وعادت إلى بيتها .. ودخلت والخطاب في يدها .. ووجدت زوجها ، ومعه إسماعيل ..

ونظرت إلى زوجها في جرأة وقالت:

- خد .. البواب بيقول فيه واحد فات وساب لك الجواب دها وأعطته الخطاب .. ودخلت إلى غرفتها .. إنها لا تريد أن تراه وهو يقرأ السطور التي كتبتها له .. ولا تريد أن تراه وهو ينظر إلى إسماعيل كأنه يعيد قراءة السطور فوق وجهه .. إنها تحس بأنها تنتحر .. تلقى بنفسها من فوق أعلى عمارة في مصر ، وهي تغمض عينيها حتى لا ترى مصيرها .. نعم ، إنها تنتحر .. لم يعد يهمها مصيرها إذا ضبطها زوجها مع إسماعيل .. كل ما تريده الآن هو أن تحطم إسماعيل وزوجها ..

تحطم الخدعة الكبرى التى تربطهما ويسميانها صداقة .. تريد أن تنتقم منهما .. على جثتها .

ومضى وقت كاف ليقرأ زوجها الخطاب ، ولم يلحق بها .. وخرجت إليه .. وكان وحده ، كان إسماعيل قد ذهب .. وأطلت في وجه زوجها .. إنه كما هو .. ولكنه لا يبتسم .. وربما كان وجهه مكفهرا قليلا .. ولكنه ليس غاضبا .. وليس حانقا .. ونظرت إليه بعينين مبحلقتين وقالت وهي ترتعش :

- الجواب كان من مين ؟

وأجاب دون أن يبتسم:

- ده برضة إعلان عن مزاد ..

قالت وهي تنظر في عينيه كأنها تتحداه:

- طيب فين هوه .. عايزة اقراه!

قال في هدوء:

-- قطعته ، ورميته من الشباك ..

وسكتت ..

هل يهمل زوجها هذا الخطاب أيضا .. هل لا يزال محتفظا بثقته في إسماعيل .. ألم يداخله شك .. مجرد شك .. ألا يضع هذه الثقة موضع اختبار ..

ولكنه لا يبتسم كعادته ..

لعله يكتم شيئا .. لعله يحاول أن يختبر صديقه .. لعله يتحرك ، هذا اللوح ، هذا الثلج ، هذا الغفل ..

وقضت يومها وهي بين الياس والأمل ..

وفى المساء عاد إليهما إسماعيل فى الساعة السابعة .. وقال الزوج فجأة :

- أنا نازل أتكلم في التليفون مع مصر وراجع لكم بعد نص ساعة ..

ونزل ..

وخفق قلب وفية ..

إن زوجها يختبر صديقه .. إنه ينفذ التعليمات التي حملها له الخطاب ..

لقد حانت ساعة الانتحار ..

واقترب منها إسماعيل .. واقترب أكثر .. وأحست بشفتيه فوق خدها .. وأحست بشاربه يدغدغ أعصابها .. وارتجفت .. لا .. إنها لا تريد أن تنتحر .. ستبعد إسماعيل عنها .. ستفضح له خطتها .. ستقول له إن عمر سيعود ليفاجئهما بعد خمس دقائق .. بعد أربع دقائق ..

ولكنها سكتت .. إن دافعا آخر يدفعها إلى أن تستمر في خطتها .. ستكون هذه هي آخر مرة يعتدى فيها عليها إسماعيل .. وبعدها ستتخلص من خطيئتها .. وتعود طاهرة كما كانت ..

والتفت ذراعا إسماعيل حول خصرها .. وحواسها كلها متجهة إلى الباب .. لعل عمر واقف الآن خلفه ..

واشتدت رعدتها ، وقالت في صوت خافت :

- لا يا إسماعيل .. لا ..

وقال إسماعيل وهو يضمها بقسوة:

- إنتى وحشانى يا وفية .. وحشانى موت ..

وحواسها كلها متجهة إلى الباب .. إن زوجها سيدخل الآن .. بعد دقيقة واحدة .. لعله وضع المفتاح في القفل ..

وامتدت أصابع إسماعيل تعبث بأطراف ثوبها ..

إن زوجها لم يدخل ..

لقد تأخر ..

وازاحت إسماعيل عنها برفق ، وعادت تقول :

- لا يا إسماعيل .. مش وقته!

وقال إسماعيل وهو يلتقط شفتيها:

- علشان خاطرى يا وفية ..

إنها تريد أن تعطى فرصة أكثر لزوجها .. ولكنه تأخر .. هذا المغفل يبجب أن يدخل الآن .. إنها تحس بالضعف يسرى في أعصابها .. تحس بأنفاس إسماعيل تذيبها .. يجب أن يأتى زوجها .. لينقذها .. ليحميها .. و ..

وازدحمت أعصابها بالخوف .. والضعف .. والتربص .. وحواسها موزعة بين انتظار زوجها وأنفاس إسماعيل .. فانبثقت الدموع من عينيها .. ودموع أكثر .. وأكثر .. وأكثر .. ولم يدخل الزوج ..

وتركها إسماعيل ملقاة على الأرض كأنا ثوب في حاجة إلى كواء، ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

وقال وهو يساوى شعره ويلتقط أنفاسه:

- أنا حانزل دلوقت .. وأبقى قولى لعمر إنى مستنيه في أتنيوس .

ولم ترد ..

وخرج ..

وانكفأت على وجهها تبكى .. بكت كثيرا .. ثم قامت وأمارات تصميم أهوج تملأ عينيها وتكسو وجهها بطابع الثورة .. ودخلت إلى غرفتها ، وأخرجت حقيبة السفر ، والقت فيها ببعض ثيابها ، ثم أغلقتها وحملتها في يدها ، وخرجت .. وما كادت تقترب من باب الشقة حتى التقت بزوجها داخلا .. ونظر إلى الثورة المرتسمة على وجهها ، وإلى الحقيبة في

يدها ، وإلى ثوبها الذي يحتاج إلى كواء ، وقال في دهشة :

- على فين .. إيه اللي حصل!

قالت في حدة:

- مالكش دعوة!

وازاحته من طريقها وخرجت من الباب ، فلحق بها وهو يصيح في ذعر:

- مش بس تفهميني إيه اللي حصل ؟

قالت وهي تجري على السلم:

- مش حاتفهم .. وعمرك ما حاتفهم ..

وجرى وراءها صائحا:

- وفية .. وفية !

ووقفت على السلم تنظر إليه بعينين مجنونتين وقالت:

- خلیك عندك .. لو قربت خطوة واحدة بعد كده .. حارمى نفسى من السلم .. حاموت نفسى .. وحياة ماما حاموت نفسى !

قال وهو يكاد ييكي: :

- بس قولی لی رایحة فین ؟

قالت وهي تجري على السلم:

- رايحة عند ماما .. مسافرة مصر ..

...

وفى اليوم التالى دق جرس التليفون فى بيت أمها ، ورفعت وفية سماعة التليفون وسمعت صوت زوجها .. وهمت أن تلقى بالسماعة فى وجهه ولكنها سمعته يقول :

- وفية .. أنا جيت دلوقت من اسكندرية ، وإسماعيل قال لي على كل حاجة ..

وخفق قلبها .. ارتجفت .. هل اعترف له إسماعيل ؟ وقالت في صوت ميهور برجفتها :

- قال لك إيه ؟

قال كأنه يتوسل إليها:

-- قال لى إنك افتكرت إن الجواب الأزرق اللى جالى كان من واحدة ست .. وعلشان كده زعلت .. وأحلفلك يا وفية إن ..

وظلت ممسكة بسماعة التليفون ، وهي تقاوم في بحر من الغيظ والحنق ، ثم صرحت :

-- ابعد عنى .. مش عايزة أسمع صوتك .. مش عايزة أشوفك .. طلقنى .. طلقنى .. طلقنى .. طلقند .. ى .. ى ..

وألقت سماعة التليفون من يدها كأنها تلقى بجمرة نار ..

وجاء زوجها إلى البيت ، ورفضت أن تقابله ..

وجاء فى المساء ومعه إسماعيل ، فرفضت أن تقابلهما .. ورفضت أن ترد على أحدهما فى التليفون ..

إنها تريد الطلاق .. وأمها وأبوها وكل من حولها فى دُهول .. إنها لا تقول أسبابا تكفى للطلاق .. إنها فقط لا تحبه.. لا تحتمله .. لا تطبقه ..

وقررت عائلتها أن تتركها فترة لعلها تهدأ .. ولعل ازمتها تخف .

ومضى أسبوع وهى سجينة غرفتها .. لا تضرج .. ولا تلتقى بأحد إلا بصديقتها عفت .. كانت تبكى .. تبكى كشيرا .. ولم تكن تبكى زوجها .. ولا تبكى إسماعيل .. إنها تكرهه . ولكنها كانت تبكى شيئا تعرفه جيدا .. كانت تبكى حنينها إلى ضعفها .. إنها أشبه بمدمن المخدرات الذى حرم من المخدر .. إنها تتعذب .. وتتألم .. تمر عليها فقرات تكاد تجن

فيها ، وهى تعلم سر عذابها ، تعلم ما تحتاج إليه . ولكنها تقاوم .. وتقاوم .. إلى متى تستطيع أن تقاوم .. إلى متى ؟ إنها أحيانا تحس بأنها على وشك أن تخرج من البيت وتجرى فى الشارع إلى بيت زوجها .. هناك ، حيث تجد الزوج الذى تكرهه ، والعشيق الذى تكرهه ، ونفسها التى تكرهها .. تجد الغيظ ، والندم ، والمهانة ، والضعف ، والدموع التى تنبثق من عينيها قبل أن تستسلم ..

ولكنها تقاوم .. وقد عادت تصلى ، وتسقط دموعها فوق سجادة الصلاة كلما سجدت .. لعل الله يرحمها ، يرحهما من ضعفها ..

واتصلت بها صديقتها عفت في التليفون ، وقالت :

- انتى النهاردة تجيلى .. أنا زرتك ميت مرة ، وأنتى مازرتنيش ولا مرة ، وكمان أنا مش عاجبانى الحبسة الى انتى حابسة نفسك فيها دى ..

وقالت وفية في ضعف:

– حاضر ،،

وقالت عفت:

– حاتیجی أمتی ؟

قالت وهي تزداد ضعفا:

- النهارده بعد الضهر ..

وذهبت إلى صديقتها عفت .. وكانت المرة الأولى التى تخرج فيها من البيت منذ عادت من الإسكندرية ، وكانت ضعيفة باهتة ، كأن دماءها صفراء .. وكانت تسير في هزال كأن الأرض من تحتها حبل رفيع تهتز فوقه ..

واستقبلتها عفت مهللة .. وقادتها إلى الصالون ، وما كادت

تجلس ، حتى دخل إسماعيل ، وما كادت تراه حتى انتفضت واقفة وصاحت كأنها رأت شبحا:

.. ٧ .. ٧ -

وقالت عفت وبين شفتيها ابتسامة طيبة:

- أنا اتفقت مع إسماعيل أنه بيجى يقنعك ترجعى بيتك .. بس ما تبقيش عنيدة .. كفاية بأه ..

وظلت وفية واقفة تتلفت حولها كأنها تبحث عن ثغرة تهرب منها وإسماعيل واقف قبالتها ، وبين شفتيه ابتسامة ثابتة لا تهتز .. واستطردت عفت قائلة :

- أنا حاسيبكم مع بعض .. ومش حارجع إلا لما تقولى لى إنك راجعة بيتك ..

وعادت وفية تصيح:

- لأ .. لأ يا عقت ، ما تسبنيش لوحدى إعملى معروف .. وابتسمت عقت ابتسامتها الطيبة وخرجت وأغلقت الباب وراءها ..

واقترب إسماعيل ..

واقترب أكثر ..

ونظرت في عينيه السود .. بحر من الظلام يتماوج في

وانبشقت الدموع من عينيها قبل أن يلمسها .. وقالت في توسل وضعف:

- حرام عليك يا إسماعيل .. حرام عليك ..

وكانت تعرف أنها ستستسلم ..

•••

وعادت في سيارة إسماعيل ، وجسدها ملقى بجانبه كأنه

ثوب فى حاجة إلى كواء ، ونهران من الدموع قد جفا فوق خديها ..

عادت إلى بيت زوجها ..

ودخلته وهي تبكي ..

تېكى ضعفها ..

ونظر إليها زوجها بعينين ملؤهما الحب وتركها تدخل غرفتها دون أن تحييه ، ثم نظر إلى صديقه نظرة امتنان ، وشد على يده هامسا :

- متشكر با إسماعيل .. متشكر .. أنا مش عارف أشكرك إذاى ..



البنات والصيف



كانت العائلة تسير كالطابور العسكرى في طريقها إلى شاطىء سبورتنج ..

فى المقدمة ، تسير فتحية الضادمة .. فتاة سمراء في الثامنة عشرة ، يرتم الشباب والصحة

في أعطافها .. تحمل فوق رأسها شمسية كبيرة مطوية ، وتعلق في ذراعها اليسرى مقعدين صفيرين من مقاعد الشاطىء ، وتمسك بيدها اليمنى ، يد طفل في الخامسة من عمره .

وخلفها ، تسير الزوجة .. سيدة في الثامنة والثلاثين .. ترتسم الطيبة على وجهها الخالي من المساحيق .. سيمينة ، تكاد تعجز عن حمل جسدها .. وقد ارتدت ثوبا من « البوبلين » يصلح للصباح والمساء ، وللنوم .. وضعت في قدميها حذاء بلا كعب .. وأمسكت بإحدى يديها حقيبة كبيرة تبدو منها « مايوهات » العائلة ، وفوط الاستحمام ، وعلبة كبيرة من الصفيح تفوح منها رائحة الكعك والبكسويت و « المنين » .. وارتكزت بذراعها الأخرى فوق كتفي ابنتها .. فتاة رفيعة هزيلة في الحادية عشرة من عمرها ، تحمل مقعدين آخرين من مقاعد الشاطيء ..

وفى المؤخرة يسير الزوج .. رب العائلة .. الاستاذ محمد محمد فرغل .. في الخامسة والأربعين من عمره .. يرتدى

قميصا أبيض ، وبنطلونا قصيرا يبرز خطوط كرشه الضخم .. ووجهه منتفخ .. كل شيء فيه منتفخ .. جفناه منتفخان ، وأنفه منتفخ ، وشفتاه منتفختان ، ووجنتاه كبالونتين حمراوين من « البالون » الذي يلعب به الأطفال .. وفي يده منشة ، وتحت إبطه جريدة الأهرام .. وعيناه تتبعان ساقي فتحية الخادمة ..

وصاح الأستاذ فرغل وعيناه لا تزالان فوق ساقى فتحية .. صاح كأنه بنهر نفسه :

-- إمشى كويس يا بت يا فتحية .. مالك ماشية زى العامية كده .. حاسبى الشمسية تتخبط في وش حد ..

ولم ترد فتحية ، ولم تلتفت إليه ، إنما جذبت الطفل الصغير من يده جذبة قدوية قاسدية ، وصاحت في همس حدي لا يسمعها أحد:

- ما تمشى كويس يا سى ميمى .. ما تتعبش قلبى ! ووصلت العائلة إلى شارع الكورنيش ، وصاح الأستاذ فرغل كأنه يصدر أمرا عسكريا :

- استنوا شوية!

واصطف أفراد العائلة على حافة الرصيف ، الواحد بجانب الآخر ، وعيونهم تلهث وراء السيارات الغادية والرائحة في جنون ! وقد كتموا أنفاسهم كانهم مقبلون على مجازفة كبرى .. وأدار الاستاذ فرغل رأسه يمينا ويسارا ، وفي عينيه نظرات ساخطة كأنه يلعن كل سيارة ثمر به .. ثم أمسك بذراع زوجته، وصرخ فجأة كأنه يلقى أمرا للجيش الصغير بالهجوم : – عدوا ..

وجرى أفراد العائلة في إرتباك يعبرون الشارع ، والاستاذ فرغل لا يزال يصيح : - آجرى يا بت يا فتحية .. أمسكى ايد الواد كويس .. مدى شوية يا زهيرة .. حاسبى على الشنطة اللي في إيدك ..

ووصل أفراد العائلة سالمين إلى الرصيف المقابل .. وتبادلوا الابتسامات كأنهم يهنئون بعضهم البعض .. والتفت الطفل الصغير إلى الشارع الذي عبره في تطلع وخوف كأنه يبحث عن آثار أقدامه ليستدل بها عندما يعبر الشارع مرة أخرى .. ثم اتجه الجميع إلى السلم الذي يؤدي إلى رمال الشاطيء ، ولا يزال كل منهم يهنيء نفسه في أعماقه بالسلامة ..

ورفعت فتحية الشمسية الكبيرة من فوق رأسها والقت بها على الرمل كأنها تتخلص من شيء يكتم أنفاسها .. ثم نزعت عن ذراعها المقعدين اللذين كانت تحملهما ، ثم شدت جسدها ، وصوبت نهديها إلى الأمام كأنها تسترد شبابها .. ثم علت شفتيها ابتسامة صغيرة ، وانحنت تلتقط عامود الشمسية ، وهمت أن تغرزه في الرمل ، فصاح الاستاذ فرغل :

- مش هنا .. قدام شوية .

واختفت ابتسامة فتحية ، ورفعت إليه عينين تضجان بالغيظ ، وقالت :

- ما هو هنا كويس يا سيدى ..
 - وصاح الاستاذ فرغل:
- اسمعى الكلام يا بت .. باقول لك قدام شوية ..

وتقلص وجه فتحية كأن ريحا كريهة هبت عليها ، وعادت تنحنى على الأرض وترفع الشمسية والقعدين .. وسارت بضع خطوات ، ثم التفتت إلى الأستاذ فرغل وقالت في حقد يكاد يكون صراخا :

-- فين ؟!

وتقدم الاستاذ فرغل بضع خطوات ، ثم أشار بقدمه إلى مكان من الرمل ، وقال وهو يهز المنشة في الهواء :

- هنا بس تبتيها كويس ..

وأسقطت فتحية الشمسية على الأرض كأنها تسقطها فوق رأس فرغل ، ثم ألقت بالمقعدين ، وتعمدت أن يسقط أحدهما فوق قدمه .. فسحب الأستاذ فرغل قدمه بسرعة ، وصرخ في وجهها :

- ما تفتّحی یا بت .. ولا عمیتی خلاص .. داهیة تاخدك و تاخد امثالك ..

وقالت فتحية وهى تلتقط عامود الشمسية وتبتسم في سرها:

- معلهش یا سیدی .. غصب عنی ..

ثم أخذت تعرز عامود الشمسية في الرمل ، وبقية أفراد العائلة ملتفون حولها دون أن يحاول أحد منهم مساعدتها .. ثم ثبتت الشمسية في العامود ، وفتحتها ، ووضعت تحتها المقاعد الصغيرة ..

وجلست زهيرة وقد وضعت حقيبتها الكبيرة بين قدميها ، وعرضت وجهها لهواء البحر ، وابتسامت ابتسامة كبيرة سانجة كأنها اسعد امرأة في العالم .. وجلس بجانبها الأستاذ فرغل بعد أن ضرب ساقي فتحية بلمحة سريعة من عينيه المنتفختين .. وجلست سميرة بجانب أمها .. وأخذ الطفل الصغير يلعب بالرمل .. ووقفت فتحية تصلح من وضع المنديل فوق راسها وتساوى خصلات شعرها ، وتتمايل بقوامها المسوق مع الهواء ، ثم جلست على الرمل وطوت ساقيها تحتها ، وأخذت تتلفت حولها ، وتنظر إلى بعيد كانها تبحث عن

شىء .. ثم ركزت عينيها فوق خيال منتصب فى آخر الشاطىء كعامود من الدخان ، وابتسمت ابتسامة صغيرة كأن قلبها ارتجف وقذف برجفته إلى شفتيها ..

وأسقط الاستاذ فرغل عينيه فوق وجه فتحية .. وشرب بهما من بشرتها السمراء ، ومن عينيها المشروطتين ، ومن وجنتيها اللتين تضجان بالصحة والشباب ، ثم انزلق بعينيه إلى عنقها ، ثم إلى نهديها .. ثم أفاق إلى نفسه ، وأدار عينيه عن فتحية وقد اكتسى وجهه بخطوط اليأس والسخط .. وأخذ ينظر إلى مواكب المصيفين التي تمر أمامه .. إلى البنات .. عشرات من السيقان العارية .. والظهور العارية .. والصدور العارية .. وأبتلع ريقه ، وبلل لسانه بشفتيه .. إنه يحس بشىء يتلوى في صدره .. يحس بأن خلف ضلوعه سجينا يصرخ ويحاول أن يحطم القضبان .. يحطم ضلوعه .. وينطلق .. ينطلق وراء العرايا .. يقبل كل ساق ، ويقبض على كل نهد ، ويذوب في الأجساد ..

إنه لم يعد يحتمل .. وإذا كان يستطيع أن يحتمل كل هؤلاء العرايا ، فهو لا يستطيع أن يحتمل فتحية .. إنها معه في البيت ، تتمايل أمامه كبندول الساعة ، وتدق الثواني على أعصابه دقات منتظمة .. رتبية .. تبعث الجنون في رأسه ..

والتفت إلى زوجت .. إلى جسدها المترهل ولحمها الساقط من فوق ذراعيها ، ثم اجتاحت نفسه موجة من الاشفاق والقرف .. الشفقة على نفسه ، والقرف من نفسه ..

وقالت سميرة وهي تكاد تهمس:

- أقوم أتمشى شوية يا ماما ؟

وسمع الأستاذ فرغل همسة ابنته فصاح في حدة :

- تتمشى تروحى فين ؟

وقالت سميرة وعيناها مذعورتان:

- أتمشى على البحريا بابا ..

وقال فرغل وهو لا يزال محتدا:

-- ما البحر قدامك أهو .. هو البحر اللي في الناحية التانية ، غير البحر اللي هنا ..

وقالت زهيرة وهي تصد غضب زوجها بابتسامتها الطيبة:

- ما أنت قاعدة يا سميرة .. وبلا تعب رجلين .. وآدى انتى بتتمشى على الكورنيش بعد الضهر ..

وانطوت سميرة صامتة ..

ومضت فترة ، وقد عادت عينا الأستاذ فرغل تتبعان العرايا ، وتسقطان على وجه فتحية ..

وشدت زهيرة العلبة الصفيح من صقيبتها ، وبدأت تفتحها .. وقالت وهي تحاول إغراء زوجها :

-- تاخد شوية منين يا محمد ..

وامتعض وجه الاستاذ فرغل ، وقال في قرف:

با شیخة ، هوه آحنا لحقنا نهضم الفطار ...

وقالت زهيرة وهي تمد يدها إليه بقطع المنين:

- هوه هوا البحر بيخلى حاجة .. خد دول من إيدى ، ما تكسفنش !

ومد الاستاذ فرغل يده ، وأخذ قطع المنين ، وألقى واحدة منها فى فمه ، دون أن يبدو عليه أنه يذوق لها طعما .. إنه لم يعد له من حياته سوى أن يأكل .. يأكل الافطار .. ويأكل بعد الافطار .. ويأكل بعد الافطار .. ويأكل العشاء .. ويأكل بعد العشاء .. ويأكل بعد العشاء .. ويأكل بعد العشاء .. إن طريق المتعة الوحيدة في

حياته أصبح الطريق إلى معدته .. وقد سئم هذه المتعة .. حتى زوجته أصبحت وجبة منتظمة من الطعام يقبل عليها بلا نفس .. اصبحت كالعيش البايت ، يأكله لأنه لا يستطيع أن يلقى به في صفيحة الزبالة .

وأعطت زهيرة قطعة من الكعك لكل من ابنتها وابنها الصغير .. ثم مدت يدها بكعكة كاملة لفتحية وهى تبتسم لها ابتسامتها الطيبة .. وأخذتها فتحية في لهفة ، واحتفظت بها في يدها .. وصاح الاستاذ فرغل وهو ينظر إلى فتحية :

ما تاكلى يا بت ..

وقالت فتحية في خوف:

- معلهش یا سیدی .. حاکلها کمان شویة .. اصلی مالیش نفس ..

وصرخ فرغل:

- مالكيش نفس للكعك .. أمال لك نفس لايه .. للقبل .. للطين .. للزفت ..

وسكتت فتحية ..

وقالت زهيرة وهي تحاول مرة أخرى أن تهدىء ثائرة روجها:

- قومى يا فتحية لبسى ميمى المايوه ، وانزلى بيه البحر .. والتمع وجه فتحية فرحا .. وقفرت واقفة فى نشاط ، واخذت « المايوه » من يد سيدتها ، ثم احتضنت الولد الصغير وضمته إلى صدرها فى حنان ، وأخذت تخلع عنه ثيابه فى رقة ورفق ، ثم البسته المايوه .. وأخذته فى يدها متجهة إلى البحر ، كأنها تسير مع حبيبها ..

وصل فرغل وراءها:

- ما تروحیش بعید .. خلیکی قدام عنینا ..
- وقالت في صوت روتيني دون أن تلتفت إليه:
 - حاضر ..
 - وصاحت زهيرة:
 - أوعى تسييى الواد من إيديك ..
 - وقالت في نفس الصوت الروتيني:
 - حاضر ..
- وظل فرغل يتبع فتحية ويمسح ظهرها بعينيه ، ثم التفت إلى زوجته فجأة وقال :
- البت دى ما بقتش تنفع خلاص .. بقت ممرقعة ولعبية ومش ناوية تجييها البر ..
 - ونظرت إليه زهيرة نظرة مسكينة ، وقالت في توسل:
- والنبى ابدا يا خويا .. دى بت شاطره وزى اللهلوبة .. أنا عمرى ما استريحت فى واحدة زى ما استريحت فى البت دى.. وقال فرغل وهو بضرب الهواء بمنشته :
- انتى اللى قلبك طيب .. أنا مـتأكـد أنها حرامـية كـمان .. بتسرق الأكل .. مش شايفاها بتتخن إزاى .. تلاقيها بتاكل أكل العيال ..
 - وقالت زهيرة:
- حقه كله إلا أمانتها .. ده أنا باسيب لها الدواليب كلها مفتحة ، وعمر ما إيديها اتمدت على حاجة .. والنبى دى بنت لقطة .
 - وقال فرغل وهو يدير وجهه إلى الناحية الأخرى:
 - أنا مش مستريح لها .. وبكره حاتشوفي .
 - وقالت زهيرة:

- هوه حد لاقى خدامين اليومين دول يا محمد .. ده أنا باحسد نفسى عليها ..

ورفع فرغل عينيه المنتفختين ، وأخذ يبحث بهما عن فتحية..

...

ورفعت فتحية ثوبها وضمته في يدها التي لا تزال ممسكة بالكعكة ، ثم خاضت بساقيها العاريتين في مياه البحر ، وفي يدها الأخرى الطفل الصغير .. ثم رفعت رأسها ونظرت ناحية شمسية العائلة ، وخيل إليها أن أحدا لا يرقبها .. فجذبت الطفل وسارت به عدة خطوات إلى الناحية الأخرى من الشمسية ، ثم أخذت تبحث بعينيها عن شيء .. عن وجه بين وجوه الناس .

وفجأة ارتفع من خلفها صوت قوى:

- صباح الخير يا فتحية ..

وأحست كنان الصوت ينبعث من داخلها .. ثم يرتفع حتى يستقر خلف أذنيها .. وارتبكت .. واهتزت ساقاها العاريتان وسط الماء .. وطاطأت رأسها ، ثم قالت مخاطبة الطفل :

- أقعد كده في الميه يا سي ميمي .. أيوه كده!

ثم رفعت رأسها في بطء ، واستدارت قائلة :

- صباح الخير يا سي حسنين ..

ووقفت قبالته وعيناها ترتعشان فوق وجهه .. وخيل إليها أنه طويل .. طويل جدا .. وأسمر جدا .. وسرواله الأسود ، وفائلته الزرقاء ، والقبعة البيضاء المصنوعة من القماش التي يضعها فوق رأسه .. إنه حلم .. إنه قوى .. إنه موظف حكومة .. إنه عامل الإنقاذ .. وأحست كأنها تهم أن ترتمى فوق صدره

، وتصيح : « والنبى تنقذنى يا سى حسنين » ..

- يعني ما حدش شافك إمبارح يا فتحية ..

وقالت وعيناها لا تزالان ترتعشان:

- والنبى ما قدرتش يا سى حسنين .. أصل الأفندى بتاعنا لما بيقعد في البيت بيكتم نفس كل اللي فيه ..

وقال حسنين وهو يمط شفتيه كأنه يهم بأن يبصق على الأرض:

- ده باین علیه أفندی كشر ومعقد .. یعنی ما لقیتش إلا الناس دول اللی تشتغلی عندهم .. هم بیدوكی كام ؟ قالت و كانها تهیه كل ما تملك :

ميتين وخمسين قرش .. إنما الست طيبة قوى !

وقال حسنين في قرف:

- میتین وخمسین قرش بس .. حد الیومین دول یستغل بمیتین وخمسین .. تعالی وانا اودیکی عند ناس یدوکی اربعة جنیه ..

وقالت فتحية وهي ترخى عينيها:

- زى ما أنت عاوز يا سى حسنين .. إنما والنبى الست لتاعتنا طبية قوى ..

وقال حسنين في كبرياء أشبه بالقسوة:

- وحانشوفك النهاردة بعد الضهر، ولا إيه؟

قالت كأنها تتباهى بذكائها:

- ايوه .. بإذن الله .. اصلى النهاردة حانزل أجيب المكوا من عند المكوجي ، وحابقي أقوت عليك ..

وقال حسنين :

- طيب .. لما نشوف ..

وسكتت فتحية برهة ، ثم مدت يدها بالكعكة التى احتفظت بها ، وقالت في حياء :

- خد دى منى والنبى يا سى حسنين .. ده أنا اللي عاملاها بايدى ..

وأخذ حسنين الكعكة في يده وقلبها بين يده ، ثم قربها من أنفه وشمها ، وقال وهو يبتسم ابتسامة صغيرة :

- حلوة من إيدك يا فتحية .. متشكرين ..

ووضع الكعكة بين أسنانه القوية ، وقضمها .. ثم أدار ظهره لها وسار فى خطوات منتظمة كأنه يسير على دقات قلبها .. وأخذت تتبعه بعينين مبهورتين ، كأنما تتبع حلما يطل عليها من طاقة السماء فى ليلة القدر .. ثم تنهدت واستدارت والتقطت يد الطفل قائلة :

- كفاية بأه يا سى ميمى .. ياللا .. أحسن بابا زمانه بيزعق !

وشدت الطفل من يده وعادت إلى الشمسية ، واستقبلها الاستاذ فرغل صارحًا :

- كنتى بتتمرقعى مع الغطاس بتقولى إيه ؟

قالت:

- أبدا والنبى يا سيدى .. ده كان بيوصينى على سى ميمى .. وبيقول لى آخد بالى منه .. كل الغطاسين كده .. بياخدوا بالهم من العيال ..

وعاد الأستاذ فرغل يصرح:

- بياخدوا بالهم من العيال ، ولا من خدامات العيال .. الله يقطعهم ويقطعكم .. تانى مرة الشوفك بتتمرقعى حا اقطم رقبتك .. فاهمة !

وقالت زهيرة وهي تفرد فوطة الاستحمام:

- خدى نشفى ميمى قبل ما يبرد ..

وشدت فتحية الفوطة من يد سيدتها في عنف، وأخذت تنشف الماء من فوق جسد الولد الصغير، ثم بدأت تلبسه ثيابه!

وصاح الأستاذ فرغل:

- يا للا بينا .. كفاية كده!

وجمعت العائلة حوائجها ، وطوت فتحية الشمسية وحملتها فوق رأسها ، وعلقت المقعدين في ذراعها ، وأمسكت بيدها الآخرى يد الطفل الصغير ..

- وسارت العائلة قَى طابور عسكرى .. والاستاذ فرغل في المؤخرة ، وعيناه ساقطتان فوق ساقى فتحية .

...

وقى الساعة الرابعة بعد الظهر كانت فتحية جالسة فى المطبخ ، وأذناها مصوبتان إلى حجرة النوم حيث تجلس سيدتها .. إنها تنتظر أن تسمع نداءها ، لتأمرها بأن تذهب إلى الكوجى وتعود بقمصان الأستاذ فرغل ..

ومضت ربع ساعة .. ونصف ساعة .. وسيدتها لا تناديها ، وهي لا تريد أن تنبه سيدتها إلى ضرورة ذهابها إلى المكوجى ، حتى لا تثير شكوكها .. ولكنها لم تعد تستطيع الصبر .. يجب أن تخرج من البيت حالا .. إن حسنين في انتظارها ..

وقامت تتسلل على أطراف أصابعها .. واتجهت إلى غرفة النوم ، وأطلت فيها .. إن الاستاذ فرغل نائم وسيدتها جالسة على الأريكة ترتق في جورب ..

وأشارت لسيدتها بيدها ، وهي تقول في همس :

-- سـتى .. سـتى .. تسـمـحى في كلمـة .. ونظرت إليـهـا

سيدتها ، وهمست حتى لا توقظ زوجها :

- عايزة إيه يا بت ..
 - وهمست فتحية:
- -- كلمة واحدة بس ..

وقامت زهيرة في تثاقل ، كأنها صنعت في عروقها « ونشا » يرفع جسدها الثقيل ، واقتربت من فتحية وهي تهمس:

- عايزة إيه ..

وقالت فتحية:

مش أروح أجيب قمصان سيدى ، قبل ما يقوم من النوم
 ويزعق لنا .. ده ما بقاش عنده ولا قميص ..

وقالت زهيرة في فرحة كأنها تذكرت شيئا هاما:

- آه والنبى ، فكرتينى .. أخط فى رجلك روحى للمكوجى ، وافضلى واقفة على أيده لغاية ما يخلص القمصان .. بس ما تتأخريش .. أحسن لو صحى الأستاذ وما لقاش القمصان حايهب عيشتنا كلنا ..

وانطلقت الفرحة على وجه فتحية .. وعادت إلى المطبخ ، وخلعت ثوبها وارتدت الشوب الوحيد الآخر .. ثوب آزرق فيه ورود بيضاء .. ووضعت في قدميها الحذاء الوحيد الذي تملكه .. حذاء قديم أسود ، ذو كعب مرتفع نصف ارتفاع .. وقد انثنت أطرافه من كثرة اهتزازها فوقه كلما سارت به .. ثم دخلت الحمام ووقفت أمام المرآة المشروخة المعلقة فوق الحوض ، وأخذت تساوى شعرها ، وتقرص وجنتيها حتى تزدادا إحمرارا .. ثم وضعت المنديل « أبو أويه » فوق رأسها ، دون أن تربطه ..

ونزلت .. وقبل أن تخرج من باب العمارة ، رفعت المنديل

عن رأسها ، وكورته فى يدها .. وسارت فى الشارع مكشوفة الرأس .. واتجهت إلى المكوجى ، وجسدها الناضج يهتز فوق حذائها البالى ذى الكعب العالى .

ووقفت أمام دكان المكوجي ، وقالت في دلال:

- العواف يا أسطى إبراهيم ..

ولعبت حواجب الأسطى إبراهيم فوق عينيه ، وقال :

- يا ميت فل على شربات الخروب .. يا أسمر يا أسمراني.. يا طعم ..

وقالت وهي تشيح بوجهها كأنها ترفض غزله:

خلصت القمصان بترعنا ؟

وقال الأسطى إبراهيم بلهجته الاسكندرانية وهو يلقى المكواة من يده:

- ده انتى اللى خلصتىنى .. ما يللا بأه يا جميل .. نجىيبو المأذون ؟!

وقالت فتحية وهي تنثني:

- والنبى بلاش كلام من ده يا أسطى إبراهيم .. قول لى .. خلصت المكول!

وعاد إبراهيم يقول:

- آه منك يا كاويني .. تخلص علشان العيون السود! وقالت فتحدة:

-- طیب حافوت علیك بعد عشر دقایق .. بس تكون خلصت .. أحسن البیه بتاعنا مستعجل قوی ..

وقال إبراهيم في يأس:

- ما تخليكي واقفة علشان المكوة تسخن قوام ..

قالت:

- لا والنبى .. أصل لسه ورايا مشوار ..
 - وقال إبراهيم:
- امتى بأه حا أبقى مشوار من مشاويرك ..

وابتعدت فتحية وهى تبتسم ، وأطل وراءها الأسطى إبراهيم من باب دكانه .. وسارت إلى شارع الكورنيش .. إنها تحس أنها سيدة .. إنها حرة .. تحس أنها مهمة .. الأسطى إبراهيم يغازلها .. وبائع اللب يبحلق فيها .. وعسكرى البوليس يبرم لها شواربه .. إنها ملكة في هذا العالم .. عالم ليس فيه اسياد ..

وخفت قلبها وهى تقترب من السلم المؤدى إلى الشاطىء ، ونزلته فى خفة وحياء ، كأنها عروس تزف إلى عريسها .. ثم رفعت عينيها تبحث عنها .. عن حلمها .. إنه واقف بعيد بجوار قارب النجاه ، منتصبا كعمود الدخان ..

واقتربت من القارب ، ولفت حوله ثم واجهت حسنين وقلبها يضرب في صدرها ويقذف الدماء إلى وجنتيها ، ثم قالت في صوت خفيض :

- مسا الخير يا سي حسنين ..

والتفت حسنين إليها ، وارتفعت ابتسامة صغيرة إلى شفتيه ، وقال في صوت قوى :

- مسا النور يا فتحية .. ده أنا كنت خايف ما تجيش ..
- ثم مد يده والتقط يدها .. ونظرت إليه تقبله بعينيها ،
 - وقالت :
 - به والنبى لو كان على قطع رقبتى ، برضه كنت جيت ..
 وقال حسنبن وهو ينظر إليها في حنان :
 - سلامة رقبتك .. أقعدى يا فتحية!

وجلست فتحية ؛ وطوت ساقيها تحت قدميها ، واستندت إلى جدار قارب النجاة .. وجلس بجانبها حسنين .. وأخذ كلاهما يعبث بأصابعه في الرمل ..

ومرت بينهما فترة صمت .. ثم قالت فتحية :

- وإزاى الحال يا سى حسنين ..

وقال حسنين وهو لا ينظر إليها:

- زى ما هو يا فتحية .. يعنى حيكون حالى إيه .. تلاتة جنيه فى الشهر ، وبعد شهرين ينتهى الموسم والبلدية تستغنى عنا ، وأيقى خالى شغل .. ييقى ده حال ده ..

وقالت فتحية وهي تحيطه بأنفاسها كأنها تحميه من حاله:

- بكره تلاقى شغل يا خويا .. ده انت تشتغل أحسن شغلانة !

وقال في يأس:

- يعنى حاتشغلينى عندك يا فتحية .. انتى ما تعرفيش حال الدنيا إيه .. الدنيا وحشة يا فتحية .. لو كان الواحد يقدر يتلم على عشرة جنيه بس ، كنت فتحت دكان سجاير ، وجبت صندوق كوكاكولا .. وكسبت تلاتين قرش فى اليوم .. وكنت قدرت أتجوز ويبقى لى بيت .. إنما لو قعدت أحوش عشر سنين مش حاقدر أحوش عشرة جنيه ..

وقالت فتحية وهي تمصمص شفتيها في إشفاق وتضع يدها تحت ذقنها:

- بكره تلاقيهم يا حسنين .. وتتجوز!

وقال حسنين :

واللى حاتجوزها حاتقدر تستنى لما الاقى العشرة جنيه ..
 وقالت فتحية فورا :

- تستناك يا حسنين .. تستناك طول العمر!

وابتسم حسنين ابتسامة ساخرة ، وقال وهو يهز كتفيه :

– أهو كلام ..

وقالت فتحية وهي تنكس رأسها:

- والنبي تستناك ..

ولم يجب حسنين .. سادت بينهما فترة صمت .. وسرح عقل فتحية .. إنها ليست المرة الأولى التى تسمع فيها حسنين يشكو حاله .. وليست المرة الأولى التى يطلعها على مشروعه .. مشروعه الذي يحتاج إلى عشرة جنيهات .. وبعدها يتزوج ..

واخذ عقل فتحية يدور باحثا عن عشرة جنيهات تعطيها لحسنين ، لينفذ مشروعه ويتزوجها .. هل تبيع جسدها بالثمن حتى تجمع من ورائه عشرة جنيهات .. إنها تعرف بنات كثيرات منثلها يشتغلن خادمات ويبعن أجسادهن .. بل إن لها صديقة تلع عليها بأن تصحبها في سوق الأجساد .. ولكن .. هل يرضى حسنين أن يتزوجها بعد أن تبيع جسدها من أجله .. لا .. لا ، قطعا ..

ودار عقلها يبحث عن وسيلة أخرى لتحصل على العشرة جنيهات .. ثم استقر .. كما استقر من قبل ـ على الساعة الذهبية الكبيرة ذات السلسلة العريضة التى يملكها الأستاذ فرغل .. وحاولت أن تطرد شبح هذه الساعة من ذهنها .. إنها لا تريد أن تكون لصة .. إنها لن تسرق .. ولكن شبح الساعة لا يزال في ذهنها .. إنها تراها كأنها في يدها .. وتراها معلقة في صدر الاستاذ فرغل .. وتراها وهو يضعها تحت وسادته عندما ينام .. وتراها وهو يضعها قي درج الدولاب ويغلق عليها بالمفتاح قبل أن ينزل إلى الشاطيء.. و .. و .. و لكن ، لا ..

ٍ لا .. إنها لن تكون لصة .. إنها لن تسرق ..

وسمعت حسنين يقول لها ونبرات اليأس في صوته:

 اللى زينا محكوم عليه يعيش عازب .. يفضل طول عمره لوحده .. ينام لوحده ، ويشقى لوحده ..

وقالت في حب:

- ماتقولش كده يا حسنين ، بكره تتجوز ..

وقال كأنه يضايق من غبائها:

- نتجوز إزاى بس يا فتحية .. التلاتة جنيه حيه علوا لنا إيه.. وياريتهم تلاتة جنيه ، إلا بيفوت علينا تمان أشهر من غير شغل ..

وتنبهت فتحية إلى أنه قال « نتجوز » .. إنها المرة الأولى التى يصارحها فيها بأنه يعنيها هى بالذات بالزواج .. وعاد شبح الساعة الذهبية التى يملكها الاستاذ فرغل يهتز أمام عينيها ..

وقالت وهي ساهمة:

- ربنا معانا يا حسنين .. خللي عندك ثقة بالله ..

وقال حسنين وهو يجمع بيده حفنة من الرمل:

ربنا ناسى الفقرا اليومين دول ..
 قالت كأنها خافت الله :

- ماتقولش كده .. استغفر الله ..

ماحونس عده ۱۱ استعمر الد

- قال متهكما :

- وانتم حاتنزلوا من المصيف امتى!

قالت :

آخر الشهر ..

قال وهو لا يزال يتهكم:

- كل سنة وانتى طيبة .. نشوفك السنة الجاية بخير ..
 - قالت وهي تميل عليه كأنها ستسقط فوق أحضانه:
 - ما تخلیش عندك فكر .. رینا معانا ..
 - ثم قامت واقفة وهي تقول:
- أما أقوم بأه .. زمان الأستاذ صحى من النوم .. خليتك
 بعافية يا سى حسنين ..
 - وقال حسنين وهو يقوم معها:
 - جته البلا أستاذ ..
 - ثم نظر إليها وأمسك بيدها ، وقال وهو يضغط عليها :
 - نفسى يا فتحية .. نفسى موت ..
 - وقالت فتحية ووجهها يحتقن حياء:
 - وأنا كمان والنبي يا سي حسنين ..
- ثم جذبت يدها من يده ، وجسرت في دلال .. بعيدا عنه .. ثم سارت في شارع الكورنيش متجهة إلى دكان المكوجي ، وشبح الساعة الذهبية يهتز أمام عينيها ..
- ومد الأسطى إبراهيم يده بالقمصان المكوية إلى فتصية ، وحاجباه يلعبان فوق عينيه كأنه يتكلم بهما .. وقال :
- علشان خاطرك بس يا جميل .. الدور الجاى لما تيجى حتلاقيه هنا ..
 - وقالت فتحية:
 - إيه هوه ده!
 - وقال الأسطى إبراهيم وضحكة كبيرة تملأ فمه:
 - -- إحنا مش خلاص اتفقنا ..
 - وأطلق قهقهة ضخمة يودع بها فتحية ..
- وسارت فتحية تحمل القمصان بين يديها .. وعاد شبح

الساعة الذهبية يهتز أمام عينيها ..

ودخلت العمارة ، وتمهلت قليلا إلى أن وضعت المنديل فوق رأسها ، ثم صعدت إلى الشقة ..

واستقبلها الأستاذ فرغل صارحًا:

- كنت فين يا بت ..

وأحست أنها انتقلت من عالم الأصرار إلى عالم العبيد، وقالت وهي لا تأبه بصراخ سيدها:

- ستى بعتتنى أجيب القمصان من عند المكوجي ..

وقال وهو لا يزال يصرخ:

- كل ده عند المكوجى .. ولا كنتى بتتمرقعى مع الرجالة .. بنات فاسدانين .. قليلات الحيا .. بايظين ..

ووضعت فتحية القمصان فوق السرير .. ثم خرجت من الغرفة دون أن ترد عليه .. وقبل أن تضرج لمحت الساعة الذهبية موضوعة بجانب السرير ، وأحست بقلبها يسقط في معدتها ..

والتفت الأستاذ فرغل إلى زوجته وقال وهو يحاول أن يخفض من صوته:

- أنا مش مستريح للبت دى .. متهيألى أقوم أنزلها مصر دلوقت حالا ..

وقالت زهيرة وهي تبتسم لزوجها في توسل:

- ما تزعلش نفسك يا اخويا .. أهو نستحملها لغاية الصيف ما يخلص .. بدل ما نلوص ونفضل ندور على واحدة غيرها ..

•••

وخرجت العائلة في الساعة السابعة مساء .. وفتحية تسير في المقدمة ممسكة بيدها يد الطفل الصغير .. وشبح الساعة

الذهبية لا يزال يهتز أمام عينيها .. إن الساعة الآن في جيب بنطلون الأستاذ فرغل .. في الجيب الصغير .. وسلسلتها الذهبية العريضة ترسم نصف دائرة حول كرشه ..

وجلست العائلة فوق سور الكورنيش .. الواحد بجانب الآخر .. وفتحية واقفة في آخر الصف ، بجانب الولد الصغير.. ونادى الاستاذ فرغل على بائع اللب ، واشترى منه ثلاثة قراطيس ، وزعها على أفراد العائلة كل بحسب عمره .. وصرخ في فتحية وهو يناولها نصيبها :

- خدى بالك أوعى سيدك ميمى ياكل القشر ..

وقالت فتحية :

- حاضر ..

وبدأت أسنان العائلة تقرقز اللب في حركة منتظمة ، وتبصق القشر كأن أفواههم مترليوزات في أيدى جنود مدربين على حسن النظام .. والأستاذ فرغل يتبع سيقان النساء .. ثم تنحرف عيناه فتسقطان فوق ساقى فتحية ، فيصرخ كأن ساقيها تنغرزان في عينيه :

- آقفى كويس يا بت .. بلاش مرقعة .. جاتك البلا .. وفرغت العائلة من قرفزة اللب ..

وانتظر الاستاذ فرغل قليلا ، ثم هب واقفا واتجه إلى بائع الاذرة المشوية ، الذي يجلس على الأرض يشوى الأذرة على موقد الفحم .. ووقف امامه ينتقى كيزان الأذرة باهتمام بالغ .. كأنه ينتقى حبات من الماس .. ثم وقف يراقب عملية الشواء باهتمام أكثر .. ثم عاد إلى العائلة يحمل الكيزان المشوية بين يديه .. ووجهه صامت .. لا تبدو عليه فرحة ، ولا حزن .. إنه يعيش في روتين كل يوم .. يأكل .. ثم يأكل .. وقد انتهى دور

اللب ، وسينتهى دور الأذرة المشوية .. وبعد ذلك يأتى دور سندويتشات الفول .. ثم ينام ..

وقضم الأستاذ فرغل حبات الأذرة بأسنانه ، وأخذ يمضغ فيها ، كأن في فحمه آلة طحين .. لا تحس لما تطحنه طعما ولا تتحمس لما تطحنه ..

ومر بائع السميط والجبن ، وأشار الطفل بيده ، قائلا :

- عايڻ من ده !

ونقلت فتحية الرسالة إلى الأستاذ فرغل ، قائلة :

– سی میمی عایز سمیط ..

وقال الأستاذ فرغل:

- لا .. بلاش وجع بطن!

وقالت زهيرة :

يا اخويا هات له سميطة من نفسه .. خليه يسمن شوية !
 وقال الأستاذ فرغل :

- يا ستى السميط يوجع بطنه ..

قالت زهيرة :

- يعنى السميط مش زي ساندويتش الفول .. ده أنا ما صدقت إن نفسه انفتحت على حاجة ..

وزفر الأستاذ فرغل ، ثم دب يده في جيبه ، واشترى السميطة .. ثم ..

اكلت العائلة سندويتشات الفول .. وعادت إلى البيت .. وتتبعت عينا فتحية الأستاذ فرغل وهو ينزع الساعة الذهبية من جيب بنطلونه ، ويضعها بجانب السرير .. ثم دخلت إلى المطبخ ، وخلعت ثوب الخروج .. وارتدت الشوب الذي تعمل به .. ثم فرشت لحافا قديما فوق بلاط المطبخ ، ونامت .. والساعة

الذهبية لا تزال تهتز أمام عينيها .. ووجه حسنين ..

وساد الهدوء في الشقة الصغيرة ..

الكل نيام .. ما عدا الأستاذ فرغل ..

إنه جالس فى الشرفة مرتديا جلبابه .. وعشرات من السيقان التى رآها على الشاطىء تملأ خياله .. ثم تنحسر كل هذه السيقان من خياله ، ولا تبقى إلا ساقا فتحية .. إنها قريبة منه .. قريبة جدا .. إن هذه الشقة الصغيرة تكاد تلصقها به .. إنه يكاد يشعر بأنفاسها وهى نائمة فى المطبخ .. إن أنفاسها تهب على وجهه وتحرق أعصابه .. أنفاس شابة .. فيها رائحة زكية .. أنفاس ساخنة ، فيها سخونة الشباب ، ودفئه .. ولذته ..

ونظرت وهو جالس فى الشرفة إلى زوجته المكومة فوق الفراش كجبل من اللحم .. وتقززت نفسه .. أحس بالشفقة على نفسه .. إنها « كالعيش البايت » ومحكوم عليه أن يأكل هذا العيش البايت طول عمره ..

وادار رأسه .. وعادت سيقان فتحية تهتز في خياله .. بشرتها السمراء الساخنة .. وعيناها المشروطتان .. وشفتاها المكتنزتان .. ووجنتاها اللتان تضجان بالصحة .. إنها أكلة شهية .. أكلة لذبذة ..

وهب واقفا ، وخرج من الشرفة ، واجتاز الغرفة ، وقبل أن يخرج منها ، سمع زوجته تقول :

-- رايح فين يا محمد .. ما تيجى تنام بأه!

وقال وصوته يرتعش:

– رايح أشرب ..

ثم خرج من الغرفة .. وسار على أطراف أصابعه .. لا يدرى

لماذا .. ولكنه وجد نفسه يسير على أطراف أصابعه .. وفتح باب المطبخ .. وحاول ألا ينظر حوله .. إنه يعلم أن فتحية راقدة على الأرض .. ولكنه لن ينظر إليها .. وأمسك بالكوب ، وفتح صنبور الشلاجة .. وامتلأ الكوب .. وأغلق الصنبور .. وحاول أن يرفع الكوب إلى شفتيه .. ولكنه لم يفعل .. ظل ممسكا بالكوب في يده .. ثم أدار عينيه .. إليها ..

ورآها ..

راقدة على الأرض وسط بلاط المطبخ .. كالفرخة المحمرة مقدمة في طبق من الصيني .. وعيناها مسبلتان في هدوء واستسلام .. وقد انكشف عنها الثوب حتى أعلى ساقيها ..

واهتز الكوب في يده ..

وأدار الأستاذ فرغل رأسه وقد احتقن وجهه حتى أصبح في لون الجزرة .. الكوب لا يزال يرتعش في يده ..

إنه لا يستطيع .. لا يستطيع !

ورفع الكوب بيده المرتعشة وشرب ، كأنه يسكب الماء فوق نار تندلع فى جوفه .. وعيناه زائفتان كأنه يشاهد أمامه حريقا .. ثم وضع الكوب فوق الشلاجة، وهو يتمتم : « اللهم اخزيك يا شيطان » .. وشىء فى نفسه يتمنى الا يخزى الله الشيطان .. شىء فى نفسه يتمنى أن ينتصر الشيطان .

وحاول أن ينظر إليها مرة أخرى ..

ولكن ، لا .. عيب ..

وشد ساقيه كأنه ينزعهما وسط عاصفة تهب حوله .. وخرج من الطبخ وهو يلهث ، وصدره يتهدج .. وعاد إلى غرفته .. وزوجته نائمة فوق السرير كجبل من اللحم .. وانفاسها شخير .. وانقطع صوت شخيرها فجأة وسمعها تقول كأنها تتكلم في حلم:

تقول كأنها تتكلم في حلم:

- ما تيجي تنام بأه يا محمد ..

وقال دون أن ينظر إليها:

- مش جاى لى نوم .. حاقعد فى البلكون شوية ..

وسكتت زوجته ، وعادت أنفاسها تنتظم في شخير ..

واتجه إلى الشرفة ، وجلس على المقعد ، وهو يلتقط بأنفه هواء البحر .. الهواء الرطب .. لعل ناره تخبو ..

إنه رجل شريف ..

رجل يتعفف عن الخادمات ، ولا يدنس بيته بشهواته القدرة ..

ولكن .. هل هو رجل شريف حقا ؟

اقد عاش طول حياته يحاول إقناع نفسه بأنه رجل شريف .. وعندما كان زملاؤه يتقدمون عليه في الترقية ، كان يتهمهم بأنهم منافقون وصوليون وأنه هو وحده الرجل الشريف .. ولأنه رجل شريف فاتته الترقية .. وعندما كان يسمع عن واحد من زملائه في المدرسة قد أصبح وزيرا أو ثريا أو مشهورا ، كان يتهمه بأنه رجل مذبذب ولص وعديم الشرف .. وأنه هو وحده الرجل الشريف .. ولو لم يكن شريفا لأصبح وزيرا وثريا ومشهورا ..

ولكن هذا الكلام ليس صحيحا ..

وهو يعلم أنه ليس صحيحا ..

لقد حاول مرات عديدة أن ينافق .. ولكن نفاقه لم يؤد به إلى شيء .. وحاول مرات عديدة أن يخادع ولكن خداعه كان ساذجا ، فلم يستطع أن يستفيد منه بشيء .. إنه عاجز .. إنه جبان .. وهو الآن ليس متعففا عن فتحية ، ولكنه عاجز عنها .. جبان .. جبان ..

وضاقت أنفاسه ، وشعر كأنه يتجمع للبكاء . ولكنه لم يبك ..

وقام من الشرفة ، ودخل الغرفة .. والقى بنفسه فوق السرير ، راقدا على ظهره وكرشه مرتفع أمام عينيه .. ثم مد يده وعدل رأس زوجته فوق الوسادة ، حتى تسكت عن الشخير .. وأطفأ النور .. وظل مفتح العينين ينظر بهما فى الظلام .. كأنه ينظر إلى داخل نفسه .. ثم سقط جفناه فوق عينيه ، اعياء .. ونام .. نوما قلقا .. نصفه نوم ، ونصفه يقظة .. وراوده حلم .. حلم لذيذ .. إنه يحلم بأن فتحية راقدة بجانبه .. جسدها الصبى .. وبشرتها السمراء .. وعيناها المشروطتان .. وشفتاها المكتنزتان .. والصحة والشباب .. والأنفاس العطرة .. وتجسد له الحلم حقيقة .. ومد يده وتحسس ذراع زوجته .. فوق جسد زوجته .. وخيل إليه أنه الجسد الصبى .. والبشرة فوق جسد زوجته .. وخيل إليه أنه الجسد الصبى .. والبشرة السمراء .. وتهدجت أنفاسه في نومه وتيقظت أعصابه .. واكنه لا يستطيع أن يصدق .. شيء يطن في أذنيه ويردد :

انت تحلم .. انت تحلم .. وفتح عينيه على وسعهما حتى يتأكد بأنه لا يحلم .. ونظر بجانبه .. لا إنها ليست فتحية .. إنها زوجته ..

وضرب رأسه في الوسادة ، ثم أدار ظهره لزوجته ونام على جانبه ، وكل ما فيه يتمزق حنقا ، وكمدا .. وتمنى لو استطاع أن يبكي ..

1

واستيقظ الأستاذ فرغل فى اليوم الثانى ، ووجهه مكفهر ، وأعصابه مجهدة .. وظل راقدا فى السرير كأنه شوال معبأ بالديناميت .. وقالت زوجته وهى تروح وتغدو أمامه فى الحجرة :

- مش تقوم تغسل وشك بأه ، علشان تفطر .. دى الساعة بقت تمانية ونص...

وصرخ الأستاذ فرغل كأن شوال الديناميت قد انفجر:

- انتى فاكرة نفسك حكومة حاتفطرينا بمواعيد وتغدينا بمواعيد .. مش حاقوم النهارده .. ومش حافطر النهارده .. واللى عايز يتسمم يتفضل يتسمم لوحده ..

وسكتت زوجته ، ونظرت إليه نظرة مرتعشه ، وبين شفتيها ابتسامة بلهاء .. ثم خرجت من الغرفة هاربة من الديناميت ..

وظل الأستاذ فرغل راقدا في فراشه ، وهو يحس كأنه يكيد العائلة كلها بأن يجعلها تنتظره دون إفطار .. ويتلذذ بكيده لها.

ثم قام بعد أكثر من نصف ساعة .. واتجه إلى الحمام .. والتقى في طريقه بفتحية وهي تكنس الأرض .. ولم ينظر إليها كانها تعلم كل ما يدور في نفسه فخجل أن يواجهها به .. وبدأ يغسل وجهه وصورة فتحية وهي راقدة فوق بلاط المطبخ كالفرخة المحمرة وسط طبق من الصيني تهتز في خياله ..

وحاول أن يبعد هذه الصورة .. أن يتحرر منها .. ولكنه لم يستطع .. إنه ضعيف .. إنه عبد .. عبد للشهوة التى تصرخ فى صدره .. عبد لفتحية .. وأحس بالثورة تندفع فى رأسه .. الثورة على العبودية .. وفتح الصنبور على آخره ، وترك الماء ينسكب فوق رأسه .. ولكن ثورته تزداد اشتعالا .. يجب أن يتخلص من فتحية .. يجب أن تخرج من البيت .. اليوم .. حالا .. إنه لم يعد يطيقها .. لم يعد يتحمل هذا العذاب الذى يمزق فى لحمه ..

وأمسك بالمنشفة ، وجفف الماء على وجهه ، كأنه يجفف عرقه .. ثم خرج من الحمام .. واتجه إلى مائدة الافطار .. وارتفعت الابتسامة الطيبة فوق شفتى زوجته .. كأن الدنيا قد عاد إليها السلام ما دام زوجها قد بدأ يأكل .. وجلست فى مكانها من المائدة .. وبجانبها ابنتها سميرة .. وعلى الناحية الأخرى ابنها الصغير .. وجاءت فتحية بطبق الفول ، وأرغفة العيش ، ووضعتها فى منتصف المائدة ، وصرخ الاستاذ فرغل :

- إيه ده .. بأه شوية الفول دول بقرشين صاغ ..
 - وقالت فتحية وهي لا تأبه به:
 - آه والنبي ياسيدي ..
 - وعاد فرغل يصرخ :
- سيدك ياحراميه \cdot يالصه \cdot دول ما يجوش بقرش تعريفه \cdot
 - وقالت فتحية وكأنها زهقت :
- أنا مش حرامية .. إذا ما كنتش مصدقنى ، آدى الرجل قدام حضرتك ..

وانتفض الأستاذ فرغل واقفا وهو يرتعش صارخا: - وكمان بتردى على يا قليلة الأدب..

ثم رفع كفه الغليظ وهوى به على صدغها .. ثم يتوقف .. توالت صفعاته في جنون .. على صدرها .. وعلى رأسها .. وعلى جسدها .. كأنه ينتقم لكل عذابه .. وصرخت فتحية .. واستمرت في الصراخ ، وقد رفعت ذراعيها فوق رأسها لتصد بهما الصفعات .. والتصقت سميرة بمقعدها وفي عينيها رعب .. وبدأ الولد الصغير يبكي .. وقامت زهيرة وعلى وجهها لوعة ، وربتت على ظهر زوجها في خوف ، وهي تقول دون أن تحاول أن تدخل ببنه وبين فتحية :

- معلهش یا اخویا .. ما تزعلش نفسك .. علشان خاطری .. هدی نفسك شویه یا محمد .

وهربت فتحية من الصفعات ، ودخلت المطبخ ، وجلست على الأرض مستندة إلى الجدار .. تبكى ..

وعاد الأستاذ فرغل ، وجلس إلى المائدة ، وهو يزفر ، ووجهه محتقن كالبلونة الحمراء ، وقال وهو يلتقط انفاسه :

- البت دى ما بقاش لها قسعاد هنا .. أنا خلاص مش طابقها .

وقالت زهيرة وهي تبتسم ابتسامة خائفة:

- بس هدى نفسك يا اخويا .. ما تعكرش دمك على الصبح.
 قال في حدة :
 - با اقول لك مش عايزها تقعد في البيت ده .. ولا ثانية .. قالت :
- حاضر .. بس اصبر شویه لما تفطر ، وکل حاجة تروح لحالها ..

وشرب الأستاذ كوبا كبيرا من الماء .. ثم مزق لقمة كبيرة من رغيف العيش ، ودبها في طبق الفول ، ثم حشى بها فمه .. وحرك اسنانه فوقها كآلة الطحين ، وعيناه سارحتان .. إنه يشعر ببعض الراحة ..

لقد فرج عن بعض عذابه ..

وانتهى الافطار ، وقام فرغل وجلس على الاريكة في غرفة النوم ، وقالت زوجته وهي تصب عليه ابتسامتها الطيبة :

- أنا حا أقوم أعمل لك القهوة بايدى ..

وحملت جسدها الثقيل ، ودخلت المطبخ .. وكانت فتحية لا تزال جالسة على الأرض تبكى .. فوقفت فوق رأسها وقالت في اشفاق :

- كده برضه تردى على سيدك يافتحية .. ده أنا طول عمرى با أقول عليكي بنت مؤدبة ..

وقالت فتحية وسط نشيجها:

- أنا مش حرامية .. أنا ما سرقتش حاجة ..

وقالت زهيرة في طيبة:

- ما أنا عارفه يا بنتى .. بس أصل الأستاذ اليومين دول عصبى قوى .. والواجب إننا نستحمله برضه .. والنبى ده قلبه أبيض زى اللبن الحليب ..

وقالت فتحية وهي تمسح دموعها بكم ثوبها:

- ده طردنی یا ستی .. وأنا ما أقعدش ما دام طردنی ..

وقالت زهيرة كأنها ترجوها :

- ولا طردك ولا حاجه .. أنا حاروح اتحايل عليه .. بس انتى تانى مده ما طوليش لسانك وتردى عليه .. قومي ياللا ناوليني علبة اللبن والسكر ..

وقامت فتحية وفتحت الدولاب وجذبت علبة اللبن والسكر .. لقد قررت أن تبقى .. ستبقى وتتحمل رذالة سيدها من أجل حبيبها حسنين ..

ولكنها لن تبقى طويلا .. ستبقى فقط إلى أن تضم يدها على الساعة الذهبية .. وتفر بها .. ثم لن تعود .. لن تعود إلى أي بيت .. ستتزوج حسنين .. ويكون لها بيت .. بيت تملكه .. بیت هی سیدته .

وانتهت زهيرة من عمل القهوة .. وحملتها إلى الأستاذ فرغل .. وقالت وهي تصيها له في الفنجال :

- فتحية عايزه تيجي تبوس ايدك ، وتستسمحك ..

ونظر إليها الأستاذ فرغل نظرة غاضبة ، وقال في حدة :

- أنا قلت إنها ما تقعدش هنا ..

وقالت زهيرة في مسكنة:

معلهش والنبي يا أخويا .. الدور ده سماح ..

وصرخ فرغل:

- دى حراميه .. عايزه تخللي في البيت واحده حراميه ..

وقالت زهيرة :

أبدا والنبي .. دى غلبانه ومظلومه ..

وعاد قرغل يصرخ:

- انتي مش شفتي شوية الفول اللي جايباهم .. بأه دول بقرشين صاغ ..

وقالت زهيرة:

-- صدق يا خريا .. ما هي كل حاجه غاليه في المصيف ..

وقال فرغل:

- أنا خلاص .. مش طابق البت دى ..

وقالت زهيرة:

- علشان خاطری .. ده أنا حالوص من غيرها .. كلها يومين وننزل مصر وربنا يحلها .. وآدى راسك أبوسها ..

وانحنت تقبل رأسه .. ونظر إليها الأستاذ فرغل في حنق وغيظ .. وسكت ..

وجلست زهيرة بجانبه فوق الأريكة ، واعتدلت في جلستها كأنها مقبلة على عمل مهم ، ثم نادت :

- يا فتحية .. يا بت يا فتحية .. تعالى !

وتلكات فتحية قليلا ، ثم أطلت على الزوج وزوجته ، وهي معقدة الوجه .. وقالت :

– نعم یا ستی ..

وقالت زهيرة في لهجة حادة تخفى تحتها طيبتها:

- تعالى استسمحى سيدك .. والدور ده أنا توسط لك ، إنما بعد كده .. حاتعرفى شغلك منى .

وقالت فتحية في صوت خفيض:

- أنا متأسفة يا سيدى ..

وقال فرغل دون أن ينظر إليها:

- طيب غورى من وشى .. جاتك البلا ..

وسقطت عينا فتصية فوق الساعة الذهبية ذات السلسلة العريضة ، موضوعة بجانب السرير .. وخفق قلبها ..

ثم عادت إلى الطبخ ..

وفى الساعة الحادية عشرة خرجت العائلة تسير كالطابور العسكرى فى طريقها إلى شاطىء سبورتنج .. وفتحية تسير فى المقدمة وهى تحمل فوق رأسها شمسية كبيرة مطوية ، وتعلق فى ذراعيها اليسرى مقعدين من مقاعد الشاطىء ،

وتمسك بيدها اليمنى يد الطفل الصغير .. وخلفها تسير الزوجة ، مرتدية ثوبا من « البوبلين » يصلح للصباح ، والمساء ، وللنوم .. وامسكت باحدى يديها حقيبة كبيرة تبدو منها « مايوهات » العائلة ، وفوط الاستحمام ، وعلبة كبيرة من الصفيح تفوح منها رائحة الكعك والبسكويت و « المنين » .. وارتكزت بذراعها الأخرى على كتفى ابنتها سميرة .. وفي المؤخرة يسير الزوج ، وهو يرتدى قميصه الأبيض ، وبنطلونه القصير الذي يبرز خطوط كرشه الضخم .. وفي يده منشة ، وتحت ابطه جريدة الأهرام .. وعيناه تتبعان ساقي فتحية ..

وعبرت العائلة شارع الكورنيش تحت قيادة الأستاذ فرغل .. ثم نزلوا إلى الشاطىء .. وغرزت فتحية الشمسية فى الرمل ، ثم فتحتها ، وصفت تحتها المقاعد الصغيرة .. ثم وقفت تساوى خصلات شعرها التى أطلت من تحت منديل رأسها ، وتتمايل بقوامها المشوق مع الهواء ، وهي تنظر بعينيها باحثة عن وجه بين وجوه الناس .. ورأته واقفا بعيدا ، منتصبا كعامود الدخان .. وجهه الأسمر ، وسرواله الأسود ، وفائلته الزرقاء ، والقبعة الصغيرة البيضاء فوق رأسه .. حسنين .. عامل الانقاذ .. وخفق قلبها ، وانطلقت خفقته ابتسامة فوق شفتيها ..

وجلست على الرمل ، وطوت ساقيها تحتها ، وانتظرت في صبر .. إلى أن سمعت سيدتها تقول :

- قومى يا فتحية لبسى سيدك مبيمى المايوه ، وانزلى به البحر ..

والتمع وجهها بالفرحة .. وقامت تخلع عن الطفل الصفير ثيابه وتلبسه « المايوه » .. ثم سحبته من يده إلى البحر ..

ورفعت ذيل ثوبها حتى ركبتيها ، وضمته في يدها ، وخاضت بساقيها في الماء .. ثم سمعت صوت حبيبها :

– صباح الخير يا فتحية ..

وارتبكت .. واهتزت ساقاها العارية ان في الماء .. ثم تركت يد الطفل ، والتفقيت إلى الصوت ، والحب يرقص فوق وجنتيها ، وقالت في خفر :

يسعد صباحك يا سي حسنين ..

ونظر إليها حسنين كأنه يهم بتقبيل ثغرها ، وقال :

- ازيك النهارده ..

قالت وقلبها يضرب بشدة:

- الله يسلمك يا سي حسنين .. ازيك انت ..

قال وهو يتنهد:

-- ز*ى* ما أنا يا فتحية ..

قالت وهي تنظر إليه بكل عينيها:

- ولا يكون عندك فكر .. كل اللي انت عايزه حا يتحقق بإذن الله ..

قال وفي نظرته سخرية:

- ربنا يسمع منك يافتحية .. أنا مش حاقدر اقف معاكى ، أصل مفتش الشاطىء حايفوت كمان شويه .. خليتك بعافيه ..

- الله يعافيك يا حسنين ..

ووقفت تودعه بعينيها وهو يبتعد عنها بجسده الطويل .. وشبح الساعة الذهبية يهتز امام عينيها ..

ثم سمعت من خلفها ضحكة فاقعة صارخة ، كأنها ازيز طائرة خرية .. وصوتا مائعا بعاني في دلم :

- أبو سمره السكره .. أبو ضحكة منوره ..

واستدارت فتحية قائلة :

والنبى تسكتى يا رتيبة .. احسن أنا حاطق من جنابى ..
 وقالت رتيبة وهي تساوى منديلها فوق رأسها :

- ليه يا اختى .. كفى الله الشر .. ده أنا شايفه الحب على آخره ، والعيار زايد حبتين ..

وجلست فتحية على الرمل وهى تصيح فى الطفل الصغير:
- ما تدخلش جوه ياسى ميمى .. خليك عالشط ، اعمل معروف ..

ثم نظرت إلى رتيبة وقالت في أسى:

- أنا حيرانه يارتيبة يا احتى .. مش عارفه أعمل إيه ..

والتمعت عينا رتيبة كانها مقبلة على موضوع مثير لذيذ ، ثم قالت :

- طيب استنى شويه لما أجيب البت الناحية دى .. واقعد معاكى ، تحكى لى على كل حاجة ..

وسارت رتيبة وهى تهز جسدها المكتنز، كأن كل قطعة منه تكاد تسقط عنه .. ثم عادت وفى يدها فتاة فى السادسة من عمرها ترتدى المايوه ، وتشدها وراءها فى قسوة ، ووضعتها بجانب « ميمى » ، وهى تقول لها كأنها تهددها :

- اقعدى العبى مع الولد ده .. تعرفى تروحى هذا ولا هذا ، حاقطم رقبتك ..

وجلست الفتاة الصغيرة فى خوف ، بجانب الولد الصغير ، وسط الماء الضحل .. وأسرعت رتيبة وجلست بجانب فتحية ، وقالت وهى ترتكز بذقنها فوق راحة يدها :

- إيه يأه الحكايه يا أختى ؟..

وقالت فتحية وهي تعبث بأصابعها في الرمل:

- حسنين يارتيية ..
- وقالت رتبية تتعجلها:
 - -- ماله ..
- وقالت فتحية في أسى:
- مضايق قوى .. حالته تصعب على الكافر ..
 - وقالت رتيبة وعيناها تبرقان في تطلع:
 - مضايق من إيه يا حبيبتي ..
 - وقالت فتحية :
- تعبان قوى ده بياضد تلاته جنيه في الشهر .. وبعد ما بيخلص الصيف ، البلدية بتستغنى عنه ، ويقعد من غير شغل .. ونفسه يا حبيبي يفتح دكان سجاير ، ويتجوز ، ويبقى له بيت .. بس مش ناقصه غير عشره جنيه ..
 - وقالت رتيبة وهي تنظر إلى صديقتها في امعان:
 - وانتى ناويه تعملى إيه في الحكاية دي ؟
 - وقالت فتحية وهي ترفع رأسها كأنها تتحدى القدر:
- ما اعرفش .. إنما نفسى اجيب له العشرة جنيه دول .. ولو اجيبه من تحت الأرض .. ولو ياربى قطعت نفسى حتت ..
 - وقالت رتيبة وهي تنظر في وجه فتحية بكل عينيها:
 - ما قلت لك ، وانت اللي ما رضيتش ..
 - وقالت فتحية يسرعة :
 - لا يا أختى .. كله إلا ده ..
 - وقالت رتبية تلاحق صديقتها:
- والنبى أنت عبيطة .. ده أنت تخرجي معايا كام مشوار،
- وبعد يومين يبقى في ايدك العشرة جنيه .. بالك البت نقيسة

اللى بتشتغل عنه الجماعة الخواجات اللى جنبكم .. خرجت ليلة امبارح مع جدعين صغيرين وكانوا ادوها خمسة جنيه .. ويمكن ربنا يوقعك في واحد كويتي من بتوع البنزين يغرقك في جنيهات .. بس انتى اللى خيبة ..و..

وقاطعتها فتحية وهي تهز رأسها في الهواء كأنها تطرد من حولها اشباحا:

لا .. لا یاآختی .. کله إلا المقدر ده .. ده حتی حسنین مایرضاش .. ده کان یقتلنی قتل ..

وابتسمت رتيبة ابتسامة ساخرة ، كأنها تعلم حقيقة حسنين خيرا من صديقتها ، ثم قالت :

- ده مقدر علينا كلنا يا حبيبتى .. وإذا كان مقدر علينا فى بيوت الشغل ببلاش ، يبقى العاقلة تطلع بره وتكسب فلوس .. وآدى الكلام المعقول ..

وقالت فتحية في حزم:

.. 7 –

وقالت رتيبة في لين:

- طاوعینی ..

وعادت فتحية تقول في اصرار:

- لا ..

وقالت رتيبة بلا مبالاة :

- على كيفك ..

وسادت بينهما فترة صمت ، ثم قالت فتحية وقد عادت تعبث بأصابعها في الرمال :

- ما فيش طريقة تأنية ؟!

ونظرت رتيبة في عيني فتحية كأنها تغوص في رأسها ، ثم

علقت ابتسامة صغيرة فوق شفتيها ، وقالت في خبث :

زي إيه كده!

وقالت فتحية وهي تهرب بعينيها من عيني صديقتها:

- أنا عارفه .. ما انتى يا اختى تعرفي كل حاجة ..

وسكتت رتيبة برهة ثم قالت وهي تتنهد كأنها تستغفر الله:

- انتى ما بيقعش في ايدك حاجة كده تستاهل .. ساعة

دهب .. اسورة .. خاتم بفص .. حاجة يعنى من الحاجات دى ..

وقالت فتحية وهي تخبط على صدرها وتفتعل الذعر:

- يا خبر .. ولما اروح في داهية!

وقالت رتيبة:

- ولا داهية ولا حاجة .. ده من مدة شهرين البت سيدة لطشت خاتم ألماظ جاب لها ستين جنيه .. ولا حد حس بيها ، ولسه بتشتغل في نفس البيت .. المهم أنهم ما يلاقوش حاجة عندك .. تعرفي لما البوليس ما يلاقيش الحاجة عندك ما يقدرش يتمسك عليكي بكلمة ، ولو جابوا كل الناس تشهد عليكي ..

وقالت فتحية في تردد:

- لأ يا اختى .. دى حاجة تخوف ..

وقالت رتيبة مستطردة كأنها لم تسمع اعتراض صديقتها:

- شروفى .. أول ما تحطى ايدك على الحاجة اللى عينك عليها ، تتخلصى منها بسرعة .. واوعى تخبيها في هدومك .. ولا في بيت الشغل .. تجيبيها على على طول .. واوعى تديها لحسنين .. أصله معروف أنه بيحبك ويمكن البوليس يفتشه .. تجيبيها لى أنا .. وأنا اتصرف لك فيها على طول .. وتانى يوم تلاقى الفلوس في ايدك .. أصلى أنا اعرف واحد بيشترى منا كل حاجة ايها حاجه ..

وقالت فتحية في ضعف وقلبها يخفق:

.. ¥ --

وعادت رتيبة تستطرد دون أن تأبه بها:

- تعملی زی ما باقول لك كده .. وما تخافیش .. یاما أخدت و بعت .. و آدینی زی ما آنا ..

ونظرت فتحية إلى رتيبة نظرة سريعة ، وقالت وهي تقوم واقفة :

- اما أقوم بأه .. زمان الأفندى بتاعنا ابتدى يزعق .. وقالت رتبية وهي تقوم وراءها :
 - ساعة ما تعوزيني ، انتى عارفه تلاقيني فين ..

وجذبت فتحية يد الطفل الصغير ، قائلة :

- يا للا ياسى ميمى .. كفاية كده ..

وشدت رتيبة يد الطفلة الصغيرة وهي تصرخ فيها:

-- قـومى يابت جاتك وكسـه .. داهية تقـطعك وتقطع اللى خلفوكى ..

وبكت الطفلة الصغيرة ..

وسارت فتحية ويداها في يد الطفل الصغير ، واتجهت إلى شمسية العائلة ، وشبح الساعة الذهبية يهتز أمام عينيها ..

...

وفى المساء .. لحت فتحية الساعة الذهبية عندما كان الاستاذ فرغل يضعها فى جيب بنطلونه .. الجيب الصغير .. ويلف سلسلتها العريضة فى نصف دائرة حول كرشه .. ثم لمحتها بعد أن عادت العائلة من نزهتها المسائية على طريق الكورنيش .. لمحتها وهو ويخرجها من جيبه ، ويضعها تحت وسادة السرير ..

وساد الهدوء في الشقة الصغيرة ..

ودخلت فتحية إلى المطبخ وفرشت اللحاف القديم فوق البلاط، ونامت عليه .. وعقلها يضع خطة دقيقة .. إنها ستسرق الساعة .. غدا صباحا عندما يدخل الأستاذ فرغل إلى الحمام .. ستتسلل إلى غرفة النوم .. وستكون سيدتها مشغولة بتسريح شعر ابنتها .. وستضع يدها تحت الوسادة .. وتلتقط الساعة .. وتخفيها في صدرها .. بسرعة .. ثم ستنزل إلى الشارع بحجة شراء الفول .. وستتجه فورا إلى صديقتها رتيبة ، وتعطيها الساعة لتبيعها لها .. ثم ستشتري الفول .. وتعود إلى البيت .. لن بيدو عليها الارتباك .. لن تضاف .. وستجد الأستاذ فسرغل يصرخ ، وهو يبحث عن الساعة .. ولن تأبه بصراخت .. وقد يستدعي البوليس .. وإن تضاف البوليس .. ستدعو البوليس إلى تفتيشها .. ولن يعثر معها على شيء .. وبعد يومين ستأخذ من رتيبة عشرة جنيهات من ثمن الساعة وتتبرك لها الباقي .. وستعطى العشيرة جنيهات لحسنين .. ويفتح حسنين دكانا لبيع السجاير .. ثم يتزوجها ..

وكانت ترى نفسها فى كل خطوة من خطوات خطتها .. كانت ترى نفسها وهى تتسلل إلى الغرفة وتسرق الساعة .. ثم وهى تخرج بها وتسرع إلى رتيبة .. ثم .. ثم .. ثم وهى زوجة لحسنين ..

ولكنها خائفة ..

إن رعدة شديدة تزحف على صديها وتسرى في اعصابها ..

يجب أن تقاوم الخوف .. إنها لن تضاف .. إنها ليست

جبانة .. يجب أن تكون جريئة لتسعد حبيبها .. يجب أن تجازف من أجل حسنين .. يا حبيبي يا حسنين ..

ولم تنم ..

قضت ليلتها تقاوم الخوف ..

وشخص آخر لم ينم .. الأستاذ فرغل .. إنه جالس فى الشرفة ، وساقا فتحية تهتزان أمامه .. وتنغرزان فى خياله .. إنه يحس بشىء يتلوى فى صدره .. يحس بأن خلف ضلوعه سجينا يصرخ ويحاول أن يحطم القضبان .. يحطم ضلوعه .. وينطلق .. ولكن السجين الذى فى صدره اعجز من أن يحطم القضبان .. إنه سجين جبان .. اجبن من أن ينطلق إلى المطبخ ، وينال فتحية .. ينال جسدها الشاب ينطلق إلى المطبخ ، وينال فتحية .. ينال جسدها الشاب الشهى .. وسيظل يتعذب ما دامت فتحية فى البيت تثير هذا السجين .. ما دامت بجانبه تسلط عليه فتنتها .. يجب أن السجين .. ما دامت بجانبه تسلط عليه فتنتها .. يجب أن البيت ، ورغم معارضة زوجته ، ورغم حاجتها إليها ..

ونظر إلى زوجته مكومة كجبل اللحم فوق السرير .. نظر إلى العيش البايت الذى حكم عليه أن يظل يأ كله طول حياته .. إنه يستطيع أن يحتمله إذا وضع بجانبه رغيف فينو طازج .. كفتحية ..

يجب أن تخرج فتحية من البيت ..

يجب أن يخلو البيت من العيش الفينو ..

ووضع هو الآخر خطة ..

...

وجاء الصباح ..

وقام الأستاذ فرغل من فراشه وهو متجهم ، كأن على

وجهه خطوط خطة حربية .. ودخل الحمام .. وفتحية تراقبه من باب المطبخ .. ولم يمكث فى الصمام طويلا .. بضع دقائق فقط ريثما بلل وجهه بالماء .. ثم عاد فى خطوات سريعة إلى غرفته ووجهه أشد تجهما .. عاد قبل أن تتمكن فتحية من دخول الغرفة ..

وتلكا بجانب الغرفة قليلا ، ثم صرخ :

- الساعة فين .. فين الساعة بتاعتي فين !
 - وقالت زوجته زهيرة في هدوء:
- مالك بتزعق كده يا اخويا .. تلاقيها تحت المخده ..
 - وقلب الأستاذ فرغل الوسادة ، وعاد يصرخ :
 - مش تحت المخده .. الساعة راحت فين ..
 - وقالت زهيرة وهي لا تزال هادئة :
 - يمكن حطتها في الدولاب ..
 - وفتح فرغل الدولاب، واشتد صراخه:
- مش في الدولاب .. الساعة اتسرقت .. اتسرقت ..
 - وقامت زهيرة وأقفة وهي تقول :
 - بس طول بالك شويه .. دور عليها كويس ..
- وبدأت زهيرة تعبث في محتويات الغرفة .. والأستاذ فرغل يقلب كل ما فيها .. ثم صرخ صرخة حادة :
- الساعـة اتسرقت .. با أقـول لك اتسرقت .. البت فـتحـية سرقتها ..
 - ثم اندفع خارج الغرفة ..
- وفتحية ملتصقة بباب الطبخ وهي تسمع كل هذا الصراخ وترتعش .. وفي عينيها نظرات مرتبكة حائرة ..
 - وهجم عليها الأستاذ فرغل ، وصرخ في وجهها :

- الساعة فين يا بت .. خبيتيها فين يا حرامية ..
- وقالت فتحية ولسانها يرتج ، وكلماتها تتمزق بين شفتيها :
 - ما شفتهاش یا سیدی .. والنبی ما شفتها ..
- ورفع الأستاذ فرغل يده وهوى على وجهها بصفعة قوية ،
 - فسقطت على الأرض تحت قدميه ، وهي تصرخ:
 - ما شفتهاش یا سیدی .. وشرف النبی ما اخدتها ..
 - وصرخ فرغل وهو يركلها بقدمه:
 - وديتيها فين يا حرامية ..

ثم تركها ودخل إلى المطبخ وجذب الصقيبة الخشبية الصغيرة التى تحتفظ فيها فتصية بثيابها ، وفتحها وأخذ يقلب فيها ، وكأنه يمزق كل ما تصل إليه يداه منها .. ثم خرج من المطبخ ، وفتحية لا تزال ملقاة على الأرض تبكى ، وزهيرة بجانبها تقول لها :

- ما تقولى الساعة فين يا فتحية .. قـولى وماتخافيش ..
 حتى لو كنتى اخدتيها ، مش حا يحصل لك حاجة ..
 - وصرخ فرغل:
- والله لا جيب البوليس .. حا سلمك للبوليس يا مجرمة يا بنت الكلب ..
- ودخل إلى غرفته ليرتدى ثيابه وينزل إلى الشارع وينادى عسكرى البوليس ..
 - طول بالك شويه يا فرغل ..
- ورفعت فتحية رأسها والدموع تجرى فوق خديها، وهمست في ذعر:
 - البوليس !!

ثم انتفضت واقفة ، وانفلت من أمام سيدتها ، وجرت بكل قواها إلى باب الخروج .. وخرجت .. وقفزت فوق السلالم كان الموت يلاحقها .. وصوت فرغل يصرخ وراءها :

- امسكوها .. يا بوليس .. حرامية ..

وجرت فى الشارع كالمجنونة .. ولم تتجه إلى صديقتها رتيبة بل اتجهت إلى الشاطىء .. وعبرت شارع الكورنيش وكادت سيارة تدهمها .. والناس تقف وتنظر إليها فى دهشة .. ونزلت إلى الشاطىء .. وأخذت تعدو فوق الرمال .. ونصفها العلوى يسبق ساقيها .. ثم ألقت بنفسها فوق صدر حسنين ، وهى تصيح لاهثة :

- الحقني يا حسنين ..

وأزاحها حسنين من على صدره ، ونظر إليها في دهشة ، وقال :

- إيه .. فيه إيه حصل أيه .. مالك !
 - وقالت وقد عادت تبكى:
- حايسلمونى للبوليس .. بيتهمونى أنى سرقت الساعة .. وتلفت حسنين حوله ، ثم قال فى صسوت أجش وهو يمد يده اليها :
 - طیب هاتیها ..
 - وقالت فتحية في دهشة:
 - <u>- إيه هيه !</u>
 - وقال حسنسن:
 - -- الساعة .. هاتيها قوام .. وما لكيش دعوة ..
 - وقالت وهي تنشج:
 - ما اخدتهاش ..

وقال حسنين في قسوة:

- يا بت بلاش لماضة .. هاتيسها قنوام .. زمانهم جنايين وراكى ..

وقالت فتحية:

- وحياتك ما أخدتها يا حسنين ..

وقال حسنين وهو يقبض على معصمها في قسوة:

ما أخدتهاش ، ولا شايلاها علشان تديها لرتيبة .. ما هى
 رتيبة قالت لى على كل حاجة .

ثم مد يده في فتحة ثوبها يبحث عن الساعة بين نهديها .. وشدت نفسها منه مذعورة ، فتمزق الثوب عن صدرها ..

وقالت وقد ارتفع نشيجها:

- ما آخدتش الساعة .. حتى انت مش مصدقنى يا حسنين.. وعادت تبكى ..

وصرخ حسنين:

پا بت بلاش تمثیل .. هاتی الساعة با قول لك ...

ثم هوی بکفه علی صدرها .. فصرخت صرخة حادة كانها دبحت :

- يا دهوتى .. يا مصيبتك يا فتحية .. يا خرابك يا فتحية .. ثم أخذت تلطم خديها وتدب الأرض بقدميها .. وصاح حسنين :

- طيب أنا حاوديكي في داهية ..

ثم التفت مناديا:

- يا شاويش عبد الله .. يا شاويش عبد الله .. تعالى شوف البت دى حكايتها أيه ..

وجاء الشاويش عبد الله ، ووضع كفه الشقيل فوق كتف

فتصية .. وبدا من بعيد الأستاذ فرغل يسير مهرولا ، وخلفه بواب العمارة ، وعسكرى الدورية ..

رقبض على فتحية ..

وسيقت إلى قسم البوليس .. وهي ساهمة وقد كفت عن البكاء .. أصبحت في ذهول ..

وأمر الضابط النوبتشي بوضعها في الحبس ..

...

رمضت الأيام ..

والعائلة تعيش في صمت حزين .. والبيت مرتبك .. وزهيرة تتنهد بين حين وآخر .. وسميرة ساكنة لا تسأل ولا تتكلم .. والطفل الصغير يبكي بين حين وآخر دون سبب .. والأستاذ فرغل متجهم الوجه دائما كأنه يعاني ألما في معدته .. وقد طال جلوسه في الشرفة كل مساء .. إنه لا يرقد في فراشه إلا بعد أن يرى الفجر بعينيه .. ولم تعد ساقا فتحية تشغلان خياله .. ولكن شيئا ثقيلا يضغط على صدره يكاد يكتم انفاسه ..

وقام فى إحدى الليالى ، وفتح دولابه .. ومد يده فى آخر الدرج .. وأخرج جوربا يضم شيئا ثقيلا .. مد يده داخل الجورب وأخرج ساعة ذهبية ..

ساعته الذهبية ذات السلسلة العريضة ..

ونظر فيها .. وتقلص وجهه كأنه التقى بحبيبته التى حرم منها إلى الأبد ..

ثم اعاد الساعة داخل الجورب ، وأخفاه في آخر الدرج ، واغلق الدولاب وهو يتنهد في حرقة ..

ومضت أيام أخرى ..

وفتحية لا تزال في السجن ..

ولم يبق على بقاء العائلة في المصيف سوى يومين ..

وقال فرغل لزوجته ذات صباح ، وهو لا ينظر إليها:

- احنا يظهر ظلمنا البت فتجية .. أنا لقيت الساعة ..

ونظرت إليه زهيرة في دهشة ، ثم انبشقت الدموع من عبنيها ..

وقال فرغل في صوت خفيض:

- لزوم العياط أيه دلوقت يا زهيرة ..

وقالت زهيرة وهي تنهنه وجسدها الشقيل يهتر كأنما دب فيه زلزال:

- اصلها صعبانه على .. وكان دايما قلبى يقولى إنها مظلومة .. مش كنت تدور كويس يا مصمد قبل ما تعمل الفضيحة دى كلها ..

وقال فرغل وهو ينكس رأسه:

- معلهش .. اللي حصل أهو حصل .. المهم دلوقت نعمل إيه !

وقالت زهيرة :

- تقوم دلوقت حالا تروح القسم ، وتقول لهم اننا لقينا الساعة ..

وقال فرغل في ذل:

-- حاضر ..

وقام وارتدى ثيابه في بطء .. وذهب إلى قسم البوليس، وقلبه يسد حلقه ويكاد يختقه ..

•••

وعاد الأستاذ فرغل إلى البيت وهو يحاول أن يقنع نفسه بأنه رجل شريف ..

البنان واللعيف



البنت الجاسم

القاهرة في أواخر أيام شهر يونيو .. والشوارع تفح بلهب الصيف ، والناس تسير تحت رذاذ العرق ..

اساا وخرجت ناهد من معهد التقصيل تحمل فى يدها كراسة كبيرة تضع بين أوراقها مسطرة ، وفى يدها الأخرى كيسا من الورق تطل منه أطراف قطعة من القماش لونها أبيض .. وسارت فى شارع قصر النيل بخطرات سريعة ، وهى تزاحم الناس بثوبها الواسع .. ثم وصلت إلى شارع فؤاد ووقفت عند محطة الأتربيس ، وأخذت تدق الأرض بقدمها دقات عصبية ، وتتطلع حولها بعينين نشطتين لل تهدآن ، ثم تزيح خصلة من شعرها تدلت ولصقها العرق فوق خدها ..

ولم تنتبه إلى العيون التى ترمقها فى وقفتها .. ولم تحس بالشاب الذى يتسكع حولها ، ويطوف بها .. كانت تبدو شاردة الذهن ، وبين شفتيها حلم سعيد يلوح كالابتسامة ..

وجاء الأوتوبيس .. وقبل أن يقف تماما ، قفزت إلى مقاعد الدرجة الأولى .. وجلست بجانب النافذة .. وظلت شاردة الذهن ، حتى اضطر الكمسارى أن يصيح : تذاكر .. تذاكر .. ويكرر نداءه حتى تنتبه إليه ..

ونزلت من الأتوبيس فى شارع الملك .. وسارت بخطوات أسرع .. تكاد تجرى .. ودخلت فى عمارة .. وصعدت إلى الدور الرابع .. واتجهت إلى الشقة رقم « ٨ » .. وضغطت على الجرس ، وظلت ضاغطة عليه وهى تقفز فى وقفتها ، حتى فتحت الباب خادمة صغيرة حلوة التقاطيع ، تحمل بين شفتيها ابتسامة واسعة .. ودخلت ناهد وهى تصيح :

- ماما فين ؟

وأجابت الخادمة وهي ترمق سيدتها في إعجاب:

- في أودتها يا ستى!

وصاحت ناهد وهي تجري نحو غرفة أمها:

- ماما .. ماما ..

ثم أطلت على أمها من الباب ، واستطردت :

-- أنا جيت ..

وقالت الأم وهي تضم ابنتها بين عينيها:

- لحقتى تقصى الفستان ؟

وقالت ناهد كأنها تزغرد:

- ده طالع جنان ..

وقالت الأم:

- وريني كده ..

وقالت ناهد:

- لأ استنى لما أسرجه ، وتشوقيه على !

وقالت الأم وهي ترشو ابنتها بابتسامتها:

ورینی بس یا نانا ..

وقالت نانا :

- لا .. ده مفاجأة .. ده فستان حايلحس البلاج كله ..

ثم انسحبت من فتحة الباب، وقفزت خطوتين، ودخلت إلى غرفتها ، وأغلقت الباب وراءها ، وألقت الكراسة من يدها فوق السرير .. ثم مدت يدها فى الكيس وأخرجت قطعا مقصوصة من القماش ، وفردتها فوق السرير أيضا ، الواصدة بجانب الأخرى .. ثم وقفت تنظر إليها من بعيد ، وأصبعها فوق خدها ، وفى عينيها نظرات جادة فيها كثير من الاهتمام ، كانها مهندس حائر أمام رسوم مشروع ضخم .. ثم هزت رأسها كانها وجدت حل مشكلة حسابية عويصة .. ومدت يدها وخلعت فردة حدائها .. ثم الفردة الثانية .. ثم صاحت بأعلى صوتها :

- يا بت يا فتنه .. يا فتنه ..

وفتحت الخادمة الصغيرة الباب ، قائلة :

- نعم يا ست نانا ..

وقالت نانا وهي لا تزال تبطق في قطم القماش المقصوص:

- تعالى اقفلى الشيش ..

ودخلت « فتنه » وطافت بالنوافذ تغلق ضلفها الخشبية .. وساد الحجرة ضوء خافت مريح .. وهذا لهب الصيف فيها .. وخلعت ناهد ثوبها بسرعة ، وقلبته ثم وضبعته فوق شماعة صغيرة وعلقته فوق حافة الدولاب .. ثم خلعت « الجيبون » وألقت به فوق المقعد الكبير .. وظلت بالقميص الداخلى .. ذراعاها وصدرها عرايا .. وقالت فتنه :

- إحنا حانسافر امتى بأه يا ستى ..

وقالت ناهد دون أن تنظر إليها:

- يوم الخميس .. بعد أربع أيام ..

وقالت قتنه:

- وحاتعلمينى العوم زى السنة اللى فاتت يا ستى .. وقالت ناهد وهى تبتسم وقد عادت تنظر إلى قطع القماش المقصوص:

- امشى اخرجى بره يا بت .. ما تورنيش وشك إلا لما أنده لك ..

وخرجت فتنة ، وابتسامة مرحة فوق شفتيها وأغلقت الباب وراءها .. واستدارت نانا ، فوقعت عيناها على مجلة أسبوعية مصورة ، فمدت أصابعها وقلبت صفحاتها في إهمال ، ثم وقفت عند صفحة المجتمع ، وأخذت تدقق النظر في الصور المنشورة .. صور البنات والشبان .. إنها تعرفهم جميعا .. تعرفهم من كثرة ما قرأت عنهم في المجلات .. تعرف أشكالهم وأسماءهم ، بل تعرف أيضا ماركة سيارة كل منهم ورقمها .. وبعض البنات كن زميلات لها في مدرسة « الأمريكان ميشان ».. ولا زلن صديقاتها .. ولكنها صداقة من نوع غريب.. صداقة تلمع داخل جدران المدرسة .. ويتلمع في الخروج من المدرسة .. إنهن صديقات لا تزورهن في بيوتهن .. الخروج من المدرسة .. إنهن صديقات لا تزورهن في بيوتهن .. ولا يزرنها في بياتها .. فقط داخل جدران المدرسة ، وعلى الشاطيء .. وقد تركت المدرسة منذ العام الماضي ، ولم يبق لها الشاطيء .. وقد تركت المدرسة منذ العام الماضي ، ولم يبق لها من مكان تستعيد فيه صداقتها لهن إلا الشاطيء ..

وعادت تدقق بعينيها في الصور المنشورة على صفحات المجلة ، كأنها تبحث بينها عن صورة ناقصة .. صورتها هي .. لماذا لا تنشر المجلة صورتها .. لأنها لا تسكن في الزمالك ، ولا تملك سيارة ، ولا تذهب إلى نادى الجزيرة ، ولا تقيم حفلات راقصة .. لأن أباها ليس غنيا .. مجرد موظف في الدرجة الثالثة ..

ولكن .. لا يهم .. إن المجلات ستنشر صورتها في هذا الصيف عندما تبدو على الشاطىء .. فليس على الشاطىء طبقات ليس فيه حي الزمالك وحي حدائق القبة .. وليس فيه سيارات .. وليس فيه نواد .. ليس على الشاطىء سوى بنت جميلة ، وسوى ثوب أنيق وثوب غير أنيق .. وهي جميلة ... إنها أجمل من كل البنات اللاتي تبدو صورهن في المجلات .. وثوبها سيكون أرشق ثوب .. لقد تعلمت التفصيل في المعهد ، حتى أصبحت أمهر من أشهر خياطات مصر .. تعلمته خصيصا حتى تستطيع أن تصنع لنفسها أرشق ثوب ، دون حاجة إلى أن تدفع أجر الخياطة ..

والتفتت إلى المرآة لتطمئن إلى جمالها .. واطمانت .. إنها فعلا جميلة .. شعرها في لون أبو فروة .. وعيناها عسليتان .. ذكيتان وابتسامتها الواسعة .. وأسنانها البيض . وجسدها الصغير المتسق .. و .. وتذكرت الثوب ، فاندفعت إلى الفراش وجمعت من فوقه قطع القماش المقصوص ، وعادت تفردها على الأرض .. ثم جلست بجانبها ، مستندة بظهرها على حافة الأريكة ، وهي لا تزال بقميصها الداخلي .

وشدت « علية الضياطة » ، وأضرجت منها الأبرة وبكرة الخيط .. ونظرت في خرم الأبرة الضيق ، وسددت إليه طرف الخيط ، كانها تسدد سهما من خيالها نحو أمل واسع كبير ..

وأخذت تحيك الثوب .. وسرح خيالها وراء الصور المنشورة في المجلة الأسبوعية .. صور الشبان .. حازم .. وعمرو .. وفؤاد .. و .. من منهم يصلح لها .. إن حازم يملك سيارة « ثندر بيرد » حمراء .. ومائتي فدان .. وعمارة في شارع سليمان .. ولكنه سمين .. إنها لم تره مرة على الشاطيء

إلا وهو يأكل .. عادل جميل .. إنه يخطف قلبها كلما مر بها .. ولكنها سمعت إنه يحب مرفت وينوى أن يخطبها .. و ..

وفتح الباب وأطل وجه فتى فى السادسة عشرة من عمره، وصاح فيها:

- مالك قاعدة عريانة كده ؟!؟!

ونظرت إليه بعينين غاضبتين ، وقالت وهي تحاول أن تضبط أعصابها :

- أنت مالك يا بايخ .. دى أودتى وأنا حرة فيها ..
 - قال وهو يغيظها بابتسامته:
 - ما تقومي تقعدي في الحمام أحسن لك ..

وصرخت نانا:

- ماما .. يا ماما .. اندهى للواد سامى ده أحسن بيعاكسنى ومش عارفة أخيط ..

وقال سامى :

- ما هو أنا كمان ما اسمحش أن أختى تقعد عريانة بالشكل ده ..

وعادت نانا تصرخ وقد احمر وجهها غيظا:

- يعنى شايفنى ماشية فى الشارع .. دى أودتى يا بارد .. من فضلك أبعد عن وشى .. أبعد عنى با أقبول لك .. والله لو عتبت خطوة واحدة لا طربق الدنيا فوق دماغك ..

وقال سامى في حزم صبياني:

- قومي البسي ..

وصرخت وهى تلقى قطعة القماس من يدها:

- مش لابسة .. مش لابسة .. يا ماما .. يا ماما .. وارتفع صوت الأم من حجرتها :

- تعالى هنا يا سامى ، وسيب أختك فى حالها .. وقال سامى :
 - رهان معاسي .
- ما تیجی تشوفی بنتك قاعدة إزای ؟! وقالت الأم دون أن تنتقل من مكانها ، كأنها تعودت علی هذه المواقف :
 - ما لكش دعوة بيها .. تعال هنا ..
 - وقال سامي في غيظ:
 - دى مرقعة بنات .. والله لأوريكي شغلك ..
 - ثم انسحب ، وأغلق الباب وراءه ..
 - وعاد الهدوء إلى الغرفة الخافتة الضوء ..
 - وعادت نانا تحيك ثوبها وتحيك معه آمالا واسعة ..

ثم قامت ووقفت أمام المرآة ، وارتدت الثوب .. وأخذت تقيسه بعينيها ، ثم أخذت تشده حول جسدها بالدبابيس .. ثم سارت في خطى محترسة حذرة ، حتى لا يتفتق الثوب عن جسدها ، وخرجت من غرفتها وذهبت إلى أمها ، وقالت لها :

- والنبى يا ماما تيجي تظبطي لي ديل الفستان.
 - ونظرت الأم إليها في إعجاب ، وقالت :
 - الله .. ده حيطلع حلو عليكي قوى ..

ووقفت نانا أمام المرآة .. وقامت الأم وجلست على الأرض تحت قدمى ابنتها ، ووضعت بين شفتيها مجموعة من الدبابيس ، ثم ثنت ذيل الثوب بيدها ، وقالت من بين أسنانها حتى لا تسقط الدبابيس من بين شفتيها :

- كويس كده ..
- وقالت نانا وهي ناظرة إلى ذيل ثوبها في المرآة :
 - طولية شوية ..

وقالت الأم وهي ترفع رأسها إلى نانا كأنها تتلقى رأيها :

- الموضة السنه دي القصير ..

وقالت نانا في إصرار:

- لا .. طوليه شوية .. أنا ماليش دعوة بالموضة ..

ثم نظرت إلى ساقيها المنعكستين في المرآة .. إن بهما إعوجاجا خفيفا .. اعوجاجا قد لا يلحظه أحد .. ولكنها تلحظه دائما .. إنه الشيء الوحيد الذي تضافه ، وتحاول دائما أن تخفيه .. إن هذا الاعوجاج سبب لها عقدة نفسية .. فكلما نظرت إلى فتاة ، بدأت بالنظر إلى ساقيها .. وكلما قابلت فتى حاولت أن تشغله عن ساقيها .. وكلما جلست في مجتمع حرصت على أن تجلس وتضع ساقا فوق ساق حتى لا يبدو اعوجاج ساقيها إذا وضعت إحداهما بجانب الأخرى .. وكلما صنعت ثوبا أطالت ذيله حتى يغطى الاعوجاج .. هذا الاعوجاج الذي لا يلحظه أحد ..

واحنت الأم راسها فوق ذيل الثوب، وأطالته قليلا، ثم عادت تقول:

- كويس كده ..

وقالت ثانا وهي تشرب بعينيها من المرآة :

- كويس ..

وبدأت الأم تلتقط الدبابيس من بين شفت يها ، وتشبك بها ذيل الثوب .. وسادت فترة صمت .. ثم قالت الأم في صوت خفيض وهي تختار كلماتها ، كلمة كلمة :

- عزيزة هانم جاية تزورنا النهاردة ..

وقالت ناهد وهي لا تزال تشرب بعينيها من المرآة :

- أهلا وسهلا .. تأنس وتشرف ..

وقالت الأم وهي تتنهد كانها تستعين بانفسها على ابنتها المدالة:

- وحانقول لها إيه ..

وقالت ناهد وهي تتقصع أمام المرآة وبين شفتيها ابتسامة مغرورة:

قولى لها ما نعطلكيش ..

وقالت الأم وهى تحاول أن تتغلب على ضعفها أمام ابنتها ، وتحاول أن تبدو جادة :

-- آنا باکلمك جد يا نانا .. لازم ندى للست كلمة تريحها .. دى بقى لها سنة رايحة وجاية ..

وقالت نانا :

- يعنى عايزاني أقول لها إيه ..

وقالت أمها في صراحة:

- حا تتجوزيه ، ولا مش حاتتجوزيه ؟

وقالت نانا في عصبية :

- هره فيه حد بيتجوز في الصيف .. لما نرجع من اسكندرية يبقى يحلها ربنا ..

وقالت الأم وهي لا تزال ترشق الدبابيس في ذيل الثوب:

- وما تتجوزيش ليه وتسافرى معاه اسكندرية .. تبقى

اسمها تصييفة وشهر عسل .. وقالت نانا في ضيق :

- ده إحنا مسافرين بعد أربع أيام .. يعنى حاتصور في

أربع أيام .. أنا خلاص بقيت رخيصة عندكم للدرجة دى ..

وقالت الأم :

- على الأقل تسافرى مخطوبة .. ومحمد يحصلنا هناك ، ويبقى معاكى ، يسليكى ويفسحك ..

وقالت نانا:

- قصدك يطلع روحى على البلاج .. رحتى فين وجيتى منين .. والبسى ده وما تلبسيش ده .. لا يا ستى الله الغنى .. إذا ما كانش يستنى لما نرجع من اسكندرية ، يبقى بلاش .. وقالت الأم فى حدة :

- هو الجواز كمان له مواسم .. صيف إيه وشتى إيه .. عاجبك ولا مش عاجبك ، ده المهم .

ولم ترد نانا ، تشاغلت بالنظر إلى الرآة ، ثم قالت :

- الديل مش مضبوط قوى يا ماما ..

ولم تأبه بها أمها واستطردت:

- طاوعينى يا نانا .. ما طيريش الشاب من إيدك .. ده كويس وبيحبك .. وله مستقبل .

وقالت نانا ساخرة:

- ولغاية المستقبل ده ما يتحقق عايزاني أفضل عايشة بخمسة وعشرين جنيه في الشهر .. مش كده ؟!

وقالت الأم:

- وماله یا بنتی .. ده أنا اتجوزت أبوکی وهو باتناشسر جنیه .. ثم مین قالك إنك صاتعیشی بضمسه وعشرین .. ده عنده إیراد عشرة جنیه فوق ماهیته .. وأبوکی حایدیکی عشرة كمان .. یبقوا خمسة وأربعین .. عایزة إیه أكثر من كده ..

وقالت نانا :

 عايزة إنى ما أتكلمش فى الموضوع ده إلا بعد ما نرجع من اسكندرية .. وقالت الأم وكأنها تعرف خبث ابنتها:

- يعنى لا عايزة تقولى آه .. ولا عايزة تقولى لا ..

وقالت نانا وهي تزفر:

- إف يا ماما .. وحياتي عندك سيبينا من الموضوع ده ..

وتنهدت الأم ، ثم قالت وهي تقوم من جلستها على الأرض:

- طيب .. أما أشوف آخرتك إيه ..

واستدارت نانا أمام المرآة ، ثم صرخت :

– أي ..

وقالت أمها في لهفة:

- مالك .. قالت في دلال كأنها تهم بالبكاء:

- الدبوس شكني ..

ونظرت إليها أمها في عتاب ، وقالت :

- طيب روحى أقلعى الفستان يا حبيبتى واقعدى خيطيه ..

وسارت نانا فى خطواتها الحذرة ، وعادت إلى غرفتها ، وخلعت الثوب .. وظلت بقميصها الداخلى .. ثم نادت الخادمة الصغيرة ، وتعاونتا سويا على نقل « ماكنة الخياطة » من المر الذى يفصل بين الحجرات إلى داخل غرفتها .. وجلست تحيك الثوب وشعرها مهدل فوق جبينها .. وعقلها شارد .. ولم يشرد عقلها وراء الشبان الذين رأت صورهم فى المجلة الأسبوعية ، ولكنه شرد وراء محمد .. ومرت قصته معها فى خيالها كشريط سينمائى سريع .. لقد رأته منذ عام عندما سكن مع عائلته فى العمارة المجاورة .. رأت وجهه الأسمر الجاد ، وعينيه الضيقتين ، وشعره الكثيف الذى يملأ صدره ويطل من ثنايا قميصه المفتوح .. ثم رأت نظرته المهذبة التى ويطل من ثنايا قميصه المفتوح .. ثم رأت نظرته المهذبة التى

رأته كله عندما صادقت أخته وزارتها في بيتها .. وأعجبت به .. أعبجيت بالرجولة التي تفوح منه كعطر قوى جذاب .. وبالاحترام الشديد الذي يفرضه لنفسه على البيت .. على اخته ، وعلى امه ، وعلى أبيه أيضا .. وأعجبت بحديثه الهادىء الذي تسمعه كأنها تقرأ في كتاب جديد مفيد ، وصوته كأنه ينبعث من صدرها .. وعرفت عنه كل شيء .. عرفت أنه في السابعة والعشرين من عمره ، وأنه خريج كلية التجارة ، وأنه موظف في شركة مصر للتوريدات ، وأن مرتبه خمسة وعشرون جنيها .. ثم عرفت أنه يحبها .. رأت الحب في عينيه .. وفي لسة يده .. وفي تعمده أن يبقى في البيت كلما ذهبت لزيارة أخسته .. ولكنه لم يعلنها أبدا بحبه .. وانتظرت طويلا حتى تسمع منه كلمة حب .. كلمة غزل صريح .. إنتظرته ليحاول أن يحدد معها موعد لقاء .. بل تمنت لو حاول أن يقبلها .. وقد مرت فرص كثيرة كان يمكنه أن يستغلها .. كانت أخته تتركهما وحدهما ، وتغيب عنهما فترة طويلة .. ولكن ، لا .. إنه لا يجاول أبدا .. إنه لا يقبلها ولا يحدد معها موعدا للقاء .. وقد شجعته .. حاولت أن تمنحه الجرأة ليصل إليها .. كانت تعطيه من عينيها نظرات صريحة .. وكانت تبقى بدها في بده أكثر مما تعودت أن تبقيها في إيادي الناس .. وكانت تطرق معه أحاديث حساسة .. وتتعمد أن تبدو بكل دلالها .. ولكن ، لا .. إنها لا ترى من حبه إلا ما يبدو في عينيه ، وفي لمسات يده وهو يصافحها .. ورغم ذلك لم تيأس .. كانت لا تزال تنتظر أن يسعى للقائها .. ولا تزال تنتظر قبلته .. إنه لا يستطيع أن يعيش جادا مهذبا إلى هذا الحد .. وفصأة .. وبعد أن مرت سبعة شهور على انتقاله إلى الحي ، أرسل أمه لتخطيها ..

وفوجئت ..

لم تكن مفاجأة فسرحة ، كانت مفاجأة تشوبها خبية أمل .. وريما أرضت المفاجئة غرورها ، ولكنها حطمت حلما من أحلامها .. إنها لم تكن تحلم بالزواج به .. كان الزواج بالنسبة لها حلما بعيدا لم يأت دوره بعد .. ولكنها كانت تحلم بالحب .. كانت تحلم بأن يدفعها إلى الكذب على أمها لتضرج للقائه .. وكانت تحلم بأن تسير معه في حديقة الأسماك أو على كورنيش النيل .. وذراعها في ذراعه ، وقلبها خائف من أن يراها أحـد معـه .. ويذوب خـوفهـا في حـديثه ، وفي حـرارة التصاقها به .. ثم .. ثم قبلة سريعة خلف جذع شجرة .. ثم تنتظره كل صباح في النافذة وهو ذاهب إلى عمله ، وتنتظره مرة ثانية وهو عائد إلى بيته .. ثم يكتب لها خطابا .. خطاب حب .. ويلجأ إلى آلاف الحيل ليسلمه إليها ، دون أن تشعر أخته ، أو أحد من العائلتين .. وتكتب له خطابا وتلجأ هي الأخرى إلى آلاف الحيل لتسلمه إليه .. ثم تحيط بهما الهمسات .. والإشاعات .. ويمللًا حبه كل لحظات عمرها ، وينسبيها تطلعها إلى العالم الذي تكتب عنه المجلات الأسبوعية .. عالم الحفلات والسيارات وآخر الموضات .. يغنيها بحبه عن هذا العالم وعن كل ما فيه .. ثم بعد ذلك .. بعد كل ذلك .. يفكر معها في الزواج ..

واكنه لم يفعل شيئا من ذلك ..

لم يمنحها عالما من الحب ..

بل منحها الزواج .. فجأة .. وكأنه يطلبها إلى بيت الطاعة .. وقالت : لا .. لن تتزوج الآن .. إنها لا تزال في السابعة عشرة من عمرها ، وحرام أن تسجن نفسها في بيت الطاعة

وهى فى هذا العمر .. حرام أن تتنازل عن حريتها وعن أحلامها قبل أن تتمتع بالحرية ، وتجرب الأحلام .. وزاد فى إصرارها أن شقيقها معجب بمحمد .. كلاهما معجب بالآخر .. وشقيقها يقيد من حريتها .. ويغيظها .. ويكيد لها .. وكأنه وجد فى محمد نصيرا له فاعجب به .. وأصبحت هى تغتاظ من محمد كما تغتاظ من شقيقها ..

ولم تصل « لا » إلى محمد صريحة .. كانت أمها تأمل فى أن تستطيع يوما أن تقنع ابنتها بالزواج .. وكانت مقتنعة بأن محمد أصلح زوج لابنتها ، فظلت تماطل أمه ، وتتحجج لها بمختلف الحجج ، دون أن تقطع لها برأى ..

ومنذ تقدم محمد لخطبة ناهد ، أصبحت العلاقة بينهما يشوبها حرج كبير .. وارتباك .. علاقة لا هي حب ، ولا هي إعجاب ، ولا هي صداقة .. وكانت ناهد تصمم يوما على أن تقاطع شقيقة محمد ولا تزورها في بيتها ، حتى لا تراه .. وفي يوم آخر تجد دافعا قويا يدفعها إلى زيارتها لتراه .. ريما كان هذا الدافع هو غرورها .. وريما كان شيئا آخر .. ولكنها كانت تذهب إلى هناك ، وتجد محمد ، ويجلس معها .. ولكنه لا يتحدث كعادته .. إن حديثه فيه كثير من الحياء وكثير من الارتباك .. وهي أيضا لم تكن تستطيع أن تجلس معه كما تعودت .. كانت تحس بالضيق .. وكانت تنظر إليه من تحت جفنيها ثم تسائل نفسها : لماذا لا تتزوجه .. وتكاد تقنع نفسها بالزواج منه .. ثم فجأة تثور على نفسها .. تثور عليه .. لماذا تقدم إليها بالزواج ، قبل أن يتقدم لها بالحب .. لماذا لم يحاول أن يملأ حياتها ، ويملأ قلبها ، قبل أن يطلبها للزواج .. لماذا لم يساعدها على أن تعرفه أكثر .. لماذا لم يحاول أن يعيش في

داخلها ، بدل أن يظل يعيش أمامها ..

وكانت تتركه لتعود إلى أحلامها .. إلى الدنيا التى تقرأ عنها فى صفحات المجتمع بالمجلات الأسبوعية .. وتعود تحادث نفسها : « إذا كان يجب أن أتزوج ، فلماذا لا أتزوج شابا من هؤلاء الشبان .. لماذا لا أخرج من دنياى لأعيش فى دنيا أوسع .. دنيا فيها سيارات .. وعزب .. وثراء .. وثياب من عند بيير كلوفاس .. لماذا لا أتزوج زيجة تثير ضجة ، ويحسدنى عليها الناس ، وتتحدث عنها المجلات » ؟!

وكلما اقترب الصيف تشبثت بأحلامها أكثر .. إن سوق « العرسان » يعقد على الشاطىء كل عام .. وستختار زوجا من هذا السوق .. ستشتريه بجمالها وثوبها الأنيق ..

ورغم ذلك ، فلا تزال قطعة من قلبها حائرة .. قطعة ترفض أن تضحى بمحمد ..

وحركت ناهد قدميها فوق ماكينة الخياطة بسرعة وعصبية ، كانها تشوط بهما حيرتها .. تشوط بهما هذه القطعة من قلبها التي لا تزال تتردد ..

إنها ستجرى وراء أحلامها ..

وستحققها ..

...

واستعدت العائلة للسفر .. وضعت الثياب فى الحقائب .. وطويت السجاجيد .. وأعدت الخزين للشحن .. وأغلقت نوافذ حجرة الصالون وغطيت مقاعدها بالملاءات البيضاء .. وقالت ناهد وهي تساعد أمها في غلق آخر حقيبة :

أحنا حانسافر في درجة إيه ؟
 وقالت أمها وهي تبتسم فرحة :

- درجة أولى يا حبيبتى ..
 - وقالت ناهد:
- ما نسافرش في عربية تكييف الهوا ليه ؟
- وقالت أمها وهي تجلس فوق الحقيبة لتحكم غلقها:
 - يا ختى بلاش قنزحة .. ما هو كله قطر وأحد ..

وقالت ناهد وقد تركت ما في يديها والتفتت إلى أمها بكل عينيها:

- أنا ماسافرش إلا في تكييف الهوا .. أنا مش أقل من صاحباتي .. اشمعني يعنى مشيرة تسافر في تكييف الهوا .. وقالت أمها وهي تنظر لها بعينين غاضبتين :
 - وهي درجة أولى وحشة ..
 - وقالت ناهد:
- بس فيه أحسن منها .. واحنا لازم نكون في أحسن حتة .. احنا مش فقرا ..
 - وقالت الأم:
- عجايب .. بقى درجة أولى ، تبقى بتاعة الفقرا .. انتى فاكره يا بت انتى إن احنا فقرا .. ده أبوك فى الدرجة التالتة .. وقالت ناهد وهي على وشك البكاء :
 - ماليش دعوة .. أنا مش ممكن أتهزأ قدام صاحباتي ..
- ونظرت إليها أمها كأنها تحتار فيها .. ودخل الأب .. يرتدى
 - القميص والبنطلون ، وفي يده مجموعة من المفاتيح ، وقال :
- أنا اشتريت قفل جديد للباب .. وبلغت البوليس إننا
 مسافرين ، علشان ياخدوا بالهم من البيت ..
 - وقالت الزوجة وكانها لم تسمع كلامه :
 - اتفضل يا سيدي .. بنتك عايزة تسافر في تكييف الهوا ..

وقالت ناهد كأنها تلقى دفاعها:

- يا بابا كل البنات مسافرين في تكييف الهوا .. اشمعني إحنا ..

وقال الأب في حزم:

- حانسافر فى الدرجة الأولى .. كفاية كده .. من مدة تلات سنين ما كناش نقدر نسافر إلا فى الدرجة التانية .. إحمدى ربنا ..

وقالت ناهد وقد احتقن وجهها حنقا:

يا بابا ده الفرق في تمن التذكرة بسيط .. ما يجبش تلاتين قرش ..

وقال الأب في حدة:

إنشا الله يكون الفرق مليم واحد .. المسألة مسألة مبدأ ..
 وفيجأة انفجرت ناهد في البكاء .. وجرت إلى غرفتها ودموعها تسقط تحت قدميها .. وهي تصيح بين نشيجها :

- أنا ما تهزأش .. أنا مش أقل من الناس كلهم ..

ونظر أبوها وراءها في حنق وغيظ، ثم التفت إلى زوجته قائلا:

- انتى مدلعة البنت دى قوى يا منيرة .. أنا نفسى أقوم آخذها قلمين ، وأفش غللى فيها ..

وقالت منيرة وهي لا تزال تنظر وراء ابنتها:

- تعرف أن لها حق برضه ..

ونظر إليها كأنه يتهمها بالجنون:

'- إزاى باه ..

والتفتت إليه وبين شفتيها أجمل ابتسامتها ، وقالت كأنها فيلسوفة : - أصل الدنيا دلوقت بقت بتاعة مظاهر .. والبنات ما بتتجوزش إلا بالمظاهر .. اللى تركب فى عربية تكييف الهواء تتجوز جوازة .. واللى تركب فى درجة أولى تتجوز جوازة شكل تانى .. لا الأخلاق ولا الأصل ولا التعليم بقى ينفع .. كل ده ما بقاش يساوى حاجة .. المهم المظاهر ، والقنزحة ..

وقال وهو يكاد يصرخ:

- إيه الكلام اللى بتقوليه ده يا ست انتى .. عايزة تفهمينى إن بنتى حاتتجوز من قطر اسكندرية ..

وقالت منيرة وهي لا تزال تبتسم:

ليه لأ يا خويا .. يمكن واحد يشوفها في عربية تكييف
 الهواء . تلاقيه جاى يخبط على الباب تانى يوم ..

وصرخ:

- اسكتى .. انتى بتتكلمى زى المجانين بالضبط ..

وقالت وهي تقترب منه وتلصق كتفها بكتفه:

- ما تزعقش كده يا خليل .. اسمع كلامي وخد مني وادى . وقال محتدا :

- لا حاخد منك ولا أدى .. انتى وبنتك حاطيروا مخى .. انا نازل ..

وخرج الأب وهو يدق الأرض بقدميه كانه يتمنى أن يهدم البيت على من فيه .. وزوجته لا تزال تبتسم كانها واثقة من إقناعه .. واثقة من انتصارها عليه .. وظلت تتشاغل بإعداد الحقائب .. ثم أخذت تطوف بحجرات البيت .. ثم اتجهت إلى غرفة ابنتها ، وحاولت أن تفتح الباب ، فوجدته مغلقا من الداخل ، فنقرت عليه باصبعها ، قائلة :

- افتحی یا نانا .. افتحی یا حبیبتی ..

وكانت ناهد مستلقية على ظهرها فوق السرير وبين يديها إحدى المجلات ، وما كادت تسمع صوت أمها ، حتى ألقت بالمجلة تحت السرير ، وانكفأت على وجهها ، ومدت يديها وأخذت تشد في خصلات شعرها ، ثم ضغطت على أعصاب عينيها حتى انبثقت منها الدموع ..

وعاد صوت الأم يرتقع:

- افتحى يا نانا .. افتحى با أقول لك ..

وردت نانا وفي صوتها نشيج:

- مش حا أفتح .. مش عايزة أشوف حد ..

وقالت الأم وكأنها تتوسل:

-- افتحى بس .. حاقول لك حاجة تفرحك ..

وتلكأت نانا قليلا ، ثم قامت ونظرت إلى المرآة لتتأكد من أن عينيها حمراوان وشعرها مهوش ، ثم فتحت الباب ، وعادت والقت نفسها فوق الفراش .. ودخلت الأم ، ونظرت إلى ابنتها في اشفاق وقالت :

- احنا مسافرين نصيف ، ولا حانعيط ؟!

وقالت نانا وهي تخبط فوق وسادتها بقبضتيها:

-- مش عایزهٔ اسافر .. اهـی باینهٔ من اولها .. باینهٔ إنها نکد فی نکد ..

وقالت الأم:

- ما تزعلیش یا حبیبتی .. خلاص ، بابا وافق ، وحانسافر فی تکییف الهوا ..

ورفعت ناهد رأسها ثم قالت وهي لا تصدق أمها:

- مش باين .. انتى بتضحكى على .. ده أنا سامعاه بيزغق. وقالت الأم : - صدقینی حیوافق .. وإذا ما رکبتیش فی عربیة التکییف ما تبقیش ترکیی ..

واعتدلت ناهد جالسة فوق فراشها ، وهي تصبح فرحة :

- صحيح والنبي يا ماما ..

ثم لفت ذراعيها حول عنق أمها وقبلتها ، واستطردت :

- ربنا يخليكي لي يا ماما ..

وقالت أمها وهى تربت على ظهرها والسعادة ترفرف فوق وجنتيها:

- قومى بأه أغسلى وشك ، وتعالى نشوف إيه اللى فاضل ورانا ..

...

وانشغلت العائلة طول اليوم في الاعداد للسفر .. ونامت نوما تقلقه الفرحة بالانتقال إلى المصيف .. واستيقظ كل أفرادها في الساعة الخامسة صباحا .. وأعدوا أنفسهم للذهاب إلى المحطة .. وحملتهم سيارة أجرة .. ووقف الأب يشرف على عملية انزال الحقائب وتحميلها للشيالين ، ثم التفت إلى ابنه قائلا :

- روح انت يا سامى ركب البت فتنه فى الدرجة التالتة ..
 ثم التفت إلى الخادمة الصغيرة قائلا :
- خدى التذكرة بتعاتك أهيه .. تبتى عليها كويس .. وأوعى تنتقلى من مطرحك إلا لما نيجى ناخدك في محطة سيدى جابر. وقالت فتنة وهي تبتسم:
 - حاضر یا سیدی ..

ثم نظرت إلى ناهد نظرة حب وإعــجـاب .. وســارت مع سـامى .. والتفـت خلفها بعد بضـع خطوات لتنظر إلى ناهد

نظرة أخرى فيها مزيد من الحب ، ومزيد من الإعجاب ..

وسارت ناهد بين أبيها وأمها ، وركبوا القطار ..

ركبوا في عربة تكييف الهواء ..

وتحرك القطار ..

ونظرت ناهد حولها ، تتفحص وجوه الركاب .. وامتلا وجهها بخيبة الأمل .. كلهم عجائز لا تعرف أحدا منهم ، ولم تر صورة أحد منهم في المجلات .. ولا أحد منهم ينظر إليها أكثر من نظرة عابرة .. وفتحت مجلة وأخفت وجهها خلفها ، كانها تداري خيبة أملها ..

والأستاذ خليل جالس قبالة زوجته ، ينظر إليها في غيظ ، كانه يسالها عن هذا « العريس » الذي سيطرق الباب غدا ..

...

ووصلوا إلى الاسكندرية .. شقة صغيرة متوسطة الحال ، في أحد الشوارع الخلفية بمنطقة سيدى بشر ..

وما كاد سامى يدخل الشقة ويطوف بها ، حتى نزل مسرعا متجها إلى الشاطىء .. ولم تفكر ناهد فى الذهاب إلى الشاطىء .. ستبقى فى البيت إلى الغد .. وأخرجت ثيابها من الحقائب .. ثم وضعت المكواه فوق وابور الجاز .. وبدأت تكوى أول ثوب بيديها ، وأرسلت ثوبين آخرين إلى الكواء .. وفردت « الجيونات » فوق الشماعات .. و ..

وفى اليوم التالى ذهبت إلى الشاطىء .. شاطىء ميامى .. ذهبت فى الساعة الحادية عشرة والنصف .. إنها تعلم أن البنات الارستقراطيات يجب ألا يذهبن إلى الشاطىء قبل الساعة الحادية عشرة ..

والتقت بمديقاتها .. صديقات الصيف ، وزميلات أيام

المدرسة .. وحسيت كلا منهن فى فرحة ، وهى تنظر إلى الثوب الذى ترتديه لتتاكد من أنه لا يزيد أناقة عن ثوبها .. نعم ، إن ثوبها أكثر أثواب البنات أناقة .. ثوب « شوال » من قماش التيل مخطط بخطوط زرقاء وحمراء وصفراء .. إنه مظاهرة تهتف بجمالها وتزفها إلى عرش الشاطىء .. عرش ميامى ..

وجلست بجانب صديقتها مشيرة تحت شمسية تضم شلة كبيرة من البنات .. واختارت أن تجلس فوق مقعد صغير ، لا على الرمل كما تجلس مشيرة .. إنها تعرف كل الأصول .. فإذا كانت مرتدية ثوبا شوالا فيجب أن تجلس على مقعد صغير حتى يبدو جمال الثوب ، وإذا كانت مرتدية ثوبا واسعا فمن الأفضل أن تجلس على الرمل وتقرد الثوب حولها ليبدو جماله أوضح ..

وجرت الأحاديث بين البنات .. كلهن يتحدثن ، وكلهن يستمعن .. وكلهن يضحكن .. وكلهن يتبعن من بعيد مواكب الشبان وهم يسيرون على الرصيف الملاصق لصف الكبائن ..

وصاحت نبيلة:

- عبدالحليم حافظ أهو .. يا اختى عليه .. تعرفي إنه خاسس شوية ..

وقالت ناهد وهي تهز كتفيها:

- ده بقه مغرور قوی .. شوفی ماشی یزحف برجلیه إزای.
 وقالت سعاد :
- حرام عليكى .. ولا مغرور ولا حاجة .. هم البنات اللى مزهقينه في عيشته ..

وقالت ناهد:

- أنا ما يعجبنيش .. صحيح يعجبني صوته .. إنما هو ، لا .

وتتبعت بعينيها عبدالحليم حافظ وهو يسير بجوار صف الكبائن .. وانطلق خيالها .. هل يمكن أن يحبها عبدالحليم .. ويغنى لها .. ويعرف الجميع أنه يحبها .. وتكتب المجلات عنه وعنها .. و .. يتزوجها ..

ولم تستمر فى خيالها طويلا .. طردت عبدالحليم من راسها . إنه خيال لا جدوى من ورائه . خيال لا يمكن أن يتحقق ..

وعادت تنظر من تحت جفنيها إلى مواكب الشبان .. وتعلقت عيناها بشاب آت من بعيد .. وأحست كأن قلبها يكاد ينخلع .. وأده هشام .. وخصلة من شعره تطير فوق جبينه .. وقميصه الأبيض الشفاف يضبح فوق صدره ، ويكشف عن جلده الاسمر .. وبنطلونه الأزرق يتعلق بأسفل خصره .. وعيناه الواسعتان الساخرتان .. وشفتاه الرقيقتان القويتان .. إنها تراه هكذا كل عام .. إنه لم يكن صغيرا أبدا ، ولا يكبر أبدا .. إنه هكذا دائما .. وهي تعرف عنه كل شيء .. إنه ابن الدكتور عبداللطيف .. وهو طالب في كلية الطب .. ويملك سيارة «أولدزموبيل ، موديل « ٧٥ » .. وأخته تزوجت في العام الماضي .. وفي العام الماضي كان يحب صافيناز خيرت ..

وقالت مشيرة هامسة ، كأن صوتها اختنق من فرط إعجابها :

شوفى الشوشة اللي جاية دى ..

وارخت ناهد عينيها ، وقد خشيت أن تكون صديقتها قد لاحظت تعلقها بهشام ، وقالت :

- قصدك مين ؟

وقالت مشيرة:

- هـشـام عبد اللطـيف .. نفسـى أمـد إيدى وأشـده من شوشته .. وأخلص ..

وقالت ناهد:

- دمه تقیل ..

وقالت مشيرة في حماس :

- والنبى تتلهى .. كله إلا هشام!

وقالت ناهد في إهمال : -- مش هو ده التي بيحب صافيناز خيرت ..

وقالت مشيرة:

ما سابو بعض من آخر الصيف اللى فات ..

وزغرد قلب ناهد في صدرها وهمت أن تقوم من مقعدها ، وتجرى إلى هشام وتلقى بنفسها في قلبه قبل أن تشغله بنت أخرى .. ولكنها ضبطت أعصابها ، وكتمت فرحتها ، وظلت جالسة في مكانها .. إنها تعلم أن من تقاليد البنات الارستقراطيات ألا يبدأن في التمشى على رصيف الشاطىء قبل الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .. وهي تريد أن تعرض جمالها وثوبها على هشام .. ولكن ليس قبل الساعة الواحدة والنصف .

وظلت ترقب هشام فى نظرات مختلسة لا تلحظها صديقتها .. لقد دخل إلى الكابين .. إنه يلعب الطاولة مع صديقه .. إنتهى من لعب الطاولة .. إنه يضحك .. إنه قام وجلس فوق سور الكابين ، وعيناه الواسعتان تلتهمان البنات .. وأصبحت الساعة الواحدة والنصف ..

وقامت ناهد تتمشى مع صديقتها مشيرة على رصيف الشاطيء ..

ومرت من أمام هشام .. ولحت عينيه تتعلقان بها .. ولكنها لم تلتفت إليه ، ولم تبتسم .. كانت جادة .. غاية الجد .. والتفت إلى صديقتها لتحادثها .. لتقول لها أى كلام .. فوجدتها تبتسم .. لمن تبتسم .. لهشام ؟

وأمعنت النظر في وجه صديقتها .. إنها جميلة .. إنها منافسة خطرة .. وقالت لها في حدة ، تصاول أن تخفيها بابتسامتها :

- بتضحكي لمين ؟
 - وقالت مشيرة:
 - أبدا ..
 - وقالت نامد:
- لا يا شيخة .. تكونيش بتضحكي لي أنا ..
 - وقالت مشيرة وهي تضحك:
 - -- يمك*ن* ..

وكتمت ناهد حدتها .. وبدأ عقلها يعمل بسرعة .. يجب أن تتخلص من صديقتها هذه .. يجب ألا تتمشى معها .. إذا كانت ستنافسها في هشام ، فخير لها أن تنافسها من بعيد ، حتى لا تحمل الثعبان داخل ثوبها ..

وانتهيتا إلى آخر الشاطىء .. واستأذنت من صديقتها فجأة وقالت مشيرة :

- اخصى عليكى ، حاتسبينى أرجع لوحدى ..
 - وقالت ناهد وهي تفتعل ابتسامة كبيرة:
- معلهش والنبى يا موشى .. اصل ماما مستنيانى فى نمرة اتنين .. باى باى ..

وتركت صديقتها فجأة ، وذهبت في خطوات سريعة إلى

أمها وأبيها على شاطىء سيدى بشر نمرة « ٢ » .. وعقلها يدور ويدور .. يدور أسرع من خطواتها ..

وقضت بقية اليوم ، وطول الليل ، تضع خطتها .. وتعيد وتقلب في تفاصيلها .. وخيالها ينطلق .. وينطلق .. حتى رأت بخيالها صورتها بجانب هشام منشورة في المجلات .. صورة الزفاف ..

وفى اليوم التالى ذهبت إلى الشاطىء ، واختارت شلة أخرى من البنات تجلس معها .. شلة ليس بينها مشيرة .. وفى الساعة الواحدة والنصف ، قامت تتمشى مع صديقة أخرى .. بنت قصيرة ليست جميلة أبدا ..

ومرت من أمام هشام ..

ولحت عينيه تتبعانها .. ثم سمعت صفيرا خافتا ينطلق من بين شفتيه .. ثم أحست به يقفر من فوق سور الكابين ويسير وراءها بضع خطوات .. إنها تستطيع أن تراه دون أن تلتفت خلفها .. كأن لها عينين في مؤخرة رأسها .. إنها تراه بإحساسها .. بالحاسة السادسة .. ولم تبتسم .. لم تبتسم له . إنها جادة .. غاية الجد .. لم يحن بعد موعد الابتسامة ..

وفى اليوم التالى ابتسمت .. ابتسامة خفيفة ..

ولمح هشام ابتسامتها ، ولكز زميله بكوعه وقال :

- علقت .. عن أذنك بأه ..

وسار خلفها ..

وأحست به خلفها .. وتحركت العقدة التي تعانيها دائما .. خافت أن يلحظ الاعوجاج الخفيف في ساقيها .. الاعوجاج الذي لا يلحظه أحد .. وارتبكت خطواتها قليلا .. ولكنها طمأنت نفسها بأن ثوبها طويل إلى الحد الذي يخفي عيبها .. وأخذت

تحادث صديقتها كأنها لا تحس به .

سار خلفها طويلا .. وكانت تعرف ماذا يريد .. إنه ينتظر إلى أن يصلا إلى آخر الشاطىء حيث يخف زحام الناس ، ثم يتقدم ليحادثها ..

وقبل أن تصل إلى آخر الشاطىء .. تركت الرصيف ، وقفرت فوق السور الحجرى الذى يفصل بين صف الكبائن ورمال الشاطىء .. وسارت فى الرمل إلى أن وصلت إلى شمسية يجلس تحتها بعض صديقات والدتها ، وجلست معهن .. وهى تبتسم فى صدرها .. لقد تعمدت أن تفسد خطته .. يجب أن تعذبه وراءها .. تعذبه قليلا ..

ووقف هشام ينظر إليها دون أن يتبعها فوق الرمال ..

وأخذ يهرش في رأسه .. وبين شفتيه ابتسامة ساخرة كأنه يعرف أنها تتعمد أن تتعبه وراءها ..

ومرً اليوم ..

وفى اليوم التالى ابتسمت له ابتسامة أكبر .. وقام يسير خلفها .. وسارت أمامه حتى نهاية السشاطىء ، وقدرت أنه هنا سيقدم على التحدث إليها .. وقبل أن يقدم ، التفتت إليه فجأة وفى عينيها نظرة غضب مفتعلة ، وشفتيها ترتعشان بابتسامة ، وقالت فى حدة أقرب إلى الضحك :

- عايز إيه ؟

وفوجىء هشام .. وابتسم ابتسامة بلهاء .. ولكنه أفاق من المفاجأة سريعا ، ووقف قبالتها ، ووضع يديه على خاصرتيه ، وقال وهو ينظر إليها بعينيه الساخرتين :

- عايزك !

قالت وهي لا تزال تفتعل الحدة:

- عايز مني إيه ..
- قال وابتسامته تتسع:
- عايز امشى وراكى طول عمرى ..
 - قالت وقد خفت حدتها:
 - دمك تقيل ..
 - قال :
 - خفة دمك تكفينا إحنا الاتنين!
 - قالت وهي تبتسم له في تحد:
- ما أظنش .. دمى مش خفيف للدرجة دى .
 - قال دون أن يرتبك:
 - -- انتى حاتعملى إيه النهارده بعد الضهر ..
 - قالت :
 - مالكش دعوة!
 - قال:
 - ویکره ؟
 - قالت:
 - برضه مالكش دعوة ؟
 - قال :
 - وزي النهاردة ، السنة الجاية ؟
- وضحكت ناهد .. ضحكت من كل قلبها .. ثم قالت :
 - -- تعرف أن دمك مش تقيل قوى ..
- وقال وقد سحب ابتسامته ، ونظر إليها نظرة جادة :
- أنا لازم أشوفك يا نانا .. فيه حاجات كتير عايز أقولها
 - لك ..
- قالت وهي تبتسم ابتسامتها الواسعة ، ووجنتاها ترتعشان:

- وعرفت اسمى منين ؟

قال :

-- أنا عارف كل حاجة عنك.. وعارف إنى لازم أشوفك.. و.. قالت في عجلة كأنها تذكرت شيئا:

- مش دلوقت بأه .. بعدين ..

وتركته دون أن تحييه ..

ووقف يتبعها بعينيه ..

وسارت بضع خطوات ، ثم التفتت إليه ، ومنحته ابتسامة أخرى .. وتلقى هشام الابتسامة ثم استدار وسار متجها إلى كالله .

ولم تكد ناهد تسير بضع خطوات أخرى ، حتى وجدت محمد أمامها ..

وأحست كأن يدا قد امتدت لتخنق أحلامها ..

أحست بقطعة من قلبها تتململ وتثور .. القطعة الحائرة .. ووقفت ناهد ..

ولا تدرى لماذا وقفت ، لقد كانت تفضل أن تستمر فى سيرها ، وتكتفى بأن تحيى محمد بهزة من رأسها .. ولكنها وقفت .. كأنها أفاقت من حلم .. وأحست بنفسها تعود فجأة إلى شارع الملك .. إلى عالم لا تكتب عنه المجلات ، وليس فيه شبان يملكون سيارات .. عالم كل شاب فيه موظف يتقاضى خمسة وعشرين جنيها فى شهر ، ويفكر فى الزواج قبل أن يفكر فى الحب ..

وسبقتها صديقتها ووقفت بعيدا عنها ببضع خطوات .. ومد لها محمد يده ، وقال في صوته الحاد الليء وبين شفتيه ابتسامة ضيقة : - ازيك يا ناهد .. الحمد شعلى السلامة .. وإزى عمى وطنط وسامي ..

ووضعت يدها فى يده ثم جذبتها سريعا كانها تخاف ان يسرق من خلالها أحلامها ، وقالت وهى تنظر إليه بعينين مرتبكتين :

- الله يسلمك .. وازى طنط .. خديجة جت معاك ؟! قال وهو ينظر إليها بعينين ملؤهما حب هادىء :
- لا والله .. حا يحصلونى بعد يومين .. وأنا قلت أسبقهم قبل أجازتي ما تخلص .. انتم نازلين فين ؟!

وعادت تنظر إليه بعينين مرتبكتين وهي تسائل نفسها: هل شاهدها وهي تصادث هشام .. ثم أحست بالثورة على نفسها لهذا التسساؤل .. ماذا يهمها إذا كان قدد شاهدها أو لم يشاهدها .. إنه لا شيء بالنسبة لها ، فلماذا تقيد نفسها به .. ولماذا تخافه ..

وقالت وهي تتعمد أن تبدو باردة:

نازلین فی سیدی بشر ..

وقال محمد ونظرته ثابتة:

-- فين بالضبط .. ولا مش عايزاني أزوركم ..

قالت في سرعة كأنها تريد أن تتخلص منه :

- فى شارع الطفولة السعيدة .. نمرة ١٨ .. جنب المحطة .. عن اذنك بأه ، أصلى اتأخرت على ماما .. أوريفوار ..

وصافحها .. ثم وقف يتبعها بعينين مهذبتين ..

وسارت مبتعدة عنه كأنها تقر منه .. ووجدت نفسها تقارن بينه وبين هشام .. وأحست كأنها تتعمد أن تظلمه في هذه المقارنة .. إنه إنسان جاد .. إن الحياة لا تبتسم من حوله .. إنها لا تستطيع أن تفكر فيه إلا وتفكر في مسئوليات الحياة .. كلما تصورته تصورت نفسها في المطبخ تعد صينية بطاطس ، أو تخرط الملوخية .. وتصورت نفسها حاملا .. بطنها منتفخ .. وتصورت نفسها تحاسب البقال والجزار كما تفعل أمها .. ولكن هشام .. إنها كلما تصورت هشام ، تصورت نفسها في مغامرة غرامية عنيفة ، يذوب فيها قلبها وعقلها .. وتصورت نفسها تفسيها تضحك وترقص ، وتشترى ثوبا جديدا .. وتركب سيارة «أولدن موبيل » موديل « ٥٩ » .. ورغم ذلك فإن قطعة من قلبها تحس بأنها تلا تريد أن تقتنع بهذه المقارنة .. قطعة من قلبها تحس بأنها تظلم محمد .. تظلم رجولته القوية .. وتظلم خلقه المهذب .. وتظلم حبه لها .. الحب الجاد الذي لا يعرف سوى الطريق المستقيم ..

وعادت تتساءل .. لماذا لم يحاول محمد أن يحدد معها موعد لقاء كما يحاول هشام .. لماذا يا ربى .. لماذا لا يحاول أن يملأ حياتها بالحب .. والمغامرة .. لماذا لا يحاول أن يملأ أحلامها ، قبل أن يحملأها غيره .. ولكن ، لا .. إنه لا يسالها عن موعد لقاء ، ولكنه يسالها عن عنوان بيتها حتى يذهب ويجلس مع أبيها وأمها ، وكأنها وحدها ، بلا أبيها وأمها ، لا تستحق أن يجلس معها ، في موعد مختلس .. كأنها شيء يتفق عليه مع الأب والأم ..

لا .. إنها لن تستجيب الى هذه الصياة .. لن تضيع عمرها يلا مغامرة حب . ستنطلق .. ستنطلق مع هشام ..

ونظرت إليها صديقتها وهي تحاول أن تحلق بخطواتها السريعة .. وقالت وعيناها تلمعان :

- مين اللي كنت بتكلميه ده ؟

والتفتت إليها ناهد في دهشة ، وقالت :

- ليه .. عاجبك ؟!

وقالت فايزة:

- باین علیه راجل .. مش زی الشبان المرقعین .. أنا یعجبنی أکثر من هشام ..

وقالت ناهد وهي تسحب عينيها بعيدا عنها:

- انتى طول عمرك ذوقك وحش .. على كل حال أما نقابله النوبة الجاية حاعرفك بيه ..

وقالت فايزة في حرارة:

- لأ .. مش عايزاه .. ده باين عليه بيحبك قوى ..

واستراحت ناهد عندما سمعت صديقتها تشهد بحب محمد لها .. ولكنها طردت هذه الراحة من قلبها ، ومن عقلها .. وعادت تنظر إلى صديقتها في نظرات مختلسة .. إنها ليست جميلة .. وفتاة ليست جميلة يكفيها أن تطمع في شاب مثل محمد .. مرتبه لا يزيد عن خمسة وعشرين جنيها في الشهر .. شاب يتروجها قبل أن ينعم معها بالحب ، وكأنه يطلبها إلى بيت الطاعة .. أما هي .. ناهد .. فهي جميلة .. ومن حقها أن تنعم بالحب .. من حقها أن تطمع في دنيا براقة ، تفيض بالذهب ، والأنغام ، والثياب الأنيقة .. من حقها أن تطمع في هشام ..

وعادت إلى بيتها وقد قررت ألا تقدم محمد إلى فايزة .. لا تدرى لماذا .. ولكنها لن تقدمه لها ، كانها تأبى أن تقرضها ثوبها ..

4

وفى اليوم التالى ذهبت ناهد إلى الشاطىء .. وقامت تتمشى وقام هشام يسير خلفها .. وكانت قد قررت أن تمنحه فرصة أخرى ليحادثها .. ولكنها كانت عصبية .. كانت تشعر بنوع من الخوف .. ممن تخاف .. إنها تخاف أن تلتقى بمحمد .. ولكنها ترفض أن تعترف بأنها تخاف محمد .. إنها لا تخاف .. ولا تخاف أن يراها تحادث هشام .. إنه لا يملك حقا عليها .. ولا يهمها أن يغضب أو يلقى بنفسه فى البحر .. ورغم ذلك فهى تخاف .. نوع عجيب من الخوف .. قلبها يضرب .. ومفاصلها سائبة .. وأعصابها مشدودة .. كأنها مقبلة على مغامرة كبرى ..

ووصلت إلى آخر الشاطىء .. ثم صعدت السلم المؤدى إلى صخور بير مسعود ، ثم انحرفت فجأة ، ودخلت فى ممر ضيق يفصل بين كبينتين .. ولحق بها هشام .. ووقف قبالتها .. وخصلة من شعره تطير فوق رأسه ، وقميصه الأبيض الشفاف يضع فوق صدره الأسمر ، وبنطلونه يدعلق بأسفل خصره .. وعيناه الواسعتان الساخرتان .. وشفتاه الرقيقتان القوبتان ..

وقالت ناهد في همس مبهور:

- ما تقفش قدامي كده .. أنا خايفة حد يشوفني ..
 - وقال هشام وعيناه الساخرتان تبتسمان:
- ما فيش حد حايشوفنا .. ولو حد شافك أبقى قولى إنى أخوكي ...
- وقالت ناهد وهي تنظر إليه ورموشها ترتعش فوق عينيها:
- أنا منا بهنرس دلوقت يا هشنام .. أصل طنط سناعات بتفورت من هنا ..
 - قال وهو يضع يديه في خاصرتيه:
 - أحسن حاجة ، أروح أجيب العربية و ..
 - وقالت تقاطعه ، وهي تفتعل الجزع:
 - يا خبر .. عايزنى اركب معاك العربية .. مش ممكن ..
 - قال :
 - طيب ننزل البحر ..
 - قالت:
- لا .. مش ممكن برضه .. ده أخويا ما بيخرجش من
 - البحر !
 - قال :
 - ما فيش إلا إنى أروح أأجر طيارة ، وأقعد أكلمك فيها ..
 - قالت وهي تبتسم ابتسامة كبيرة:
- أهى دى فكرة كريسة .. أول ما تجيب الطيارة ، حاستناك فوق سطوح بيتنا ..
- ولم يضحك هشام .. ولكنه مد يده والتقط يدها وضغط عليها بقوة ، وقال في صوت صارم :
- نانا .. أنا لازم أشوفك .. حرام عليكى تضيعى عمرى وعمرك بالشكل ده ..

وأحست كأنه يعصر يدها .. لم تحس بالحب الذى تلمسه في يد محمد ، ولكنها أحست بشيء آخر ، لم تستطع أن تفسره ..

شىء خطر .. شىء مختلس مسروق .. شىء يجعلها تخاف .. تخاف من نفسها .. ورغم ذلك فقد أحست بيدها تلتصق بيده .. كانها التقت بأحلامها .. وبذلت مجهودا لتسحب يدها منه .. وقالت وصوتها يرتعش :

- -- سيبنى دلوقت يا هشام .. أنا خايفة حد يشوفنا قال فى إصرار:
- مش حاسبیبك .. حافضل واقف قدامك كده ، لغایة
 ما تقولیلی حاقایلك إمتى ، وفین ..

قالت وهي تنظر إليه كأنها معجبة بإصراره:

- يوه يا هشام بأه .. من فضلك أوعى من وشى ..
 - قال وهو ينظر إليها بكل عينيه:
 - قولى لى الأول حانتقابل إزاى ..

قالت وهي تتنهد في افتعال كأنها غلبت على أمرها:

- في البحر .. الساعة خامسة .. أوعى بأه!
- وابتسم هشام في اعتداد ، وكأنه فاز بها ..

ثم انحرف من أمامها ، وتركها ثمر من المر الضيق وقال :

- بای ..

قالت وهي تبتسم له:

- بای ..

ثم عادت تسير فى خطواتها السريعة .. وهى تسأل نفسها : هل تسير خطتها كما أرادت لها ، أم أنها تسرعت قليلا .. ألم يكن من الأفضل لها أن تؤخر موعدها الأول معه ،

بضعة أيام .. وهل تستطيع الآن أن تخلف موعده .. ولكن ربما كان عنيدا ، فيهملها إذا أخلفت موعدها ، ويبحث عن بنت أخرى .. لا .. إذها لا تستطيع الآن أن تخلف موعده ..

وعادت في الساعة الرابعة إلى الشاطيء ، وجلست مع صديقتها فايزة تحت الشمسية .. ولحت هشام جالسا في الكابين ، وهو مرتد «المايوه » كأنه مرتد الثوب الرسمي للقائها .. وصدره الأسمر العارى يلوح أمامها كمرآة سمراء تزغلل عينيها ..

وقلبها يضفق .. إنها لا تزال خائفة .. وتتلفت حولها لفتات عصبية .. وتتمنى على الله ألا يأتى أخوها .. أو .. محمد .. ولكن لماذا تذكر محمد دائما .. ماذا يهمها منه .. إنها مقدمة على مشروع ضخم يحقق أحلامها .. مشروع سيحملها بعيدا عن محمد وأخت محمد ودنيا محمد .. فلماذا تفكر في محمد ..

وحاولت أن تطرد محمد عن رأسها .. ولكنه كان لا يزال يطل من خيالها في كل لفتة ..

وأصبحت الساعة الخامسة إلا ربعا .. ولمحت هشام يروح ويجىء أمام عينيها ، كانه يذكرها بالموعد .. وتمنت أكثر ألا تذهب إلى هذا الموعد .. إنها تحس أنها ستعدل عنه .. تحس أنها حمقاء غبية ، إذ قبلت أن تحدد موعدا معه .. ولكن كان هناك دافع آخر يدفعها إليه .. كأن رائحة شواء لذيذ تشدها من أنفها .. ووجدت نفسها تقوم وهي تتنهد ، كأنها تعبت من حيرتها .. ثم انحنت فوق اذن قايزة وهمست :

- أنا نازلة البحر .. وإذا جه الواد أخويا أوعى تخليه ينزل ورايا ..

وابتسمت فايزة ، كأنها فهمت كل شيء ، وقالت في هدوء :

- ما تخافيش .. حا أقعد ألاعبه السيجة !

ثم سارت إلى كابين صديقتها مشيرة حيث كانت تحتفظ فيها بالمايوه ، ودخلت صائحة في مرح متكلف :

- مش نازلة البحريا موشى ؟

وقالت مشيرة وهي تنظر إليها ساخرة:

- لا يا أختى .. سبت البحر واللي فيه لك ..

وضحكت ناهد ثم دخلت إلى غرفة الكابين .. وخلعت ثيابها ، ثم وقفت أمام المرآة ، تصلح من شعرها ، وتعيد وضع الأحمر الخفيف فوق شفتيها .. ثم خرجت وهي ممسكة بقبعة البحر الجلدية تلوح بها في يدها ..

وقالت مشيرة وهي تنظر إليها ولا تستطيع أن تضفي حقدها:

- أنا شايفة المسائل ماشية بسرعة قوى ..

وقالت ناهد وهي تحاول أن تضحك :

-- أبدا والله ، لا مسائل ولا حاجة .. ده أنا نازلة البحر لوحدي ..

وقالت مشيرة سأخرة:

- طيب أرعى تغرقى .. خليكي على الشط أحسن لك ..

وقالت ناهد وهي تبتسم ابتسامة تحد:

- ما تخافیش علی ..

وتركتها واتجهت إلى البحر وهي تضع يديها أمام ساقيها كأنها تخفيهما حياء .. ثم أخذت تعدو كأنها تهرب من عيون الناس .. أو تهرب من عقدتها .. من الاعوجاج الخفيف في ساقيها . واختفت ابتسامتها .. وعادت إليها حيرتها .. ماذا تفعل .. ولماذا تنزل البحر مع هشام .. ولكنها لا تستطيع أن

تفعل شيئا آخر .. إنها لا تستطيع أن تعيش بلا أحالم .. ولا تستطيم أن تعيش دون أن تجرب أحلامها ..

ووضعت القبعة الجلدية فوق رأسها وخاضت بقدميها في الماء .. وأحست أن الماء لزج يلتصق بجلدها .. وأحست أن الملل أصاب قلبها .. واستمرت تضوض في الماء .. وكانت واثقة أن هشام يتبعها .. إنه وراءها ، أو على يمينها ، أو على يسارها .. لا تدرى .. ولا تريد أن تلتفت باحثة عنه .. وأصبح جسدها كله في الماء ، وبدأت تحرك ذراعيها وساقيها ، سابحة .. وهي ساهمة .. عقلها شارد .. لا تستطيع أن تركزه في شيء .. ثم أحست به قريبا منها ، يضرب الماء بذراعيه في قوة ، ويقبل عليها كأنه « لنش » يكاد يدهمها ..

والتفتت إليه بسرعة ، وقالت في ذعر:

- أبعد دلوقت يا هشام .. استنى لما نخش جوه شوية !
ولم تكن تخاف أن يراها أحد ، ولكنها كانت تريد أن تؤجل
موعدها معه ولو بضع دقائق أخرى ، ريشما تستجمع
شجاعتها ، وصفاء عقلها .

ولم يبتعد عنها هشام .. ظلت تسبح ويسبح بجانبها ، إلى أن وصلت إلى «البرميل» الأحمر .. فتعلقت به كانها تتعلق بالخطر .. وتعلق به هو الأخر .. وقال وهو يقذف براسه إلى الوراء في عنف ، لينقض عنها الماء :

- ما تكملي لغاية الصخرة ..

قالت وهي تختبيء بوجهها خلف البرميل:

- لأ .. هذا كويس ..

قال:

- على كل حال كويس إننا وصلنا لغاية هنا النهارده .. أنا

كنت خايف إننا ما نوصلش لحتة أبدا .. ده انتى بقالك جمعة مخلياني زى المجنون .

قالت وقد استعادت صفاء ذهنها:

- وطبعا بكره حانوصل لغاية الصخرة .. وبعد بكره حاركب معاك في العربية .. مش كده .

ونظر إليها في إصعان كأنه يحاول أن يرى ما في رأسها ، وقال مبتسما :

- كده تمام ..

قالت:

-- وبعدين ..

قال كأنه يتحداها في جرأتها :

- وبعدين حابوسك ...

قالت دون أن تبدو عليها المفاجأة:

- وبعدين₋..

قال :

- أول ما نوصل للبوسة ، حاقول لك بعد كده فيه إيه ..

وسكتت .. أحست أنه سيخلبها فى هذا الموضوع ، وإنها لو استمرت فيه فستشجعه على مزيد من الوقاحة .. وظلت ساكنة ، بينما هو يحاول أن يدور حول البرميل ليلتصق بها .. ثم قالت فجأة :

- وإزاى صافيناز ؟

وخفتت وقاحته ، وقال في صوت مرتبك :

- صافیناز مین ؟ «"

قالت وهي تبتسم:

– قوام نسيتها .، صافيناز خيرت ..

قال وهو لا ينظر إليها كأنه يخشى أن ترى عينيه:

- آه .. ما خلاص .. كل سنة وانتى طبية !

قالت:

- هوه أنت كل سنة لك وأحدة!

قال:

- فيه واحدة تستحمل شهر .. وواحدة تستحمل سنتين .. على حسب ..

ثم نظر إليها وقال وفي عينيه نظرة جادة :

- أنا متهيأ لى إننا نقدر نستحمل بعض طول العمر ..

ونظرت إليه كأنها تحاول أن تصدقه .. ماذا يعنى .. هل يعنى الزواج .. أو أنه مجرد كلام يغريها به .. ورغم هذا فقد أثار هذا الكلام أحلامها من جديد .. بدد خوفها .. وبدد حيرتها .. وأقبلت على تنفيذ خطتها كما وضعتها ..

وسدت أنفها وغطست فى الماء كأنها تغطس فى أحلامها .. ثم ظهرت مرة ثانية فوق سطح الماء ، وعلى شفتيها ابتسامة كبيرة وقالت :

- الكلام ده قلته لكام واحدة قبل كده ؟!

قال وهو يقترب منها:

- قلته لكتير .. إنما ما قدرتش أحققه .. ونفسى موت إنى أحققه .. تعرفى إن ماما شافتك أول إمبارح وقالت عليك أجمل واحدة على البلاج ..

قالت :

- صحیح .. مـرسى .. دول بیقولوا علیها إنهـا ست لطیفة قوی ..

واتسعت أحلامها .. لم تكن تعتقد أن الاحلام يمكن إن

تقترب من الحقيقة بهذه السرعة .. أم أنه يكذب عليها .. إنها لا تدرى .. ولكن أحلامها أصبحت أقوى من حيرتها ..

واستمر الحديث بينهما .. حديث طويل .. لا يرتبط بعضه ببعض .. ولا ينتهى ..

وأحست به يقترب منها أكثر .. إن كتفه ملتصق بكتفها .. وسرت قشعريره خفيفة في بدنها .. ولكنها لم تجفل .. تماسكت .. وافتعلت حركة طبيعية ابتعدت بها عنه .. كأنها لم تتعمد الابتعاد عنه .. ثم بعد قليل .. أحست بقدمه يخبط بقدمها تحت الماء .. ثم ساقه تقترب من ساقها .. إنها تحس كأن ساقه تتنفس تحت الماء وهي تقترب منها ..

وفجأة ابتعدت عن البرميل الأحمر، وهي تقول:

- لازم أرجع بأه ..

ثم أخذت تخبط الماء بذراعيها سابحة نحو الشاطىء ، وهو يلحق بها صائحا :

- طيب حاشوفك تاني إمتى ؟
 - والتفتت إليه قائلة:
- بكره أقلول لك .. أبعد دلوقت أحسن أخويا يكون على البلاج ..

وسبحت بكل قوتها ، حتى وصلت إلى الشاطىء .. وتنهدت كأنها وصلت إلى بر الأمان .. وابتسمت فى صدرها كأنها تهنىء نفسها على قوة إرادتها ، وجرت نحو الكابين ، ودخلت وهى تصيح فى وجه مشيرة :

– های ..

ثم بدأت ترتدى ثيابها .. وقلبها يختلج بالفرحة .. فرحة لا تدرى سرها .. كأنها انتصرت ..

كأنها حققت كل أحالامها .. وخرجت بعد أن ارتدت ثيابها ، وقالت لها مشيرة :

- مش تیجی تحکی لی ..

وقالت ناهد وهي تقفز من سلم الكابين:

- ابدا .. ما فيش حاجة ..

قالت مشيرة :

- يا كدابه .. ده أنا شايفاكي بعنية ..

والتفتت إليها ناهد برهة ، كنانها لا تصدقها .. هل رآها الناس وهي تحادث هشام في البحر .. لا .. لم يرها أحد .. إنها تجرّم بأن احدا لم يرها .. أم أنها هنامت مع أحلامها فلم تحس بالناس ولم تحس بعيونهم ترقبها .. إنها لا تدرى .. ورغم ذلك ، فنلا يهم .. فليرها كل الناس .. إنها لم تفعل أكثر مما تفعل كل البنات ..

وقالت الشيرة وهي تبتعد:

- بعدين حا أحكيلك .. بأي !

وسارت إلى شمسية صديقتها فايزة .. وانحنت عليها تسالها :

- حد سأل على !

وقالت فايزة وهي تبتسم لها:

ولا حد عبرك !

وضحكت ناهد ثم قبلت صديقتها فوق وجنتيها .. وسارت عائدة إلى البيت .. وهى لا تحس بالناس حولها .. إنها سعيدة .. سعيدة جدا ..

ودخلت البيت .. ووقفت مبهوتة .. إن محمد جالس مع أبيها وأمها في الشرفة .. ورفعت يدها ووضعتها فوق ذراعها ..

فوق الكان الذى التصق به كتف هشام .. كأنها تدارى سرا .. تدارى تدبة لا تريد محمد أن يراها ..

وقالت أمها:

- تعالى يا نانا .. ده محمد هنا!

وأقبلت على محمد وصافحته وهي لا تريد أن تنظر في عينيه .

وعادت أمها تقول:

- أقع*دى* يا حبيبتى ؟

وقالت ناهد وهي تقطب ما بين حاجبيها:

- مش قادرة يا ماما .. أصلى طلعت من البحر عندى صداع ..

واستدارت متجهة إلى غرفتها .. وقال محمد وهو يتبعها بعينين مهذبتين :

- خدى اسبرينة .. وفنجال شاى ..

ولم ترد عليه ..

. . .

ونامت وهشام بين عينيها .. تستعيد كل كلمة سمعتها منه .. وكل لفتة .. وكل لمسة .. وتفسرها تفسيرا يحملها إلى دنيا احلامها .. لقد قال انه يريد أن يكون لها العمر كله .. وقال لها أن أمه أعيجبت بها .. ونظر إليها كأنه يضمها إلى قلبه .. وأمسك بيدها كأنه لن يتركها أبدا .. و .. و .. وكانت صورة محمد تقفز إلى خيالها من خلال أحلامها ، فتطردها بسرعة ، وتعود تتشبث بهشام كأنها تتوسل إليه أن يفر بها بعيدا .. بعيدا عن بيتها .. بعيدا عن محمد ..

وقامت في اليوم التالي ، والفرحة يقظى فوق وجنتيها ..

إنها سعيدة .. إنها تغنى .. إنها تقفر بين غرف البيت كأنها ترقص .. إنها تحب كل الناس .. تحب حتى أخيها سامى ..

وذهبت إلى الشاطئ فى ثوب واسع ، وحول خصرها حزام من المعدن المذهب .. يضم خصرها ويضغط عليه فى قسوة .. كأنه خاتم الخطوبة .. وكانت تحس أنها أجمل البنات ، وأرشق البنات .. كانت تحس كأن العيون كلها تتبعها ، والشفاه كلها تتهامس حولها .. إنها واثقة بنفسها ، كأن الزمن كله بين يديها .

وجلست تحت شمسية صديقتها مشيرة ، بين شلة كبيرة من البنات .. إنها لم تعد تخاف من منافسة مشيرة لها .. إن هشام قد أصبح لها ، وأمه معجبة بها .. وليس لمشيرة ولا لأى بنت أخرى أمل فيه ..

وقالت مشيرة وهى تنظر إليها فى حقد تحاول أن تداريه بابتسامتها:

- مالك فرحانة كده .. تكونيش بتحبى !!

وبوغتت بالسؤال ..

إنه سؤال جديد عليها ..

إنها لم تسال نفسها أبدا ، إذا كانت تحب هشام أو لا تحبه .. إنها فرحة به .. إنه يمثل أمامها حلما عاشت فيه طويلا .. ولكن هل تحبه ؟

إنها لا تدرى ..

ريما كانت تحبه ..

نعم .. إنها تحبه ..

وخيل إليها أن قلبها يخفق ..

وقالت لمشيرة دون أن تنظر إليها:

- ولا باحب ولا حاجة .. إنما فرحانة بيكى!

وأطلقت عينيها نحو صف الكبائن تبحث عن هشام ورأته واقد مستندا على سور الكابين ينظر إليها من بعيد .. وابتسمت له بشفتيها ، وعينيها ، ووجنتيها .. ثم خيل إليها أنه لا يرى ابتسامتها .. ففتحت شفتيها أكثر ..

وصاحت نيني :

حاسبوا یا بنات الجدع بتاع مجلة الدنیا جای ناحیتنا ..
 وقالت میمی :

- يا باي .. دمه ثقيل .. أنا حاقوم من هنا ..

واقترب رجل يرتدى ثيابا كاملة ، ويحمل فوق كتفه آلة تصوير .. وبحركات لا إرادية اعتدات ناهد في جلستها .. وفردت ثوبها حولها .. ثم أشاحت بوجهها عن القادم كأنها لا تراه ..

ووقف الرجل قبالة الشمسية ، وقال في أدب سمج :

- صباح الخير .. تسمحي يا مدموازيل مشيرة ناخدلكم صورة ، وانتم قاعدين كده ..

وقامت ميمى من تحت الشمسية ، وذهبت بعيدا ..

وقالت نيني :

- لأ .. بلاش .. أعمل معروف .. كفاية اللى بيحصل لنا من تحت راسكم ..

وقال الأستاذ فريد:

- يا افندم دى صورة حاتطلع على الغلاف ..

وقالت مشيرة :

- الصورة اللى نشرتها لى النوبة اللى فاتت كانت وحشة خالص .. بأه أنا وحشة كده!

ولم تتكلم ناهد ، ظلت مسيحة بوجهها كأنها لاتسمع ما يدور حولها ..

وكان الأستاذ فريد قد أخرج آلة التصوير ، وصوبها نحو البنات .. ورفعت مشيرة يدها صارخة :

- استنى شوية ..

ثم اعتدلت في جلستها ، وساوت شعرها بيديها ، ووضعت بين شفتيها ابتسامة كبيرة ..

وأدارت ميمى رأسها ، حتى تبدو فى الصورة كأنها لم تكن منتبهة .. وظلت ناهد مشيحة بوجهها .. وفى اللحظة التى هم الأستاذ فريد بالتقاط الصورة .. التفتت إليه فجأة ، وفوق شفتيها ابتسامة حلوة تكشف عن أسنانها ..

والتقطت الصورة ..

والتقطت صورة أخرى ..

وصاحت ناهد:

- انت خدت صورة ؟

وقال الأستاذ فريد في خبث وكأنه يعرف هذا النوع من البنات :

- أيوه يا أفندم ..
 - وصاحت ناهد:
- أعمل معروف ما تنشرهاش .. ده بابا يموتني ..
 - ثم التفتت إلى مشيرة قائلة:
- موشى .. أعملى معروف قولى له ما ينشرش الصورة ..
 - وقالت مشيرة في برود:
 - بلاش تنشرها يا أستاذ فريد ..
 - وقال فريد:

- أورفوار يا أفندم .. مرسى .. متشكرين .
- وابتعد عن الشمسية .. وقالت ناهد لمشيرة :
 - تفتكري حاينشر الصورة ؟
 - وقالت مشيرة:
 - أنا عارفة يا نانا ..
 - وقالت نانا:
- يا خبر .. حقه لو نشرها .. ده بابا ما يسكتش .. يمكن يمنعنى انزل البلاج ..
 - وقالت مشيرة وهي تنظر إليها في خبث:
- ابقى قولى إنك ما خدتيش بالك ، وهم بياخدوا صورتك..
 - وقالت ناهد:
 - -- إنما تفتكري إنه عارف اسمى ؟
 - وقالت مشيرة:
- ده تلاقیه عارف اسمك ، وكل حاجة عنك .. هو انتی شویة ..
 - وقالت تاهد في همس مفتعل:
 - -- يا خبر ..
- وسكتت ، والفرحة تزغرد في صدرها .. إن صورتها ستنشر في المجلة .. لن تكون أقل من البنات الارستقراطيات ..
- وقامت من تحت الشمسية ، وسارت إلى شمسية صديقتها فايزة ، واخذتها معها ، ثم سارتا على الرصيف المقابل لصف الكبائن ..
 - وتبعها هشام ..
- وعندما وصلت إلى آخر الشاطىء ، التفتت إليه ، وقالت هامسة في عجلة :
- البنات والصيف ١٨٣ ■

أنا حائزل البحر الساعة خامسة ..

وقال هشام وهو يضع يديه في خاصرتيه وينظر إليها بكل عينيه:

- ما بلاش البحر النهارده .. نتقابل في حتة تانيه ..
 - وقالت بسرعة وهي تبتعد عنه:
 - -- لا .. ما أقدرش!
 - وأسرع وراءها قائلا:
 - أصل عندي برد ..

والتفتت إليه في لهفة كأنها كادت تصدقه ، ثم قالت بعد أن لمحت ظل ابتسامة بين شفتيه :

- طيب خليك في بيتكم .. وأنا حانزل البحص .. أنا ما عنديش برد ..

ثم أسرعت بعيدا عنه ..

. . .

وفى الساعة الخامسة نزلت إلى البحر .. ولم تلتفت حولها باحثة عن هشام .. إنها متاكدة أنه سيلحق بها .. لا ، ليست متاكدة .. إنه قد لا يأتى .. قد يحاول أن يعاندها حتى يعودها على أن تخضع لأمره .. وبدأت تفقد ثقتها بنفسها .. بدأت تحس أنها ليست أجمل البنات ، ولا أرشق البنات .. إن الجميلات والرشيقات كثيرات على الشاطىء ، وربما كان هشام الأن وراء واحدة منهن ..

وخاضت بقدميها في الماء .. ثم ارتفع الماء حتى أعلى ساقيها .. ثم القت بجسدها كله في الماء وبدأت تسبح .. وسبحت طويلا .. إن هشام لم يظهر بجانبها .. وهي لا تريد أن تتلفت حولها باحثة عنه .. شيء كالكرامة يمنعها .. إنها

لا تريده أن يلمحها وهي تبحث عنه ..

ووصلت إلى البرميل .. وتعلقت به .. وهشام لم يظهر ..

وأحست كأنها على وشك البكاء .. كأنها تسبح في بحر من دموعها .. دموع لزجة ثقيلة تضغط على صدرها .. وتركت البرميل في يأس ، كأنها تترك ذكريات الأمس .. تتركها بلا عودة .. وسبحت نحو شاطئء ميامي .. وذراعاها تضربان بالماء في ضعف واسترخاء كأنها تتنهد بذراعيها .. ثم بعد أن سبحت عدة أمتار .. سمعت من خلفها صوت ذراعين يضربان الماء في قوة .. كأنه صوت « لنش » يقترب منها ..

إنه هو ..

إنها تعرف وقع ذراعيه في الماء ، كما تعرف وقع أقدام أبيها عندما يفد إلى البيت ..

وابتسمت .. ولكنها ابتلعت ابتسامتها سريعا .. ولم تلتفت إليه .. وسمعت صوته :

- های نانا ..

والتفتت إليه غاضبة وقالت:

- انت مش بتقول عندك برد .. إيه اللي جابك!

قال وهو ييتسم:

- رحت للدكتور ، ووصف لى بنت حلوة .. عنيدة .. اسمها نانا ..

واشاحت عنه براسها ، وبدأت تسبح نحو الجنزيرة .. فى بطع وهدوء .. وهدأ صدوت « اللنش » بجانبها ، كأنه أوقف الموتور .. وبدأ يسبح معها .. كأنهما يسبحان فى الهواء ..

وقال:

- إنتى زعلتى ..

قالت:

-- ابدا .. أنا ما كنتش فاكرة إنك جاي ..

وعاد هشام بيتسم ، كانه يعرف أنها كانت تبحث عنه ..

وعادا يسبحان .. ووصلا إلى الجزيرة .. وخرجا من الماء .. وصعدا إلى الصخر .. وأمسك بيدها يساعدها على أن تسير بقدميها العاريتين فوق البروز الصخرية .. وكأنهما يسيران على شوك .. كل منهما يسير وهو يكاد يسقط على الآخر ..

وقالت وهو يسحبها من يدها فوق الصحر:

- حاتودینی فین یا هشام .. أنا خایفة حد یشوفنا!
 قال وهو پیتسم:
 - حاوديكى في حتة ما حدش جايشوفنا فيها .

ثم التفت إليها ، وأستطرد :

– حاسبي تتزحلقي ..

قالت وهي تتمايل فوق بروز الصخر:

- إمسك أيدى كويس ..

وضغط على يدها، وقد صفت ابتسامته حتى اصبحت حنانا .. حنانا فيه إشفاق .. ثم قادها بين منحنيات الصخر .. كأنه يقودها في دنيا مسحورة .. ثم أجلسها في ظل صخرة كبيرة تداريهما عن العيون .. وجلس بجانبها .. والتصق ذراعه بذراعها .. ولم تجفل .. كان كل شيء هادئا حولها وفي داخلها .. وأمامها بركة من الماء الضحل الرائق ، كانها فص داخلها .. وأمامها بركة من الماء الضحل الرائق ، كانها فص كبير من الزمرد .. وصوت الموج المرتطم بأطراف الجزيرة الصخرية يأتيها من بعيد جدا .. كأنهما ابتعدا عن الأرض .. كأنهما في السحاب ، ولا يصلهما من الناس إلا هذا الضجيج الخافت الذي يأتي من

بعيد .. لقد سبق أن جاءت إلى هذه الصخرة ، مع أخيها ومع صديقتها .. ولكنها لم تحس فيها ابدا بهذا الهدوء ، وهذا الجمال ، وهذا السحر ..

وتنبهت إلى أن ذراعها ملتصق بذراعه .. وسخونته تسرى في أعصابها .. ولكنها لم تبتعد أيضا .. أحست كأن هذا هو مكانه الطبيعي بجانبها .. وأن ليس هناك ما يدعو إلى الخوف ، أو إلى المقاومة .. لقد كانت تحس بالراحة .. الراحة حتى من أحلامها .. ولم ينظر أحدهما إلى الآخر .. كان كلاهما ينظر إلى بعيد .. إلى البحر الواسع .. وقال كأنه يتكلم في نومه :

- تعرفی أنا نفسی فی إیه .. نفسی یبقی عندی مرکب صغیر ، أعیش فیه أنا وانتی ولا نطلعش أبدا منه . نفضل طول عمرنا فی البحر .. ولما نتعب من البحر ، ندور علی صخرة زی دی .. نقعد فیها یومین .. وننام فی کهف .. وبعدین نرجع البحر تانی ..

واستمعت إليه بخيالها .. ورأت نفسها كبطلة قصة من قصص المغامرات .. رأت نفسها معه في المركب الصغير .. والبحر .. وشعرها طائر في الهواء .. وهي ترتدي ثوبا ممزقا كثوب بطلة أفلام طرزان .. ثم كأنها خافت من خيالها .. فقالت مبتسمة كأنها ثفيق نفسها :

- طيب ، لو المركب غرق .. نعمل إيه ؟
 - قال وهو لا ينظر إليها:
- ولا حاجة .. آخدك في حضني ، ونغمض عينينا إحنا الاثنين .. ونموت .. وتبقى أحلى موتة ..

قالت :

- لا.. أنا مش عايزة أموت دلوقت .. مش قبل عشر سنين !

قال وهو يتنهد كأنه ضاق بالحياة:

- حاتعملي إيه في العشر سنين دول .. اللي ممكن تعمليه في العشر سنين تقدري تعمليه في يوم واحد .. الدنيا ما بتتغيرش .. والحياة كلها عبارة عن سبت وحد واثنين وثلاث .. وبعد ما تخلص الجمعة .. يرجع تاني السبت والحد والأثنين والثلاث ..

ونظرت إليه فى دهشة .. إنها لم تكن تعتقد أن هذه آراؤه .. لم تكن تعتقد أنه قد مل الحياة إلى هذا الحد .. لماذا يملها وهو يملك كل ما يجعله يتشبث بها ، ويقبل عليها .. يملك الشباب ، والغنى ، وسيارة ، وصورته تنشر فى المجلات المصورة ..

وقالت ضاحكة كأنها تخفف عنه يأسه:

- طيب وحاجيب فساتين منين واحنا في المركب ..

قال كأنه شاعر:

- الناس بتلبس الهدوم علشان تقلعها .. ولو كانوا الناس عاقلين كانوا وفروا القلع واللبس ، وعاشوا زى ما خلقهم رينا ..

قالت:

- يعنى نفتح نادى للعراة ..

قال :

- فيه ناس عريانين وهم لابسين .. وفيه ناس لابسين وهم عريانين ..

قالت :

- أنا ما كنتش فاكراك فيلسوف كده .. قول لى .. وحناكل منين ؟

قال مبتسما كأنه أفاق من حلمه هو الآخر:

- مش حناكل .. كل ما نجوع نبص لبعض ، نقوم نشبع .. نشبع من عنين بعض ..

والتقت نظراتهما .. وجفلت .. رأت عينيه كأنهما تأكلانها وتشبعان جوعه .. رأتهما تطوفان فوق شفتيها .. وتمسحان فوق عنقها .. وتتسللان في فتحة « المايوه » لتكشفا صدرها ..

ومالت بعيدا عنه .. وشيء في داخلها يرتجف حياء ، كأنها تعرت أمامه ، وأبعدت ذراعها عن ذراعه ، وصمتت ..

ولم يحاول أن يلتصق بها .. بل ابتعد عنها هو الآخر .. وأحس بندم على نظرته لها .. النظرة التي كشفت عن رغبته .. أحس أنه تعجل بهذه النظرة ، وأنها أفلتت منه رغم إرادته ..

وعاد يحدثها .. حدثها عن نفسه .. وعن أبيه .. وعن أمه .. وعن ملله من الحياة .. حديثا يضتلف عن حديث محمد .. وعن الحديث الذي تسمعه في بيتها .. حديث ليس فيه مشاكل الخدم ، ولا مشاكل تدبير الحياة .. إنه حديث إنسان شبعان من الدنيا .. شبعان من الأحلام .. حديث شاب مدلل لا يدرى ماذا يريد .. ويختلق المشاكل في حياته اختلاقا لأن الحياة لا تطاق بلا مشاكل .

وهامت فى حديثه .. واستزادته منه .. كانت تريد أن تعرفه أكثر .. تعرف كل شيء عنه .. كل التفاصيل .. ثم فجأة رفعت رأسها فوجدت الشمس بدأت تغيب .. لقد تعدت الساعة السادسة .. وقالت في ذعر:

باه .. ده إحنا اتأخرنا قرى .. لازم أرجع ..
 قال كأنه لا بريد أن تقلت منه :

- نانا ..

والتفتت إليه ، والتقت بعينه .. وخيل إليه إن شفتيها .. قريبتان جدا من شفتيه .. إنه لم يتحرك .. ولكن كانت شفتاه تطلان من عينيه وتقتربان من شفتيها ..

وقالت في صوت مبهور:

– نعم ..

ولم يرد .. رفع ذراعه ووضعها فسوق كتفيها ، وبدأ يقترب من وجهها .. وتمنت أن تستسلم .. أن تغمض عينيها وتنتظر قبلته .. وتستريح وتهدأ بين شفتيه .. تستريح من هذا « المشوار » الطويل الذي رسمته في خيالها ، والذي يجب أن تسير فيه حتى تنتهي إلى النهاية التي تريدها .

ولكنها قاومت .. بكل إرادتها .. وانتفضت واقفة ، وقالت في إصرار :

- لازم أرجع ..

وابتسم كانه يعزى نفسه بابتسامته ، وقال دون أن يلح عليها ..

-- وحاشوفك بكره ..

قالت وقد استراحت لأنه لم يلح عليها ، كأنه أعفاها من معركة :

– بإذن الله ..

قال :

- بس مش في البحر .. ولا على البلاج ..

قالت:

- أمال فين ؟

قال:

- نطلع بالعربية ونروح أي حتة ..

- قالت كأنها تحقق معه:
- اشمعنى عايزنى أركب معاك في العربية ..

قال:

علشان أحس إنك بقيتى بتاعتى .. إننا بقينا لبعض ..
 علشان أحس إنك خايفة منى ..

قالت:

- أما أشوف .. سيبني أفكر ..

قال :

- أنا حاسـتناكى بكره الساعة سـتة عند أول باب من بلاج نمرة ثلاثة ..

قالت:

- الساعة ستة .. يا خبر .. ما أقدرش ..

قال :

- الساعة أربعة ..

وفكرت قليلا ، ثم قالت وهو يسحبها من يدها فوق بروز الصخرة :

- الساعة اتناشر ..

قال:

– في عز الضهر ؟!

قالت وهي تتمايل في سيرها فوق الصخر ، وكتفها يخبط

فى كتفه :

أيوه في عز الضهر ..

ونظر إليها كأنه يستلهم الصبر، وقال:

- أمرك .. ما أنا عارف .. انتى ناوية تورينى نجوم الضهر.

وضحكا ..

وسبحا في الماء .. وافترقا قبل أن يصلا إلى الشاطيء .. وعندما خرجت من الماء ، رأته أمامها ..

محمل ..

ونظر محمد إليها كأنه يسألها سؤالا ملهوفا .. ثم حول عينيه عنها ، وأطلق نظرته وراء هشام الذى خرج من الماء فى مكان يبعد عنها ..

ولم يقف لتجيب على تساؤله .. جرت نصو الكابين ، فى خطوات مرتبكة .. كانت خائفة .. ليست خائفة فحسب ، إن فى خوفها كثيرا من الحياء .. إنها تخجل من أن يراها محمد وهى فى المايوه .. لماذا تخجل من محمد ، ولا تخجل من هشام ..

إنها لا تدرى ..

وجرت ملتاعة حتى دخلت الكابين لتبدل ثيابها ..

The state of the s

وقضت ناهد يومها حائرة ، وقضت ليلها لا تنام .. كانت تقف تائهة أمام الدنيا الواسعة المثيرة

للله التى يفتصها أمامها هشام .. وكانت تنظر خلفها إلى الدنيا التى عاشت فيها وعاش فيها محمد .. دنيا ضيقة متزمتة يعيش فيها الناس خلف قضبان من التقاليد .. قضيب يمثل الصلال ، وقضيب يمثل الحرام .. والحلال والحرام كلاهما بارد كالحديد ، قاتم كالحديد ، قاس كالحديد ..

هل تركت دنياها فعلا ؟!

وهل دخلت الدنيا الجديدة المثيرة فعلا؟

لا .. إنها لا تزال معلقة في الهواء بين الاثنتين ..حائرة ، متأرجحة ، وزويعة من حولها تكاد تعصف بها ..

وكانت تفكر في كليهما في وقت واحد .. في محمد وفي هشام ..

هل رآها محمد وهي تسبح مع هشام .. وماذا قرر بينه وبين نفسه .. وما رأيه فيها الآن .. هل غدل عن خطبتها .. إنه لم يزرهم .. ولم تكن من عادته أن يزورهم كل يوم .. ولكنها في هذا اليوم تحس أنه يتعمد عدم زيارتهم .. وتمنت أن يزورهم .. ثمنت أن يكون قد

رآها تسبح مع هشام ، وأن يكون قد رأى ذراعها ملتصقة بذراعه ، ورآه وهو يهم بتقبيلها .. وتمنت أن يكون قد سمع حديثهما .. حتى ييأس منها ، ويتخلى عنها .. ويتركها .. يتركها لهشام ..

ولكن .. هل هشام جاد فيما يقوله .. هل هو يحبها .. هل يتزوجها ؟!

وتعجبت من نفسها .. إنها لم تفكر من قبل فى الزواج .. كانت تتمنى أن تلتقى بشاب تحبه .. شاب يمالاً حياتها بالمغامرات .. ولم تكن تفكر فى الزواج .. كان الزواج امرا مفروغا منه بالنسبة لها لا يأخذ شيئا من تفكيرها .. ولكنها منذ التقت بهشام أصبح الزواج مشكلة .. أصبحت تشك كثيرا فى أنها تستطيع أن تتزوج .. تتزوج هشام .. وأصبح الشك بثير تفكيرها وتساؤلها .

ورغم ذلك .. فحتى لو لم يتزوجها هشام ، فهى فى حاجة إليه ليملأ حياتها بالمغامرة ..بالحب .. بالضحكات .. فى حاجة إليه ليضع فى حياتها سرا ، يثير حولها الشائعات .. ويشير حولها حسد صديقاتها ..

وذهبت إلى الشاطىء فى اليوم التالى ، وهى لا تزال فى حيرتها .. إنها لا ترى شيئا خال الطريق الذى تسير فيه ، ولكنها مندفعة إليه .. إلى المجهول .. إلى حظها .. إلى قدرها ..

وجلست تحت الشمسية مع صديقتها فوزية ، وهشام جالس قبالتها في كابينة ..

وأصبحت الساعة الحادية عشرة والنصف ..

وجاء أخوها سامي ، وقال كأنه يأمرها :

- مش نازلة البحر ..

قالت في برود:

.. ¥ -

قال وهو لا يزال يأمرها:

- ما تقومي تنزلي معايا ..

قالت وهي تنظر ناحية هشام كأنها تستغيث به:

- من أمتى حضرتك بتنزل معايا البصر .. ما تروح تنزل مع أصحابك ..

قال :

- مش لاقى ولا واحسد منهم .. قلت أنزل مع أخستى .. ولو إنك ما تستاهليش ..

وقالت فوزية كأنها تساعدها:

أحنا ما بننزلش البحر الصبح أبدا .. يعنى مش عارف!
 قال:

- طيب أما أقعد معاكم شوية ..

وجلس على الرمل تحت الشمسية .. واتسعت عينا ناهد غضبا ، ونظرت إليه في حقد .. ولم تعد مشكلتها هي : ماذا تقعل مع هشام عندما تركب سيارته .. بل أصبحت المشكلة هي كيف تتخلص من أخيها ..

ودفعتها هذه المشكلة إلى التعلق أكثر بموعدها مع هشام .. أصبح ذهابها مع هشام بمثابة تحد لأخيها ، واغاظة له ..

وقالت وهي تدير وجهها عن أخيها:

-- بلا*وى ..*

ثم نظرت فى ساعتها .. إنها الثانية عشرة إلا عشر دقائق .. ولحت هشام وهو يترك الكابين ، ويسير على الشاطىء ، ثم التفت إليها قبل أن يغيب عن عينيها ، وأشار إلى ساعته كأنه

يذكرها بالموعد .. ثم صعد السلم المؤدى إلى شارع الكورنيش. والتفتت إلى صديقتها كأنها تستغيث بها .. وأشارت لها بعينيها إلى أخيها ، ترجوها أن تساعدها على التخلص منه ..

وقالت لها فوزية وهي تبتسم في خبث:

- قومي معايا نوصل لغاية اليوفيه ..

وقالت ناهد كأنها تقرأ سطرا في مسرحية:

- لا .. قومي انتي لوحدك ..

قالت فوزية في تمثيل:

- يعنى أهون عليكي تسيبيني أمشى لوحدى ..

ثم التفتت إلى الآخ الساذج ، واستطردت وهي تقوم من جلستها :

- قوم انت معايا يا سامى .. اختك دى انانية قوى ..

وقام سامى فى شهامة قائلا:

- بتقولى لى أنا .. ما أنا عارف ..

وسار مع فوزية متجهين ناحية البوفيه .. وانتظرت ناهد قليلا حتى غابا عن عينيها ثم قامت ملهوفة .. واتجهت إلى الناحية الأخرى .. ناحية شاطىء سيدى بشر نمرة « ٣ » .. وسارت في خطوات واسعة سريعة كأنها تقفز .. ومرت في طريقها بصديقتها مشيرة ، فاستوقفتها قائلة :

- على فين .. مالك مستعجلة قوى كده!

قالت وهي لا تستطيع أن تقف:

~ أبدا .. باتمشى !

قالت مشيرة في خبث:

آجی أتمشی معاکی ؟

قالت ناهد وهي تتركها:

- لا .. أصلى حاوصل لواحدة صاحبتى فى نمرة « ٣ » .
 وقالت مشيرة ضاحكة :
 - طيب سلمي لي عليها .. وبوسيها من هنا ومن هنا ..

ولم ترد عليها ناهد .. وعادت تسير قى خطواتها الواسعة السريعة حتى وصلت إلى شاطىء نمرة « ٣ » .. وفجاة .. هدأت خطواتها .. وفكرت .. إنها يجب ألا تبدو ملهوفة .. يجب أن تذهب إليه متأخرة عشر دقائق على الأقل .. ونظرت فى ساعتها .. إنها الثانية عشرة تماما .

باقى على الزمن عشر دقائق ..

وسارت في خطوات بطيئة كأنها تتنهد بقدميها .. ثم دخات إلى الحمامات المضصصة للسيدات .. وقفت أمام المرآة .. ومشطت شعرها .. وساوت حاجبيها بأصبعها .. وأعادت شد الحزام حول وسطها .. وساوت ثوبها فوق « الجيبون » .. ثم خرجت ، وعادت تسير على الشاطىء في خطوات بطيئة ، ثم صعدت السلم المؤدى إلى شارع الكورنيش .. وبدأت تحس بالارتباك .. خطواتها مرتبكة وعيناها مرتبكتان ، وقلبها مرتبك ..

وراته ..

كان جالسا فى مقعد القيادة مستندا بذراعه العارية فوق باب السيارة ، وقد فتح قميصه ليكشف عن لحم صدره .. وكان ملتفتا برأسه إلى ناحيتها ، والهواء يطير خصلة شعره .. الدلاة فوق جبينه .. ونظرته الساخرة تطل من بين عينيه الواسعتين ..

وابتسم ابتسامة واسعة عندما رآها ..

وازداد ارتباكها .. أحست كانها تعشرت في ابتسامته .. إنها

ابتسامة خطرة .. ابتسامة فيها غرور ، وفيها طيش ، وليس فيها احترام .. إنه ليس مرتبكا مثلها ، وقلبه ليس واجفا كقلبها.

ووقفت كأنها عدلت عن الذهاب إليه .. ثم تلفتت حولها ، دون أن ترى مما حولها شيئا .. ثم خطت ناحيت ، وهى لا تنظر إليه .. واقتريت ..

اقتربت أكثر ..

مبهورة الأنفاس:

وفتح لها باب السيارة ، وعادت تتلفت حولها ، دون أن ترى مما حولها شيئا ، ثم ألقت نفسها داخل السيارة .. وانكفأت على وجهها فوق المقعد ، وقالت في صوت مبهور وقد انتشر شعرها فوق ساقى هشام :

- أطلع من هنا قوام يا هشام .. قوام ، قبل ما حد يشوفنى! وأطلق هشام سيارته ، وزحفت عجلاتها على الأرض في صوت حاد ، كصوت زغرودة مجنونة اطلقت في ليلة زفاف .. واعتدلت ناهد في جلستها بعد قليل ، وقالت وهي لا تزال

- ده آنا دمی هرب .. شوف إیدی ساقعة إزای ؟!

ومدت له يدها ، فأمسك بها .. وارتفع حاجباه فى دهشة .. إن يدها باردة فعلا .. قطعة من التلج .. ولم يكن يعتقد أن هناك بنتا تتثلج يدها إلى هذا الحد لمجرد أنها ركبت بجانبه فى سيارة ..

وقال في إشفاق:

– دلوقت أدفيها لك ..

وقاد السيارة نصو الطريق الخالى المظلل بفروع الشجر والذى يقع خلف سراى المنتزه .. ثم أوقفها تحت ظل شجرة كبيرة .. وأستدار ليلتفت إليها بكل جسمه ..

ومرت الأيام ..

وأصبح هشام يعيش في كل دقيقة من عمر ناهد .. إنها تنام وهي تفكر في خطة تهرب بها من رقابة أهلها لتقابله .. وتصحو لتستعد القائه .. وتنتظر إلى أن تلقاه .. لم تعد تهمها صديقاتها ، ولم تعد تتساءل أين تقضى المساء ، ولم تعد تمل البقاء في البيت .. وحدها في غرفتها .. إنها مشغولة .. مشغولة في نومها ، ومشغولة في يقظتها .. لم يعد في حياتها سنتيمتر واحد من الفراغ ..

هل هذا هو الحب ؟

نعم .. إنها تحبه .. تحب هشام .. وقد أعطته كل ما يتطلبه الحب .. أعطته أيامها .. وأعطته عقلها .. وأعطته قلبها .. وأعطته شفتيها .. نعم ، شفتاها .. وهي لا تزال تذكر قبلته الأولى .. عندما اقترب بوجهه من وجهها ، ثم أرقد خده على خدها .. وأحست بالراحة كأنها سارت على قدميها طريقا طويلا ثم القت نفسها على فراش من حرير .. ولكنه لم يكتف بخده على خدها ، فأخذ يتسلل بشفتيه حتى نام بهما فوق شفتيها .. وكانت خائفة ، وكان خوفها نوعا من حب الاستطلاع ، كأنها مقدمة على تذوق طعام لم تذقه من قبل .. وقد ذاقته .. ذاقت قبلته .. ولم يعجبها مذاقها .. إنها تفضل دائما أن يقبلها فوق وجنتيها ، أو فوق عنقها .. ولكنها لا تستريح لقبلته فوق شفتيها .. ورغم ذلك فهي تسلم له شفتيها ارضاء له .. لتحتفظ به .. حتى لا تحرمه متعة من متع الحب ، قد ببحث عنها عند فتاة أخرى ..

وهو لا يفعل شيئا إلا أن يقبلها .. إنه لا يحب الحديث .. إنه لا يناقشها .. فقط يقبلها .. ويقبلها .. اف ، إن هذه

القبلات تخنقها ، وأحيانا تحنقها .. ولكنه لا يريد إلا أن يقبلها .. وهي تضطر أن تستسلم له ، لتحتفظ به .. ومن يدري ، ربما كان هذا هو الحب ..

ومحمد ، هل نسيت محمد ؟

لا .. إنها لم تنسه .. ولكنها تحاول أن تتناساه .. ولكنه يطل عليها بوجهه الجاد الصارم ، وعينيه الضيقتين ، كلما خلت إلى نفسها .. بل أحيانا يقفز إلى خيالها وهي مع هشام .. وهي تقبل هشام .. يطل عليها كأنه يوقظها من أحلامها .. كأنه يذكرها بأنها ليست من هذه الطبقة التي يعيش فيها هشام .. ليست من هذه الدنيا .. ولكنها تنتمي إليه ، إلى طبقته ، وإلى دنياه ..

ورغم ذلك فهى تصر على أن تنساه ، أو تتناساه .. تصر على أن تطرده من حياتها .. ستترك له دنياه وتهرب منها ..

وكان محمد يزورهم هو وأخته .. أحيانا يزورهم في الصباح على الشاطىء ، ويجلس مع عائلتها تحت الشمسية .. وأحيانا يزورهم في البيت .. وقد أصبحت زياراته متباعدة .. أصبح يزورهم كانه القدر ، يطرق عليهم الباب ليذكرهم بوجوده .. وقد بدا في الأيام الأخيرة أكثر صمتا ، وأكثر صمامة ، وبدت عيناه كانهما ازدادتا ضيقا .. وكان يتعمد الا تلتقى عيناه بعيني ناهد .. وعندما كانت عيونهما تلتقى كانت تخاف .. كانت ترى في عينيه سرها .. كانت تحس كانه يستطيع أن يرى بصمات هشام فوق شفتيها ، وفوق وجنتيها، وفوق عنقها وذراعيها .. فكانت لا تقوى على أن تركز عينيها في عينيه ، فتسدل فوقهما جفنيها ، وتدير عنه رأسها .. وفي جسدها رعدة .. كأنها تقف عارية في مهب ريح عاتية ..

واستيقظت ذات صباح ، وارسلت خادمتها لتشترى لها معجلة « الدنيا » .. وظلت في انتظار عودتها وهي راقدة في فراشها .. لقد تعودت أن تشترى هذه المجلة كل أسبوع ، ومنذ التقط مندويها صورتها على الشاطيء ..

وقلبت صفحات الجلة في لهفة ..

واتسعت عيناها ، وقلبها يدق ..

لقد وجدت صورتها على صفحات المجلة ..

إنها المرة الأولى التي تنشر صورتها في المجلات ..

وازاحت المجلة من أمام عينيها ، حتى تسكت دقات قلبها .. دقات الفرح .. ثم عادت ورفعت المجلة أمام وجهها وأخذت تدقق النظر في صورتها .. إنها جميلة .. إن ابتسامتها تلمع فوق الصفحة .. ونقلت عينيها بين صور بقية البنات .. إنها أجملهن . وهي تبدو طبيعية ، كأن الصورة التقطت وهي لا تدرى .. وأشتدت فرحتها ، وأغمضت عينيها كأنها تشكر ربها على نعمته الكبرى .. لقد تحققت كل أحلامها .. نشرت صورتها في المجلات ، وأصبحت واحدة من بنات الطبقة الارستقراطية .. طبقة هشام .. أصبحت كأخته وأمه وابنة عمه .

وحملت المجلة وقامت من فراشها ، وأخذت تقفر فى غرفتها ، كأن فرحتها أكبر من أن يحتملها جسدها ، فأخذت تنفض عنه بعضا منها .. ثم ذهبت إلى والدتها وهى لا تزال تقفز فى خطواتها ، وقالت وهى تزغرد :

- شوفي يا ماما ..

ونظرت أمها إلى الصورة وصاحت في فرحة:

- الله .. دى انتى أحلى واحدة فيهم ..

- ثم ناولت المجلة إلى الأب، واستطردت:
 - شوف يا خليل صورة بنتك ..
- ونظر الأب إلى الصورة ، ثم صاح غاضبا :
- والله عال يا ست ناهد .. بقت صورتك بتتنشر في المجلات .. ما أنا عارف ، انتي مش ناوية تجييها البر ، و ..
 - وقاطعته الأم:
 - وفيها إيه يعنى يا أخويا ..
 - وقالت ناهد في دلال:
- طيب وأنا ذنبى إيه .. يعنى أنا كنت شفتهم وهم بياخدوا الصورة ، ولا وقفت على إيديهم وهم بينشروها ..
 - وصرخ الأب :
- الجرائد ما بتنشرش إلا صور البنات المرقعين البايظين .. أودى وشى فين منك .. دلوقت أخش مكتبى يقولوا أبو نانا جه .. وأبو نانا راح .. وآدى الى كنت عامل حسابه .. عامل حساب البهدلة والمرمطة .. وآدى آخرة الدلع .. عاجبك كده يا ست هانم ..
 - وقالت الأم وهي ترفع صوتها على صوته:
- يوه يا خليل .. ما كل البنات بتتنشر صورتهم .. اشمعنى بنتنا يعنى .. على الأقل بنتنا أجمل من كل البنات ..
 - وقال الأب وهو لا يزال غاضبا:
- وأنا يشرفني إيه إنها جميلة .. بادال على جمالها ؟! باعرضها للبيع ؟! عامل مراد علشان أجوزها ؟! أيوه كانو! ينشروا صورة أخوها اللى نجح في التوجيهية وجاب مجموع سبعين في المية .. أهي دي الحاجة اللى تشرف صحيح ..
 - وقالت نانا وهي تضحك:

- لو كانوا نشروا صورة أخويا ، كان زمان المجلة فلست .. ثم خرجت من الغرفة قبل أن تسمع لعنات أبيها ، وعادت إلى غرفتها ، وبدأت تستعد للذهاب إلى الشاطىء ..

وتعمدت ألا تأخذ المجلة معها في ذهابها إلى الشاطيء ...
وسارت بجوار صف الكبائن وهي تعد عدد النسخ التي يمسك
بها الناس .. كانت تتمنى أن يشتري كل الناس المجلة ليروا
صورتها فيها .. ليعلموا أنها فتاة ارستقراطية .. فتاة مهمة ..
وكانت تسير مزهوة .. وكانت تجمع إرادتها كلها لتكتم
فرحتها ..

وصاحت فيها صديقتها مشيرة:

-- شوفتي صورتك ..

وقالت نانا في دهشة هادئة:

– فين ؟

قالت مشيرة:

- في المجلة ..

وقالت نانا ، وهي لا تزال كاتمة فرحتها :

- يا خبر .. وريني كده ..

وفتحت مشيرة المجلة ، وأطلت ناهد فيها ، ثم قالت :

- ده بابا حايموتنى .. وكمان الصورة مش حلوة ..

وقالت مشيرة في غيظ:

- إحمدى ربنا .. ده انتى أحلى واحدة فينا .. شوفى أنا شعرى نازل على وشي إزاى ..

وقالت نانا:

- بأه أنا عنية ضيقة كده ..

وقالت مشيرة في غيظ أكثر:

- لا .، عنيكي واسعة .. هاتي !

ثم جذبت المجلة من يدها ، وسارت مبتعدة عنها ..

ومرت ناهد من أسام كابين هشام ، ورأته جالسا ووجهه مختف خلف المجلة . فابتسمت ابتسامة واسعة .. ثم انضمت إلى صديقاتها تحت الشمسية ، والحديث كله عن الصورة .. وهي تتلفت بين الحين والحين لتبحث بين الناس عن الأستاذ

وهى تتلفت بين الحين والحسين لتبحث بين الناس عن الاسستا فريد مندوب المجلة .. لعله يأتى ليلتقط لها صورة أخرى .. . في السيادة الدام دة والذي في قيامت لذة مستسب عام

وفى الساعة الواحدة والنصف قامت لتتمشى على الشاطىء .. ثم انحرفت واختبات بين « كبينتين » ولحق بها هشام ، وقال كأنه يهنئها :

- صورتك النهارده جنان ..

قالت وهي فرحة كانها سمعته يعلن انضمامها إلى عائلته:

- عجبتك ؟

قال:

– موت ..

قالت:

- دول خادوها غنصب عنى .. أنا ما كنتش عايزة .. ومش عارفة أعمل إيه علشان أبعد المصورين عنى ..

قال:

ما فیش فایده .. طول ما انتی حلوه ، حایفضلوا پنشروا
 صورتك .. یوم ما تبقی وحشهٔ ما حدش حا یعبرك ..

قالت في دلال:

- ولا أنت ..

قال وهو يضع فوق شفتيه ابتسامة أوسع:

- أنا باصورك بقلبى .. والقلب ما يهموش الجمال .. حاشوفك إمتى ؟ ونظرت فى عينيه كأنها تريد أن تصل إلى قلبه لترى ما فيه .. وحددت له موعدا فى الساعة السادسة ، مساء اليوم التالى .. فى سيارته .. وذهبت إلى بيتها وحديث الصورة يملأ رأسها .. ويملأ بيتها ..

وفي المساء زارهم محمد وأخته خديجة ..

وقالت خديجة وهي تقبل ناهد:

- أما أنا كنت حاتجنن على صورتك النهارده ، واشتريت من المجلة خمسة اعداد بعتهم لصاحباتي في مصر .. وكتبت على الصورة .. صورة أعز صديقاتي ..

وعاد حديث الصورة من جديد .. الأب ساخط ، والأم تدافع ، وخديجة فرحة ، وناهد تعلق على ما تسمعه فى دلال .. ومحمد صامت .. صامت كأنه لن يتكلم ابدا .. كأن ليس له لسان .. وناهد تنظر إليه في لمحات سريعة كأنها تنظر حكمه .. وكأنها تخاف هذا الحكم .. ولكنه لم يحكم .. ولم يتكلم ..

وقالت له ناهد في صوت خفيض وقد خف زحمام الحديث من حولهما:

- يظهر الصورة مش عاجباك ..

ونظر إليها كأنه يلومها ، ثم أدار عينيه عنها وقال :

- عاجبانی .. بس لیه ؟

قالت في دهشة:

- ليه إيه ؟

قال:

– ليه نشروا صورتك ؟

قالت في حدة خافتة كأنها تستعد لمعركة :

- أنا عارفة ..

قال كأنه يلقى درسا:

- أنا أفهم أن فيه في أوربا بنات محترفات للجمال .. يعنى بنات بيدوا صورهم للمجلات تنشرها وياخذوا عليها فلوس .. شغلتهم كده .. أو بنت واحد عظيم معروف بينشروا صورتها ، لأن البنت بتكمل شخصية أبوها ، والناس تحب تعرف كل حاجة عن الراجل العظيم ده .. أو ينشروا صورة بنت عملت حاجة .. حاجة كويسة أو حاجة وحشة .. اخترعت اختراع ، أو ارتكبت جريمة .. إنما انتى .. بينشسروا صورتك ليه .. لا أبوكي راجل من العظماء ، ولا انتى عملت حاجة كويسة ولا وحشة ، ولا انتى « موديل » بتبيعى صورك للجرائد .. ولا ممثلة .. و .. وقاطعته محتدة :

- قصدك تقول إنى ، ولا حاجة ..
 - قال:
- مش قصدى .. اللي بدى أقوله إن مجلاتنا تافهة ، مالهاش هدف من اللي بتنشره ..
 - قالت وقد احتقن وجهها غيظا:
- طبعا لو كانوا نشروا صورة حضرتك ، ماكنتش بقت مجلات تافهة ..
 - قال :
 - كانت بقت تافهة أكتر وأكتر .. إنما ..
 - قالت:
 - على كل حال أنا كنت عارفة رأيك من الأول ..
 - وقامت من جانبه ..
 - ونامت وهي تلعنه ..

كانت تلعنه لأن منطقه كان يتسلل إلى راسها .. وكانت لا تريد أن تقتنع بهذا المنطق ..

...

وذهبت في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي للقاء هشام ..

وعادت في الساعة الثامنة ..

وأوقف هشام السيارة عند شاطىء نمرة ٣ .. وسحبت يدها من يده .. وفتحت باب السيارة .. وما كادت تضم قدمها على الأرض ، حتى وجدته أمامها .. ينظر إليها .. محمد ..

وانطلقت نظرة ذعر من عينيها ..

وانطلق هشام بسيارته كأنه تخلى عنها للموت .. وتماسكت بصعوبة ، ثم أدارت ظهرها لمحمد .. وسارت في خطوات متعثرة ، وهي تكاد تنكفيء على الأرض في كل خطوة ..

وسمعت وقع أقدامه وراءها ..

وحاولت أن تكذب نفسها .. إنه ليس هو .. ولكنها سمعت صوته يناديها في حدة :

– نانا ..

ولم ترد عليه .. حاولت أن تستمر في خطواتها المتعثرة .. ولكنه لا يزال يلاحقها .. إنه بجانبها .. ثم فجاة أحست بيده تقبض على يدها .. في قوة .. في قسوة .. وسمعت صوته مرة أخرى في حدة خافتة :

- نانا ..

وجمعت كل أنفاسها ، واستدارت له وفي عينيها نظرة غاضبة ، وجذبت يدها من يده في عنف ، وقالت :

- عايز منى إيه .. انت مالك ومالى ..

ونظرت فى وجهه .. إن وجهه غامق .. داكن .. لونه آزرق .. إنها لم تره هـكذا أبدا .. كأنه يحبس دمـاءه كلها فى وجـهه .. كأنه سيموت ..

وقال وهو يحاول أن يحتفظ بصوته خافتا:

- عایز آعرف انتی بتعملی کده لیه ؟

قالت في حدة:

- مالكش دعوة ..

وسكت كانه يخاطب نفسه ليهدئها .. وقالت ناهد وهي لا تزال تنظر في وجهه :

- طبعا حضرتك حاتروح تقول لبابا .. مش كده .. احب اقول لك إنى ما يهمنيش لا بابا ولا ماما ..

ونظر إليها .. وأحست أن في نظرته إشفاقا .. وقال :

- أنا لو كنت عايز أقول لبابا كنت قلت له من زمان .. أنا عارف إن ما ليش دعوة بيكى .. بس ما تنسيش إننا جيران .. إننا معارف .. يمكن أكثر من كده شوية .. ومن حقى قبل أن آخد أي قرار ، إنى أعرف ..

قالت وهي لا تزال في حدتها:

عایز تعرف إیه ؟

قال:

عایز اعرف إنت لیه بتعرفی واحد زی الولد ده ...

قالت وهى تتعمد أن تزداد حدة ، حتى تساعدها حدتها على استجماع قوتها :

- ما هوش ولد .. ده شاب زيك .. واتضرج السنة دى .. وأحب أقول لك إنى باحبه ..

وسكت محمد كأنه تلقى سكينا فى صدره ، وقال وصوته أقرب إلى الأنين :

- انتى بتضحكى على نفسك يا نانا .. انتى ما بتحبهش .. انتى بتحبى المظاهر اللى حواليه .. بتحبى العربية بتاعته ، وبتحبى الكابين اللى بيقعد فيها ، وبتحبى أبوه المشهور الغنى .. وبتحبى الحفلات والجو اللى عايش فيه .. ولو كنتى قابلتى أى واحد زيه كان اتهيا لك إنك بتحبيه .. إنما انتى ما بتحبيش .. انتى بتحبى إنك تتجوزى واحد زيه .. بتحبى احلامك واطماعك والقصص اللى انتى عايشة فيها ..

قالت دون أن تفقد حدتها :

- هو انت دخلت في قبلبي يا أخي .. باهبه .. باهبه .. واحتجوزه ا

قال في يأس :

إنما هو ما بيحبكيش ، ومش حاتيجوزك .. بيلعب بيكى ..
 قالت:

- لا .. حايتجوزني .. حايتجوزني ..

قال وهو يتنهد:

- ربنا یسمع منك .. على كل حال ، انتى مش حاتشوفینى بعد كده .. مع السلامة .. وخدى بالك من نفسك .. مش علشان خاطرك ..

وخفتت حدتها .. وخيل إليها أنه يبتعد عنها وسط ضباب كثيف .. وأنها لم تعد تراه .. وقالت في صوت خفيض :

- ولما بابا يسأل ما بتجيش تزورنا ليه ، حاتقول له إيه .. قال وهو ينظر إليها وحاجباه معقدان كأنه يعصر بينهما قليه :

حايعرف إنى خطبت واحدة تانية ..
 واتسعت عيناها كأنه صفعها ..

واستدار ، وأخذ يبتعد عنها .. ووقفت تتبعه بعينين مذهولتين ، والدموع تتجمع تحت جفنيها .. ثم عادت تسير بخطواتها المتعثرة وهي تكاد تنكفي على وجهها في كل خطرة..

ووصلت إلى البيت .. ودخلت إلى غرفتها دون أن تحيى والديها ..وأغلقت الباب وراءها بالمفتاح .. ثم ألقت نفسها فوق الفراش ، وبكت .. بكت كثيرا ..

...

وقامت فى الصباح وعيناها .. وشفتاها مرزمومتان فى تصميم .. لقد صممت على أن تتروج .. تتروج هشام .. بسرعة .. قبل أن ينتهى موسم الصيف .. إن الزواج به لم يعد مجرد حلم يتحقق ، إنه دواء لكرامتها التى جرحها محمد .. إنه انتصار على محمد .. إنه الدليل الوحيد الذى تستطيع أن تقدمه له ليقتنع أن هشام لم يكن يخدعها ، وأنها لم تكن تلعب .. ولم تكن تحب المظاهر ..

وأقبلت على هشام بروح جديدة .. وخطة جديدة .. أصبحت طيعة له .. وأصبحت تجازف في سبيل لقائه بكل شيء .. لم يعد يهمها أن تلقاه لم يعد يهمها أن أمها أو أمها أو أخوها .. لم يعد يهمها أن تلقاه في سيارته ، أو في شقة أحد أصدقائه ، أو يدعوها إلى حفلة من الحفلات التي تقام على الشاطيء ..

وأعطته .. أعطته أكثر مما كانت تعتقد أنها تستطيع أن تعطى .. كانت تريد أن تملأ حياته كلها حتى لا يستطيع أن يستغنى عنها بعد ذلك .. وكانت تريد أن تشعره بتضحيتها من أجله ، حتى يحمل مسئولياتها .. ثم يتزوجها ..

وأخذ هشام كل ما أعطته ، ولا يزال يطالب بالمزيد .. وازداد صلف وغرورا .. إنه لم يعد يسعى ويلح في لقائها ، بل

أصبحت هى التى تطلب لقاءه .. ولم يعد يلحق بها كلما سارت تتمسشى على الرصيف ، بل أصبح يبطالبها بأن تقف لتحادثه وهو جالس فى الكابين أمام الناس .. وأصبح يأمرها .. إن كل كلامه أوامر .. لا تنتقلى من تحت الشمسية .. لا تلبسى البنطلون .. لا تخرجى من البيت .. وكانت تفرح بهذه الأوامر .. إنها أوامر رجل صاحب حق عليها .. إنها أوامر زوج ..

ولكن الأيام تمر وهى تزداد حيرة .. إنها تزداد إحساسا بأنه يخدعها .. بأنه يسخر منها .. بأنه يلعب بها .. وكانت تكذب إحساسها .. إنها لا تستطيع أن تنقاد لهذا الإحساس لأنها لا تستطيع أن تتراجع ... إنها قطعت طريقا طويلا مع هشام ومن المستحيل أن تعود .. إنها لا تستطيع إلا أن تستمر .. أن تعطى أكثر وأكثر .. لعلها تصل إلى نهاية الطريق ..

وبدأت تلمح فى حديثها للزواج .. كانت تحادثه كثيرا عن أمه ، وعن أخته ، وعن بيته ، وعن نفسها .. وهو يستمع كأنه لا يفهم ما تريده .. إنه يستعمد ألا يفهم .. ثم لا يجيب عليها إلا بالقبلات .. ومزيد من القبلات .. وقبلات ..

وأبعدته عن شفتيها ، وبدأت تروى له قصة محمد .. وقالت له أنه كان خطيبها ثم ضحت به في سبيله ..

وقال وهو يعود إلى شفتيها:

- ولا يهمك .. بكره تلاقى أحسن منه ..

قالت وهي تبتسم له في إغراء:

- ما فيش إلا واحد بس أحسن منه ..

قال:

-- فیه خطیب تانی کمان ..

- قالت:
- -- أيوه ..
 - قال:
- مدن ؟
- قالت ضاحكة:
 - انت ..
- وابتعد عنها ، وقال وهو يضحك :
- أنا أنفع خطيب بس .. إنما ما أنفعش جوز .
 - قالت كأنها تثير غروره :
- بالعكس .. ده انت تنفع جوز كويس جدا ..
 - قال :
- بلاش تخریف .. آنا مش بتاع جواز ، ولا عمری حابقی بتاع جواز ..
 - قالت:
 - حتى لو لقيت اللي تقنعك بالجواز ..
 - قال وهو يضحك ضحكة خاوية:
 - اظن أسهل ألاقى واحدة تقنعنى بالانتحار ..
 - وسكتت .. ونكست رأسها كانها تهم بالبكاء ..
- وادار هشام موتور السيارة ، وقال كأنه يضع خطة الهرب:
 - --- مش نرجع بأه ..
 - ورفعت رأسها إليه ، وقالت كأنها تقامر بكل عمرها :
 - هشام .. أنا عايزة أعرف أنا أبقى إيه بالنسبة لك ..
 - قال وهو يدير عجلة القيادة:
 - -- تبقى البت بتاعتى ..
 - قالت:

- يعنى إيه البنت بتاعتك ؟!

قال وهو يلتفت إليها وينظر إليها نظرة حادة :

-- بلاش الموضوع ده دلوقت يا نانا .. خليه بعدين شوية .. وسكتت .. ولم تعد تدرى ما تقول .

وعادت إلى بيتها لتبكى .. بكت طول الليل ..

واستيقظت في الصباح دون أن تياس .. إنها لن تتراجع .. إنها لا تستطيع أن تتراجع ولكنه هـشام الذي يتراجع .. إنه يرفض أن يقابلها ويعتذر لها كل يوم بحجة جديدة .. وهو لم يعد يامرها .. لقد جاءت إلى الشاطىء مرتدية البنطلون ، فلم يغضب ، ولم يعلق بشيء .. وتعمدت أن تحادث شابا .. ورآها تحادثه فلم يأبه .. وقبل أن يلقاها مرة .. ولكنه كان لقاء سريعا .. قبلة .. وقبلة أخرى .. وجسدها في أحضانه .. ثم اعتذر بأنه على موعد هام ..

وسارت يوما أمام الكابين ، فاذا بها تسمع أحد أصدقاء هشام يصيح وراءها في صوت ساخر : « اتمخترى يا حلوة يا زينة يا وردة من جوه جنينه » .. ثم ضحكات صاخبة تنبعث من أفواه الشلة الجالسة داخل الكابين .. ثم إذا بواحد منهم يقلد صوت البنات ويقول : « إخص عليك يا هشام .. مش حاتت جوزني بأه » .. وإذا بواحد آخر يرد عليه في صوت أجش : « مش تستنى يا حبيبتي لغاية ما ندخل الأول » .. ثم ارتفعت أصوات الجميع يغنون مرة ثانية : « المخترى يا جلوة يا زينة .. » ثم ضحكات .. ضحكات كثيرة .. مخيفة .. كهدير الرتطم بالصخر ..

وتجمدت في وقفتها .. أحست بصدرها يضيق حتى يخنق قلبها .. أحست بنفسها تغرق في وسلط بحر من الضحكات ..

الضحكات المخيفة .. أفراه مفتوحة على آخرها تهم بأن تنهش في لحمها ..

ماذا تفعل .. هل تجرى .. هل تقع على الأرض مغشيا عليها .. هل تصرخ وتشد شعرها .. لا .. واستدارت دفعة واحدة واندفعت نحو الكابين ، ووقفت أمام الشلة كلها وعيناها تصفعان أفرادها واحدا .. وسكتت الضحكات من حولها .. وساد الوجوم أفراد الشلة .. وارتسمت على وجه كل منهم خطوط غبية مرتبكة ..

وقالت وصدرها يعلو ويهبط ، يكاد ينفجر:

-- هشام .. تعال ، أنا عايزاك .. ُ

وقام إليها هشام في صمت ، وغمز لأفراد الشلة قبل أن يخرج من الكابين .. وسار بجانبها ، بينما واحد من أفرادها يقول للآخرين :

- والنبي أنتم ولاد كلب كلكم .. مش حرام عليكم .. مسلسة ناهد دواني هيشام، مهيلا ترميشونا أم امما أم

وسارت ناهد بجانب هـشام ، وهى لا ترى شيئا أمـامها أو حولهـا .. لا ترى عيـون الناس ترقبهـا .. ولا ترى صديقـاتها يتهامـسن عليها .. ثم وقفت بجانب « كابين » خـالية ، ورفعت رأسها إلى هشام ، وقالت وهى تحبس دموعها تحت جفنيها :

- انت قلت إيه لصاحبك ؟

قال في استهتار وهو يضع يديه في خاصرتيه:

- ولا حاجة ..

وصرخت كأنها لم تعد تطيق:

- على كل حال إذا كنت فهمت إنى عايزة اتجوزك فده شرف لك .. أنا ما اتنازلش واتجوز واحد زيك .. و ..

وقاطعها وهو ينظر إليها نظرة يهددها بها:

- ما فيش لازمة للكلام ده .. أنا مش صاتجوز واحدة خرجت معاها ..

وفتحت عينيها كأنها أفاقت ، ثم صرخت :

- وأختك ما هى كل يوم بتخرج مع واحد .. يا ترى مين حايتجوزها ..

ونظر إليها ساخرا، وقال في هدوء:

- تأكدى إنى مش حاتجوز أختى .

قالت وقد بدأت الدموع المتجمعة تحت جفنيها تشك عينيها كالأبر:

- انت سافل .. سافل .. انت مجرم ..

وعاد ينظر إليها نظرته الساخرة أ. ثم أدار لها ظهره ، وبدأ يبتعد .. ماذا تفعل في هذا المجرم .. هل تجرى وراءه وتصفعه .. وتخرمش وجهه .. وتضربه بحذائها .. وتقتله .. تقتله .. وترى دمه على الأرض .. لا .. إنها لا تستطيع .. لا تستطيع ..

ووقفت في مكانها ترقبه وهي ترتعش .. ورأته يلتقي بمشيرة .. ويحادثها .. ويضحكان .. و .. ولم تعد تحتمل .. أحست بدوار .. كل شيء يدور حولها .. البحر .. والشاطيء .. والناس .. وكل شيء يدور في داخلها .. رأسها .. وقلبها .. وقطع تتساقط من جسدها .. كل قطعة لمسها هشام ، تحس أنها تتورم .. وتنتفخ .. ثم تسقط عنها ..

وسارت تترنح كأنها مخمورة ، وهى تستند على جدران الكبائن .. وصعدت إلى الكورنيش .. ووضعت نفسها فى سيارة أجرة .. وعادت إلى البيت ..

وفى البيت سقطت مغشيا عليها .

...

وانتهى الصيف ..

وعادت العائلة إلى القاهرة .. وناهد هزيلة ، ممتقعة ، يائسة مسكينة .. ولم يكن أحد يعرف سر هزالها إلا محمد .. ولكن محمد لا يزورهم ، ولا أخته ، ولا أمه .. لقد تباعدت العائلتان .. ووقفت ناهد تطل من نافذتها في الصباح لترى محمد وهو ذاهب إلى عمله .. وتطل من نافذتها في الظهر لتراه وهو عائد من عمله ..

ولكنه لا يرفع عينيه إليها .. وليس من حقها أن تزوره لتجبره على أن يرفع عينيه إليها .. إن أخته لم تعد صديقتها .. لقد منعها محمد عن صداقتها .. خاف على أخته أن تلتقط منها العدوى .. عدوى الأحلام ..

وتعمدت أن تخرج من بيتها في موعد عودته .. وتعمدت أن تسير على نفس الرصيف الذي يسير عليه .. وهم أن يتجاهلها ، ولكنها وقفت وواجهته ، ومدت له يدها .. فالتقطها في أدب ، وقال :

- أزيك يا مدموازيل نانا .. وازاى السيد الوالد والست الوالدة ..

قالت :

- كويسين .. ازيك انت ..

ونظرت فى وجهه .. إن وجهه جامد لا يبدو عليه شىء كأنه لم يكن يحبها .. كأنه لم يتقدم لخطبتها .. كأنه لم يتعذب عندما تركته .. وسمعته يقول فى صوته المهذب:

- دى فرصة سعيدة قوى .. مع السلامة ..

وتركها ..

ماذا ترید منه .. إنها لا تدری .. تجری وراء شیء ضاع

منها .. شىء كريم عزيز مهذب .. شىء تتمنى أن يعود .. وعادت إلى بيتها لتنتظر ..

تنتظر ماذا ؟

خاطب جدید .. رجل فی الخامسة والأربعین .. سمین ..

عيناه منتفختان .. قدموها إليه كأنهم يسوقونها إلى المذبح ..

وجلست قبالته وعيناه تاكلانها .. ولم تحتمل عينيه طويلا .. فقامت إلى غرفتها .. وأخذت تفتح أدراج دولابها تحاول أن تجد فيها شبئا بشغلها عن أفكارها ..

ك فيها سينا يسعلها عن افجارها ..

ووجدت المجلة التي نشرت صورتها ، فالتقطتها .. ولم تفتحها .. إنماأخذت تمزق فيها بهدوء .. مرقتها قطعا صغيرة ، كأنها تمزق أحلاما خبيثة ، وماضيا تريد أن تهرب منه .. ثم نادت خادمتها وقالت لها في هدوء :

- خدى ارمى الورق ده في صفيحة الزبالة ..

ثم التقطت قطعة من القماش وبدأت تطرز فيها .. وتنهدت .. وهمست لنفسها : « الصبر يا رب .. الصبر يا رب » !!

(تمت)



رقم الإيداع ٩٩/١٨٠١٦ الترقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 08 - 0893 - 8

